

إرشاد الحيارى
في مشابهة أهل البدع والأهواء
للكفار واليهود والنصارى

كتبه

أبو اليمان عدنان بن حسين المصقري

مكتبة دار الحديث

بدار السلام

حُقوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ
الطَّبْعَةُ الْأُولَى

1442

مَكْتَبَةُ دَاوُدَ الْحَارِثِيِّ

مسجد السنة

بدار السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: 102].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَالَارْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70-71].

أما بعد:

فإن الله تعالى قد حذرنا من الفتن، فقال: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٥٥].

ونهانا من مخالفة نبيه فقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ

فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ [النور].

وإن التشبه بالكافرين من الفتن المضلة ومن المخالفات المزلّة، يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر: 19]، فهى الله تعالى عن التشبه بالكفار والفاستقن.

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَنْ رَضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:

[120].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَيْضاً: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء:

89]، فأخبر تعالى أنهم يودون من المسلمين أن يطاوعوهم ويتشبهوا بهم في كل صغيرة وكبيرة، وهذا مما نراه هذه الأيام، فانظر إلى المسلمين كيف طاوعوهم في كثير من أمورهم.

وقد صح عن عبد الله بن عمر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «من تشبه بقوم فهو منهم»⁽¹⁾.

وذكر شيخ الإسلام في «اقتضاء الصراط المستقيم» أن التشبه بالكفار أقل أحواله أنه من كبائر الذنوب، لهذا الحديث.

▪ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

«وهذا يقتضي أنه جعله كافراً بمشاركتهم في مجموع هذه الأمور، أو جعل

(1) «مسند أحمد» (5114)، عن ابن عمر.

(2) «اقتضاء الصراط المستقيم» (515/1).

ذلك من الكبائر الموجبة للنار، وإن كان الأول ظاهر لفظه، فتكون المشاركة في بعض ذلك معصية؛ لأنه لو لم يكن مؤثراً في استحقاق العقوبة لم يجر جعله جزءاً من المقتضى».

■ وقال رَحْمَةُ اللَّهِ⁽¹⁾:

«فصل: مشابھتهم فيما ليس من شرعنا قسماً:

أحدهما: مع العلم بأن هذا العمل هو من خصائص دينهم؛ فهذا العمل الذي هو من خصائص دينهم:

إما أن يفعل لمجرد موافقتهم - وهو قليل - وإما لشهوة تتعلق بذلك العمل، وإما لشبهة فيه تخيل أنه نافع في الدنيا أو الآخرة، وكل هذا لا شك في تحريمه، لكن يبلغ التحريم في بعضه إلى أن يكون من الكبائر، وقد يصير كفراً بحسب الأدلة الشرعية».

■ وقال رَحْمَةُ اللَّهِ⁽²⁾:

«وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: 51]».

فاحذر يا عبد لله أن تتشبه بمن كفروا بالله فتغضب ربك، فأنت تقول في كل صلاة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا

(1) «اقتضاء الصراط المستقيم» (1/ 552).

(2) «اقتضاء الصراط المستقيم» (1/ 270).

أَصْحَابَيْنِ ﴿٦﴾ [الفاتحة]. و ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود، والضالون هم النصارى.

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

«قال الضحاك، وابن جُرَيْج، عن ابن عباس: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ اليهود، ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ هم النصارى.

وكذلك قال الربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغير واحد. وقال ابن أبي حاتم: ولا أعلم بين المفسرين في هذا اختلافًا. وشاهد ما قاله هؤلاء الأئمة من أن اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون».

فالله الله أيها المسلمون، احذروا أفكار الغرب ومناهجهم وأفكارهم ولباسهم ولا تنخدعوا بالحزبيات والتفرقات الواردة من عندهم لتمزيق المسلمين وإبعادهم عن الكتاب والسنة والعلم النافع.

ومن الأمثلة للتشبه بالكافرين التي انخدع بها كثير من المسلمين:

1- الحزبية وتفرق المسلمين، ومن آثارها المظاهرات والخروج على الحكام المسلمين، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ [الروم].

(1) «تفسير ابن كثير» (1/ 142، 143).

2- الانتخابات، والديمقراطية، التي هي حكم الشعب نفسه بنفسه، وبلا شك أنها من التشبه بأعداء الله.

3- لباس البنطال، وهو محرم للرجال والنساء لما فيه من التشبه بلباس الكفار.

4- حلق اللحية، وقد نهى عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال: «خالفوا المشركين، عفوا اللحية وجزوا الشوارب»⁽¹⁾. وفي رواية: «خالفوا المجوس»⁽²⁾.

رواها مسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جُزُوا الشَّوَارِبَ، وَأَرْخُوا اللَّحَى خَالِفُوا الْمَجُوسَ».

5- اختلاط الرجال والنساء، سواءً في المدارس أو الوظائف، فهو محرم بالكتاب والسنة وإجماع من يعتبر به من العلماء، قال الله تعالى في حق أمهات المؤمنين: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: 53]، فكيف بغيرهن؟.

6- التكلم بلغتهم من غير حاجة ولا ضرورة.

وقد بين حرمة ذلك شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كتابه الفريد «اقتضاء الصراط المستقيم»، فارجع إليه واعمل بأدلته، فما أحوج المسلمين إلى دراسته

(1) «مسند البزار» (8675).

(2) «صحيح مسلم» (260).

وتدريس مثله من الكتب.

7- طلب العلم من أجل الدنيا، قال الله تعالى في حق اليهود: ﴿أَشْتَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة: 9].

8- طاعة العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله قال تعالى عن اليهود والنصارى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١] وما كانوا يعبدونهم ولكن يطيعونهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله وتلك العبادة لغير الله.

وما أكثرها، إنما هذه إشارة وإلا فسيأتي إن شاء الله بسط في ذلك في شرح حديث أبي سعيد، المتفق عليه وأذكر شواهد من القرآن والسنة وتفسير وشروح العلماء.

وقد ذكرت بعد ذلك مستعينا بالله كثيرا مما تشبه فيه المسلمون واتبعوا فيه سنن من قبلهم مصداقا لحديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليزداد إيماننا بصدق ما أخبر به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأيضا بيانا للناس وتحذيرا من الوقوع في ذلك، نسأل الله أن يهدي المسلمين لما يحب ويرضى، وأن يهدينا لرضاه واتباع دينه والقناعة به.

وكانت هذه المادة عبارة عن محاضرة فأشار علي بعض إخواننا أن أجعلها

في رسالة، فأضفت إليها شيئاً من بابها بذكر شروح الآيات وأصول الأحاديث،
أسأل الله أن يجعلها صالحة ولوجهه خالصة ولعباده نافعة.

كتبه/ أبو اليمان عدنان بن حسين المصقري

دار الحديث بالعمود في شعبان 1442

تعريف التشبه

مادة: (ش ب هـ).

■ قال ابن فارس⁽¹⁾:

«(شَبَهَ) الشَّيْنُ وَالْبَاءُ وَالْهَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى تَشَابُهُ الشَّيْءِ وَتَشَاكُلِهِ لَوْنًا وَوَصْفًا. يُقَالُ شَبَهُ وَشَبَّهُ وَشَبَّهَ وَشَبَّهَ. وَالشَّبَهُ مِنَ الْجَوَاهِرِ: الَّذِي يُشَبُّهُ الذَّهَبُ. وَالْمُشَبَّهَاتُ مِنَ الْأُمُورِ: الْمُشْكِلَاتُ. وَاشْتَبَهَ الْأَمْرَانِ، إِذَا أَشْكَلَا».

■ وقال ابن منظور⁽²⁾:

«وتشبه فلان بكذا. والتشبيه التمثيل».

■ وقال المناوي⁽³⁾:

«التشبيه إقامة شيء مقام شيء لصفة جامعة بينهما ذاتية أو معنوية فالذاتية نحو هذا الدرهم كهذا الدرهم وهذا السواد كهذا السواد، والمعنوية نحو زيد كالأسد أو كالحمار، أي في شدته وبلادته، وزيد كعمرو أي في قوته وكرمه».

■ وقال الزبيدي⁽⁴⁾:

«وَأُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ وَمُشَبَّهَةٌ، كَمُعْظَمَةٍ، أَيْ مُشْكِلَةٍ مُلْتَبِسَةٍ يُشَبُّ بِبَعْضِهَا بَعْضًا».

(1) «مقاييس اللغة» (3/ 243).

(2) «لسان العرب» (13/ 503).

(3) «التوقيف على مهمات التعاريف» (ص/ 97).

(4) «تاج العروس من جواهر القاموس» (36/ 411).

مقدمة في كمال الإسلام وعزة أهله

ولما كان المسلم عزيزاً بدينه، ظاهرًا بالإسلام، قويًا بالإيمان، كان من كمال عزته ترك التشبه بأعداء الدين.

واعلم أنه ما رغب كثير من الناس في التشبه بالكفار إلا لجهلهم بفضل هذا الدين وعزته وأحكامه، وإليك بيان شيء من فضل الإسلام.

وفي رسالتنا «إتحاف الأنام بمحاسن وتيسير دين الإسلام» بسط طيب ومزيد فائدة إن شاء الله.

الإسلام هو دين الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: 85].

وقال الله عزَّجَلَّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ

لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

■ قال الإمام مسلم رحمه الله تعالى (1):

حَدَّثَنِي أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى - وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى - قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَهُوَ ابْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، أَنَّ الْيَهُودَ، قَالُوا لِعُمَرَ: إِنَّكُمْ تَقْرءُونَ آيَةً، لَوْ أَنْزَلَتْ فِيْنَا لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ حَيْثُ أَنْزَلَتْ، وَأَيَّ يَوْمٍ أَنْزَلَتْ، وَأَيَّنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ أَنْزَلَتْ، «أَنْزَلَتْ بِعَرَفَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ

(1) «صحيح مسلم» (3017).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ»، قَالَ سُفْيَانُ: أَشْكُ كَانَ يَوْمَ جُمُعَةٍ أَمْ لَا، يَعْنِي: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: 3].

■ وقال الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (1):

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ غِيْلَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَاصِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ زَرَّ بْنَ حُبَيْشٍ يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ» فَقَرَأَ عَلَيْهِ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [البينة: 1]، فَقَرَأَ فِيهَا: «إِنَّ ذَاتَ الدِّينِ عِنْدَ اللَّهِ الْخَفِيَّةُ الْمُسْلِمَةُ لَا الْيَهُودِيَّةُ وَلَا النَّصْرَانِيَّةُ، مَنْ يَعْمَلْ خَيْرًا فَلَنْ يُكْفَرَهُ» وَقَرَأَ عَلَيْهِ: «وَلَوْ أَنَّ لِلْبَنِ آدَمَ....».

الإسلام نسلج الشرائع والأديان الأخرى

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَفِهُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: 48].

وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾

[آل عمران: 85].

وقال: ﴿أَفْغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُوتُ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا

وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: 83].

■ وقال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (1):

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: وَأَخْبَرَنِي عَمْرُو، أَنَّ أَبَا يُونُسَ، حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».

■ وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (2):

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ نَافِعٍ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ نِكَاحِ النَّصْرَانِيَّةِ وَالْيَهُودِيَّةِ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْمُشْرِكَاتِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أَعْلَمُ مِنَ الْإِسْرَافِ شَيْئًا أَكْبَرَ مِنْ أَنْ تَقُولَ الْمَرْأَةُ: رَبُّهَا عِيسَى، وَهُوَ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ».

الإسلام يَدُلُّ إِلَى كُلِّ بَيْتٍ

■ وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (3):

حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سُلَيْمَ بْنَ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْمُقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتٌ مَدْرٍ، وَلَا وَبَرٍ إِلَّا

(1) «صحيح مسلم» (153).

(2) «صحيح البخاري» (5285).

(3) «مسند أحمد» (23814).

أَدْخَلَهُ اللَّهُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ، بِعَزِّ عَزِيزٍ أَوْ ذُلِّ ذَلِيلٍ، إِمَّا يُعِزُّهُمْ اللَّهُ فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ يُذِلُّهُمْ فَيَدِينُونَ لَهَا».

الإسلام يفتح الله به أُمِّيًّا عُمِيًّا وَآبِئَانَا صُفًّا وَقُلُوبًا مُلْقًا

قال الله تعالى: ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق: 11].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: 2].

وقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 103].

■ وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى (1):

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ، حَدَّثَنَا هِلَالٌ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَةِ؟ قَالَ: «أَجَلٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: 45]، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمِيتُكَ الْمَتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ

وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بَأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمَيَّا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا.

الإسلام باقى إلى قيام الساعة لا ينسلخه دين

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19].

■ وقال الإمام مسلم رحمه الله تعالى (1):

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنَزِيرَ، وَيَضَعَ الْحِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ».

■ وقال الإمام مسلم رحمه الله تعالى (2):

حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ شُجَاعٍ، وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، قَالُوا: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، قَالَ: «فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَوْا لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَمْرَاءُ تَكْرَمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ».

(1) «صحيح مسلم» (155).

(2) «صحيح مسلم» (156).

الإسلام طريق يسر

■ قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى (1):

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ آدَمَ بْنِ سُلَيْمَانَ،
مَوْلَى خَالِدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ، يُحَدِّثُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ
هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: 284]،
قَالَ: دَخَلَ قُلُوبُهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قُولُوا
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا» قَالَ: فَأَلْقَى اللَّهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿
لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ
نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ
عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، قَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ» ﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا﴾، قَالَ:
«قَدْ فَعَلْتُ».

■ وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى (2):

حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى،
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ
أُمَّتِي مَا وَسَّوَسْتُ بِهِ صُدُورُهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلِّمْ».

(1) «صحيح مسلم» (126).

(2) «صحيح البخاري» (887، 2528)، و«صحيح مسلم» (127).

■ وقال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى (1):

حَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، وَالْفَاظُ هُمْ مُتَقَارِبَةٌ، قَالُوا جَمِيعًا: عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي الْمُغِيرَةُ بْنُ حَكِيمٍ، عَنْ أُمِّ كُلْثُومِ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: أَعْتَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ حَتَّى ذَهَبَ عَامَّةُ اللَّيْلِ، وَحَتَّى نَامَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَوْ قُتِلَ لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي».

■ وقال أبو يعلى رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى (2):

حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَارِثٍ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ الْعِشَاءَ، فَقَالَ: «صَلَّى النَّاسُ وَرَقَدُوا وَأَنْتُمْ تَنْتَظِرُونَهَا، أَمَا إِنَّكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا أَنْتَظِرْتُمُوهَا»، ثُمَّ قَالَ: «لَوْلَا ضَعْفُ الضَّعِيفِ وَكِبَرُ الْكَبِيرِ لَأَخَّرْتُ هَذِهِ الصَّلَاةَ إِلَى شَطْرِ اللَّيْلِ».

(1) «صحيح مسلم» (638).

(2) «مسند أبي يعلى» (1939).

ومن مقالات الإسلام أنه حرم التشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال

وهذا يعتبر من كمال وحسن هذه الشريعة المطهرة.

قال البخاري رحمه الله⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ».

■ قال ابن حجر⁽²⁾:

«أَيُّ ذَمٍّ الْفَرِيقَيْنِ وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ اللَّعْنُ الْمَذْكُورُ فِي الْحَبَرِ...

وقوله: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ».

قَالَ الطَّبْرِيُّ: الْمَعْنَى لَا يَجُوزُ لِلرِّجَالِ التَّشَبُّهُ بِالنِّسَاءِ فِي اللَّبَاسِ وَالزِّيْنَةِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِالنِّسَاءِ وَلَا الْعَكْسُ قُلْتُ وَكَذَا فِي الْكَلَامِ وَالْمَشْيِ فَأَمَّا هَيْئَةُ اللَّبَاسِ فَتَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ عَادَةِ كُلِّ بَلَدٍ فَرُبَّ قَوْمٍ لَا يَفْتَرِقُ زِيَّ نِسَائِهِمْ مِنْ رِجَالِهِمْ فِي اللَّبَاسِ لَكِنْ يَمْتَّازُ النِّسَاءُ بِالْإِحْتِجَابِ وَالْإِسْتِتَارِ وَأَمَّا ذَمُّ التَّشَبُّهِ بِالْكَلَامِ وَالْمَشْيِ فَمُخْتَصٌّ بِمَنْ تَعَمَّدَ ذَلِكَ وَأَمَّا مَنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَصْلِ خَلْقِهِ فَإِنَّمَا يُؤْمَرُ بِتَكْلُفِ تَرْكِهِ وَالْإِدْمَانِ عَلَى ذَلِكَ بِالتَّدْرِيجِ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ وَتَمَادَى دَخَلَهُ الذَّمُّ وَلَا سِيَّمَا إِنْ بَدَأَ مِنْهُ مَا يَدُلُّ عَلَى الرِّضَا بِهِ وَأَخَذَ هَذَا وَاضِحٌ مِنْ لَفْظِ الْمُتَشَبِّهِينَ وَأَمَّا إِطْلَاقُ

(1) «صحيح البخاري» (5546).

(2) «فتح الباري» (10/332).

مَنْ أَطْلَقَ كَالنَّوِيِّ وَأَنَّ الْمُخَنَّثَ الْخَلْقِيَّ لَا يَتَّحِهُ عَلَيْهِ اللَّوْمُ فَمَحْمُولٌ عَلَى مَا إِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى تَرْكِ التَّشْنِي وَالتَّكْسُرِ فِي الْمَشْيِ وَالْكَلامِ بَعْدَ تَعَاطِيهِ الْمُعَالَجَةَ لِتَرْكِ ذَلِكَ وَإِلَّا مَتَى كَانَ تَرْكُ ذَلِكَ مُمَكِّنًا وَلَوْ بِالتَّنْذِيرِ فَتَرْكُهُ بِغَيْرِ عُذْرٍ لَحِقَهُ اللَّوْمُ».

■ وقال النووي في شرح حديث⁽¹⁾:

«قَوْلُهُ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ اخْتِنَاثِ الْأَسْقِيَةِ»، قَالَ فِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى: «وَاخْتِنَاثُهَا أَنْ يَقْلِبَ رَأْسَهَا حَتَّى يَشْرَبَ مِنْهُ».

الِاخْتِنَاثُ بِخَاءٍ مُعْجَمَةٍ ثُمَّ تَاءٍ مُثَنَّةٍ فَوْقَ ثُمَّ نُونٍ ثُمَّ أَلِفٍ ثُمَّ مُثَلَّثَةٍ وَقَدْ فَسَّرَهُ فِي الْحَدِيثِ، وَأَصْلُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ التَّكْسُرُ وَالْإِنْطَوَاءُ وَمِنْهُ سُمِّيَ الرَّجُلُ الْمُتَشَبِّهُ بِالنِّسَاءِ فِي طَبْعِهِ وَكَلَامِهِ وَحَرَكَاتِهِ مُخَنَّثًا».

وقال شيخنا العلامة الحجوري حفظه الله⁽²⁾ في «كشف الوعشاء»:

«هذا وليعلم أن الدعوة إلى إلغاء الفوارق بين الذكر والأنثى كفر أكبر مخرج من الملة، لأنه ردٌّ وتكذيبٌ لكتاب الله عَزَّجَلَّ وسنة رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - الثابتة الصريحة التي مبنى هذا البحث عليها، ومنها قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾».

فيا أيها المسلمون والمسلمات أذكركم بالله عَزَّجَلَّ وأذكركم بقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ

(1) «شرح النووي على مسلم» (13/193).

(2) «كشف الوعشاء».

سَوَاءَ السَّكِيلِ ﴿٧٧﴾ [المائدة]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ [الباقية]، وبقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ ﴿٢٧﴾ [النساء] اهـ.

الأمر بالهجرة من بلاد الكفار وترك الإقامة بينهم

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿١٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿١٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿١٩﴾ وَمَن يَهِاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٠﴾ [النساء].

■ قال البخاري رحمه الله⁽¹⁾:

باب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: 97] الآية.

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ الْمُقَرِّي، حَدَّثَنَا حَيْوَةُ، وَغَيْرُهُ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو الْأَسْوَدِ، قَالَ: قُطِعَ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ بَعْثٌ، فَاكْتَسَبْتُ فِيهِ، فَلَقِيتُ

عِكْرَمَةَ، مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَأَخْبَرْتُهُ، فَنهَانِي عَنْ ذَلِكَ أَشَدَّ النَّهْيِ، ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يُكْثِرُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ، عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى بِهِ فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ، فَيَقْتُلُهُ - أَوْ يُضْرِبُ فَيَقْتُلُ» - فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمًا لِنَفْسِهِمْ﴾ [النساء: 97] الآية.

■ وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهرائي المشركين وهو قادر على الهجرة، وليس متمكنا من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراما بالإجماع، وبنص هذه الآية حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمًا لِنَفْسِهِمْ﴾ أي بترك الهجرة، ﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾ أي لم مكثتم ها هنا وتركتم الهجرة؟ ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي لا نقدر على الخروج من البلد ولا الذهاب في الأرض ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً﴾ الآية.

وقال أبو داود: حدثنا محمد بن داود بن سفيان، حدثني يحيى بن حسان، أخبرنا سليمان بن موسى أبو داود، حدثنا جعفر بن سعد بن سمرة بن جندب، حدثني خبيب بن سليمان، عن أبيه سليمان بن سمرة، عن سمرة بن جندب: أما بعد، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من جامع المشرك وسكن معه فإنه

(1) «تفسير ابن كثير» (2/ 389).

■ ثم قال (2):

«وقوله: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضَعِفِينَ﴾ إلى آخر الآية هذه عذر من الله لهؤلاء فى ترك الهجرة وذلك أنهم لا يقدرّون على التخلص من أيدي المشركين ولو قدرّوا ما عرفوا يسلكون الطريق ولهذا قال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ قال مجاهد وعكرمة والسدي: يعنى طريقا.

وقوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ﴾ أى يتجاوز من الله عنهم بترك الهجرة عسى من الله موجبة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفْوَاً غَفُوراً﴾.

■ قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ (3):

«﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾ يقول: قالت الملائكة لهم: ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ فى أى شيء كنتم من دينكم؟ ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضَعِفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾، يعنى: قال الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم: ﴿كُنَّا مُسْتَضَعِفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ يستضعفنا أهل الشرك بالله فى أرضنا وبلادنا بكثرة عددهم وقوتهم، فيمنعوننا من الإيمان بالله، واتباع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معذرة ضعيفة وحجة واهية.

﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ يقول: فتخرجوا من أرضكم

(1) قلت: هو حسن، وهو فى «السلسلة الصحيحة» (2330).

(2) «تفسير ابن كثير» (2/ 389، 390).

(3) «جامع البيان» (9/ 100).

ودوركم وتفارقوا من يمنعكم بها من الإيمان بالله واتباع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الأرض التي يمنعكم أهلها من سلطان أهل الشرك بالله فتوحدوا الله فيها وتعبدوه وتتبعوا نبيه؟».

وقال القرطبي⁽¹⁾:

«وقول الملائكة: ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ سؤال تقرير وتوبيخ أي أكتتم في أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم كنتم مشركين! وقول هؤلاء: ﴿كُنَّا مُسْتَضَعِّفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني مكة اعتذار غير صحيح، إذ كانوا يستطيعون الحيل ويهتدون السبيل، ثم وقفتهم الملائكة على دينهم بقولهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً﴾ ويفيد هذا السؤال والجواب أنهم ماتوا مسلمين ظالمين لأنفسهم في تركهم الهجرة، وإلا فلو ماتوا كافرين لم يقل لهم شيء من هذا وإنما أضرب عن ذكرهم قي الصحابة لشدة ما واقعه ولعدم تعيين أحدهم بالإيمان، واحتمال رده والله أعلم».

قلت: وإن كثيراً من المسلمين تشبه بأعداء الله وأعداء دينه بسبب إقامته بين أظهر الكفار، بل كثير منهم صار يستحقّر المسلمين بسبب تأثره بهم عياداً بالله وذلك لأن نظرتهم صارت دنيوية بحتة، وهذا هو عين الضلال وسبب الفساد والتنازل عن الدين.

والإقامة بين أظهر الكفار حرام إلا لضرورة كعلاج ونحوه؛ نسأل الله العافية

(1) «الجامع لأحكام القرآن» (5/ 346).

نَهْيُ الْإِسْلَامِ عَنِ التَّشْبِهِ بِالْحَيَوَانِ

واعلم أن الله كَرَّمَ سائر المخلوقات على الكفار، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠) [الإسراء].

وهذه بعض الأدلة في النهي عن التشبه بالحيوان، لتعلم أن الله أراد للمسلم الرفعة، وأن الله كَرَّمَهُ وفضله على سائر المخلوقات.

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم، وتكريمه إياهم، في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها، كما قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4] أي: يمشي قائما منتصبا على رجليه، ويأكل بيديه - وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفيه - وجعل له سمعا وبصرا وفؤادا، يفقه بذلك كله ويتنفع به، ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدنيوية والدينية.

﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ﴾ أي: على الدواب من الأنعام والخيول والبغال، وفي «البحر» أيضا على السفن الكبار والصغار.

﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي: من زروع وثمار، ولحوم وألبان، من سائر أنواع الطعوم والألوان، المشتهاة اللذيذة، والمناظر الحسنة، والملابس الرفيعة من سائر الأنواع، على اختلاف أصنافها وألوانها وأشكالها، مما يصنعونه

(1) «تفسير ابن كثير» (5/ 97).

لأنفسهم، ويجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحي.

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿٧٠﴾ أي: من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات» اهـ.

قلت: فهذا يدل أن التشبه بالكفار أعظم جرماً وأكبر إثماً من التشبه بالحيوانات لأنها أفضل منهم، بل هي طائفة لربها تعالى منيعة له، بخلاف الذين غضب الله عليهم.

■ وقال البخاري رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اعْتَدِلُوا فِي السُّجُودِ، وَلَا يَبْسُطُ ذِرَاعِيهِ كَالْكَلْبِ...».

■ قال الطبراني⁽²⁾:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْبَرَاءِ قَالَ: نَا الْمُعَاذِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: نَا مُوسَى بْنُ أَعْيَنَ، عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «أَوْصَانِي خَلِيلِي وَصَفِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ، وَنَهَانِي عَنْ ثَلَاثٍ: أَمَرَنِي بِرُكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ لَا أَنَامَ إِلَّا عَلَى وَتَرٍ، وَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَنَهَانِي: إِذَا سَجَدْتُ أَنْ أَقْعِيَ إِقْعَاءَ الْقِرْدِ، أَوْ أَنْقَرُ نَقْرَ الْغُرَابِ، أَوْ أَلْتَفِتَ

(1) «صحيح البخاري» (532).

(2) «المعجم الأوسط» (5275).

التِّفَاتِ الثَّعْلَبِ.

والحديث ضعيف لكن له طرق يتقوى بها المراد فموسى بن أعين ثقة.

وليث بن أبي سليم قال الذهبي: فيه ضعف يسير من سوء حفظه، بعضهم احتج به.

والمعافى بن سليمان الجزرى، أبو محمد ثقة.

■ وقال الإمام أحمد بن حنبل⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ، وَنَهَانِي عَنْ ثَلَاثٍ: «أَمَرَنِي بِرَكَعَتِي الضُّحَى كُلَّ يَوْمٍ، وَالْوُتْرَ قَبْلَ النَّوْمِ، وَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَنَهَانِي عَنْ نَقْرَةِ كَنْقَرَةِ الدِّيكِ، وَإِقْعَاءِ كَأْقَعَاءِ الْكَلْبِ، وَالتِّفَاتِ كَالْتِّفَاتِ الثَّعْلَبِ».

شريك بن عبد الله بن أبي نمر القرشي، أبو عبد الله المدني، قال ابن حجر: صدوق يخطيء، وقال ابن معين: لا بأس به. لكن قد توبع كما سيأتي.

ويزيد بن أبي زياد الهاشمي مولا هم الكوفي، قال ابن حجر: ضعيف كبير فتغير و صار يتلقن.

■ قال أبو داود الطيالسي⁽²⁾:

(1) «مسند أحمد» (8106).

(2) «مسند أبي داود الطيالسي» (2716).

حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، عَمَّنْ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: أَمَرَنِي حَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ، وَنَهَانِي عَنْ ثَلَاثٍ: «أَمَرَنِي بِرُكْعَتَيِ الضُّحَى، وَصَوْمِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنَ الشَّهْرِ، وَالْوُتْرِ قَبْلَ النَّوْمِ وَنَهَانِي عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ الْإِلْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ كَالْتِفَاتِ الثَّعْلَبِ، وَإِقْعَاءِ كِإِقْعَاءِ الْقِرْدِ، وَنَقْرِ كَنْقَرِ الدَّيْكِ».

وهذا إسناد فيه مجهول.

■ قال ابن القيم⁽¹⁾:

«وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى في الصلاة عن التشبه بالحيوانات، فنهى عن بروك كبروك البعير، والتفات كالتفات الثعلب، وافتراش كافتراش السبع، وإقعاء كإقعاء الكلب، ونقر كنقر الغراب، ورفع الأيدي وقت السلام كأذنان الخيل الشمس، فهدي المصلي مخالف لهدي الحيوانات».

■ ولشيخ الإسلام كلام طيب حيث قال⁽²⁾:

«فصل: التشبه بالبهائم في الأمور المذمومة في الشرع مذموم منهى عنه: في أصواتها وأفعالها؛ ونحو ذلك مثل: أن ينبح نباح الكلاب؛ أو ينهق نهيق الحمير ونحو ذلك.

وذلك لوجوه:

أحدها: أننا قررنا في «اقتضاء الصراط المستقيم» نهى الشارع عن التشبه

(1) «زاد المعاد» (1/ 217، 218).

(2) «مجموع الفتاوى» (32/ 257).

بالآدميين الذين جنسهم ناقص كالتشبه؛ بالأعراب وبالأعاجم وبأهل الكتاب ونحو ذلك: في أمور من خصائصهم وبيناً أن من أسباب ذلك أن المشابهة تورث مشابهة الأخلاق؛ وذكرنا أن من أكثر عشرة بعض الدواب اكتسب من أخلاقها: كالكلاب والجمالين. وذكرنا ما في النصوص من ذم أهل الجفاء وقسوة القلوب: أهل الإبل ومن مدح أهل الغنم؛ فكيف يكون التشبه بنفس البهائم فيما هي مذمومة بل هذه القاعدة تقتضي بطريق التنبيه النهي عن التشبه بالبهائم مطلقاً فيما هو من خصائصها وإن لم يكن مذموماً بعينه؛ لأن ذلك يدعو إلى فعل ما هو مذموم بعينه؛ إذ من المعلوم أن كون الشخص أعرابياً أو عجمياً خير من كونه كلباً أو حماراً أو خنزيراً فإذا وقع النهي عن التشبه بهذا الصنف من الآدميين في خصائصه؛ لكون ذلك تشبهاً فيما يستلزم النقص ويدعو إليه: فالتشبه بالبهائم فيما هو من خصائصها أولى أن يكون مذموماً ومنهياً عنه.

الوجه الثاني: أن كون الإنسان مثل البهائم مذموم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأعراف].

الوجه الثالث: أن الله سبحانه إنما شبه الإنسان بالكلب والحمار ونحوهما في معرض الذم له كقوله: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا ۚ بَيَّانًا فَأَقْصِصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا ۚ بَيَّانًا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ

يَحْمِلُ أَثْقَارًا ﴿[الجمعة: 5] الآية. وإذا كان التشبه بها إنما كان على وجه الذم من غير أن يقصد المذموم التشبه بها: فالقاصد أن يتشبه بها أولى أن يكون مذموماً؛ لكن إن كان تشبه بها في عين ما ذمه الشارع: صار مذموماً من وجهين. وإن كان فيما لم يذمه بعينه: صار مذموماً من جهة التشبه المستلزم للوقوع في المذموم بعينه. يؤيد هذا.

الوجه الرابع: وهو قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصحيح: «العائد في هبته كالعائد في قيئه؛ ليس لنا مثل السوء». ولهذا يذكر: أن الشافعي وأحمد تناظرا في هذه المسألة فقال له الشافعي: الكلب ليس بمكلف. فقال له أحمد: ليس لنا مثل السوء. وهذه الحجة في نفس الحديث؛ فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يذكر هذا المثل إلا ليبين أن الإنسان إذا شابه الكلب كان مذموماً وإن لم يكن الكلب مذموماً في ذلك من جهة التكليف؛ ولهذا ليس لنا مثل السوء. والله سبحانه قد بين بقوله: ﴿سَاءَ مَثَلًا﴾ [الأعراف: 177]، أن التمثيل بالكلب مثل سوء والمؤمن منزّه عن مثل السوء. فإذا كان له مثل سوء من الكلب كان مذموماً بقدر ذلك المثل السوء.

الوجه الخامس: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب»، وقال: «إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأّت شيطانا»، فدل ذلك على أن أصواتها مقارنة للشياطين وأنها منفرة للملائكة. ومعلوم أن المشابه للشيء لا بد أن يتناوله من أحكامه بقدر المشابهة فإذا نبّح نباحها كان في ذلك من مقارنة

الشياطين وتنفير الملائكة بحسبه. وما يستدعي الشياطين وينفر الملائكة: لا يباح إلا لضرورة؛ ولهذا لم يبح اقتناء الكلب إلا لضرورة؛ لجلب منفعة: كالصيد. أو دفع مضرة عن الماشية والحرث حتى قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من اقتنى كلبا إلا كلب ماشية أو حرث أو صيد نقص من عمله كل يوم قيراط».

وبالجملة: فالتشبه بالشيء يقتضي من الحمد والذم بحسب الشبه؛ لكن كون المشبه به غير مكلف لا ينفي التكليف عن المتشبه كما لو تشبه بالأطفال والمجانين. والله سبحانه أعلم.

الوجه السادس: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال»، وذلك لأن الله خلق كل نوع من الحيوان وجعل صلاحه وكماله في أمر مشترك بينه وبين غيره وبين أمر مختص به. فأما الأمور المشتركة فليست من خصائص أحد النوعين؛ ولهذا لم يكن من مواقع النهي؛ وإنما مواقع النهي الأمور المختصة. فإذا كانت الأمور التي هي من خصائص النساء ليس للرجال التشبه بهن فيها والأمور التي هي من خصائص الرجال ليس للنساء التشبه بهن فيها: فالأمور التي هي من خصائص البهائم لا يجوز للآدمي التشبه بالبهائم فيها بطريق الأولى والأخرى. وذلك لأن الإنسان بينه وبين الحيوان قدر جامع مشترك وقدر فارق مختص ثم الأمر المشترك: كالأكل والشرب والنكاح والأصوات والحركات؛ لما اقترنت بالوصف المختص كان للإنسان فيها أحكام تخصه؛ ليس له أن يتشبه بما يفعله الحيوان فيها. فالأمور المختصة به أولى؛ مع أنه في الحقيقة لا مشترك بينه وبينها؛ ولكن فيه أوصاف تشبه أوصافها من بعض الوجوه. والقدر المشترك إنما وجوده في

الذهن؛ لا في الخارج. وإذا كان كذلك فالله تعالى قد جعل الإنسان مخالفاً بالحقيقة للحيوان وجعل كماله وصلاحه في الأمور التي تناسبه وهي جميعها لا يماثل فيها الحيوان؛ فإذا تعدد مماثلة الحيوان وتغيير خلق الله: فقد دخل في فساد الفطرة والشرعة وذلك محرم. والله أعلم».

من الصواعق والأسباب المفضية للتشبه بالكفار

ومن أبرز الأسباب التي تجعل الكثير من المسلمين يتشبهون بأعدائهم بعد مشيئة الله الكونية.

- (1) الجهل بدين الله تعالى، والحرص على علوم الدنيا.
- (2) عدم الحرص على التمسك بالدين.
- (3) البعد عن العلماء، والبعد عن مجالسة أهل الدين.
- (4) مخالطة الكفار سواء بالإقامة بين ظهراي الكفار، وعدم الهجرة كذلك من الأسباب التي جعلت الكثير من المسلمين يتشبهون بأعدائهم، أو ببقائهم في بلاد المسلمين.
- (5) ظهور علماء الهوى والدنيا والمفتين بالباطل والشر الذين يتشبهون بالكفار أنفسهم فيكون ذلك فتنة لكل مفتون.
- (6) الديمقراطية الكفرية التي تجعل كثيرًا من الناس متمرنا على ما يريد، وتسبب الخلل بين المسلمين ووجود النصارى وغيرهم من الكفار وتسمح بالحرية في العقيدة والدين - والعياذ بالله -.
- (7) عدم معرفة أحكام الإسلام، والجهل بعزة هذا الدين، والجهل

بسماحته وشموليته.

(8) حب الدنيا والتهالك عليها كذلك من الأسباب التي جعلت الكثير من المسلمين يتشبهون بأعدائهم.

(9) التلفاز والدشوش والقنوات الفضائية والإعلام الفاسد والصور الخليعة كذلك من الأسباب التي جعلت الكثير من المسلمين يتشبهون بأعدائهم.

النهْيُ عَنْ ابْتِغَاءِ سُنَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ، حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ، وَمُبْتِغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَلَبٌ دَمِ امْرِئٍ بغيرِ حَقٍّ لِيَهْرِيقَ دَمَهُ».

قلت: ننبه أن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ قال⁽²⁾: «وأیضا ما رواه مسلم في صحيحه عن نافع بن جبير بن مطعم عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ، وَمُبْتِغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ جَاهِلِيَّةٍ، وَمُطَلَبٌ دَمِ امْرِئٍ بغيرِ حَقٍّ لِيَهْرِيقَ دَمَهُ»؛ والحديث رواه البخاري ولم يخرج مسلم.

(1) «صحيح البخاري» (6882).

(2) «اقتضاء الصراط المستقيم» (1/252).

■ قال ابن حجر⁽¹⁾:

«قَوْلُهُ: «وَمُبْتِغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ»، أَيُّ يَكُونُ لَهُ الْحَقُّ عِنْدَ شَخْصٍ فَيَطْلُبُهُ مِنْ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَا يَكُونُ لَهُ فِيهِ مُشَارَكَةٌ كَوَالِدِهِ أَوْ وَلَدِهِ أَوْ قَرِيبِهِ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ مَنْ يُرِيدُ بَقَاءَ سِيرَةِ الْجَاهِلِيَّةِ أَوْ إِشَاعَتَهَا أَوْ تَنْفِيذَهَا. وَسُنَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ اسْمُ جَنْسٍ يَعُمُّ جَمِيعَ مَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْتَمِدُونَهُ مِنْ أَخْذِ الْجَارِ بِجَارِهِ، وَالْحَلِيفِ بِحَلِيفِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ وَيَلْتَحِقُ بِذَلِكَ مَا كَانُوا يَعْتَقِدُونَهُ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ مَا جَاءَ الْإِسْلَامُ بِتَرْكِهِ كَالطَّيْرَةِ وَالْكَهَانَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ».

■ قال المناوي⁽²⁾:

«سُنَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ»، أَيُّ إِحْيَاءِ طَرِيقَةِ أَهْلِ زَمَنِ الْفَتْرَةِ سَمِيَ بِهِ لِكَثْرَةِ الْجَهَالَةِ فِيهِ كَقَتْلِ الْبَنَاتِ وَالطَّيْرَةِ وَالْكَهَانَةِ وَالنِّاحَةِ وَالْمَيْسِرِ وَالنِّيرُوزِ وَمَنْعِ الْقُودِ عَنْ مُسْتَحَقِّهِ وَطَلَبِ الْحَقِّ مِمَّنْ لَيْسَ عَلَيْهِ كَأَصْلُهُ وَفِرْعُهُ فإِطْلَاقُ السَّنَةِ عَلَى فِعْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَرَدُّ عَلَى أَصْلِ اللَّغَةِ أَوْ لِلتَّهْكِيمِ».

(1) «فتح الباري» (12/ 211).

(2) «فيض القدير» (1/ 81).

النهي عن دخول مساكن الكفار وقد أهلكوا فكيف بالإتلاء

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا مَرَّ بِالْحِجْرِ قَالَ: «لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ» ثُمَّ تَفَنَعَ بِرِدَائِهِ وَهُوَ عَلَى الرَّحْلِ.

■ وقال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ⁽²⁾:

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، جَمِيعًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِ الْحِجْرِ: «لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمُعَذِّبِينَ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ».



(1) «صحيح البخاري» (3380).

(2) «صحيح مسلم» (2980).

فصل: ذكر الأدلة المبيّنة تحريم التشبه بالكفار

من مشركين وأهل الكتاب

وما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من النهي

عن اتباع سبيل الكفار أو التشبه بهم

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران).

■ قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«قال أكثر المفسرين: هم اليهود والنصارى. وهو الصواب، وقال بعضهم: المبتدعة من هذه الأمة».

والصواب أنهم لم يعملوا بهذه الآية فشابهوهم.

■ وقال⁽²⁾:

«وقال أبو أمانة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هم الحرورية بالشام.

قال عبد الله بن شداد: وقف أبو أمانة وأنا معه على رأس الحرورية بالشام،

فقال: هم كلاب النار، كانوا مؤمنين فكفروا بعد إيمانهم، ثم قرأ: ﴿وَلَا تَكُونُوا

كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ

إِيْمَانِكُمْ﴾ [آل عمران: 106].

(1) «معالم التنزيل في تفسير القرآن» (1/489).

(2) «معالم التنزيل في تفسير القرآن» (1/489).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

﴿١٩﴾ [الحشر].

وهذه الآية عامة في كل من نسي الله من المشركين الذين نسوا ربهم نسياناً كلياً، أو المبتدعة والفساق الذين نسوا بعض دينه.

■ قال القرطبي⁽¹⁾:

«قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ أي تركوا أمره، ﴿فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ أن يعلموا لها خيراً، قاله ابن حبان. وقيل: نسوا حق الله فأنساهم حق أنفسهم، قاله سفيان. وقيل: ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ بترك شكره وتعظيمه.

﴿فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ بالعذاب أن يذكر بعضهم بعضاً حكاة ابن عيسى وقال سهل بن عبد الله: ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ عند الذنوب، ﴿فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ عند التوبة. ونسب تعالى الفعل إلى نفسه في فأنساهم إذ كان ذلك بسبب أمره ونهيه الذي تركوه. وقيل: معناه وجدهم تاركين أمره ونهيه، كقولك: أحمدت الرجل إذا وجدته محموداً.

وقيل: ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ لفني الرخاء ﴿فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ في الشدائد.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، قال ابن جبير: العاصون. وقال ابن زيد: الكاذبون. وأصل الفسق الخروج، أي الذين خرجوا عن طاعة الله.

(1) «الجامع لأحكام القرآن» (43/18).

▪ وقال البغوي⁽¹⁾:

« وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ » تركوا أمر الله « فَأَنسَهُم أَنفُسَهُمْ » أي حظوظ أنفسهم حتى لم يقدموا لها خيراً، « أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ».

▪ قال الشوكاني⁽²⁾:

« وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ » أي تركوا أمره أو ما قدره حق قدره أو لم يخافوه أو جميع ذلك، « فَأَنسَهُم أَنفُسَهُمْ » أي: جعلهم ناسين لها بسبب نسيانهم له، فلم يشتغلوا بالأعمال التي تنجيهم من العذاب، ولم يكفوا عن المعاصي التي توقعهم فيه، ففي الكلام مضاف محذوف، أي: أنساهم حظوظ أنفسهم. قال سفيان: نسوا حق الله فأنساهم حق أنفسهم، وقيل: نسوا لله في الرخاء فأنساهم أنفسهم في الشدائد، « أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » أي: الكاملون في الخروج عن طاعة الله.

ولذا فمشابھتهم من عدم اتباع سبيل المؤمنين، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء].

ومشابھتهم سبب عظيم يفضي إلى الموت على ملتهم وسبيلهم، والردة عن دين الله، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۖ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ ۖ

(1) «معالم التنزيل في تفسير القرآن» (5/ 66).

(2) «فتح القدير» (5/ 245).

فَأُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ [البقرة].

وفي مشابهتهم نوع مودة لهم ومحبة لما هم عليه.

■ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

«وعليه، فمشابهة أهل الكتاب والأعاجم ونحوهم، لا بد أن تورث عند المسلم نوع مودة لهم، أو هي على الأقل مظنة المودة، فتكون محرمة من هذا الوجه سدًّا للذريعة، وحسماً لعادة حب الكافرين والولاء لهم، فضلاً عن كونها محرمة من وجوه أخرى بالنصوص الواردة وغيرها».

(1) «اقتضاء الصراط المستقيم» (1/45).

حديث أبي سعيد رضي الله عنه

والآن إلى الشروع في التعليق على الحديث بما يسره الله، فأقول مستعينا بالله:

■ قال البخاري رحمه الله⁽¹⁾:

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتُبْعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ الصَّنْعَانِيُّ، مِنْ اليمَنِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَتُبْعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شَبْرًا شَبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ».

وفي رواية البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا، شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَفَارِسَ وَالرُّومَ؟ فَقَالَ: «وَمِنْ النَّاسِ إِلَّا أَوْلَئِكَ»⁽²⁾.

وفي الباب، مما يؤيد حديث أبي سعيد:

■ قال الحاكم⁽³⁾:

(1) «صحيح البخاري» (7320)؛ و«صحيح مسلم» (2669) من طريق زيد بن أسلم به؛ و«مسند أحمد» (11800)؛ و«صحيح ابن حبان» (6703)، قال: ذَكَرَ الْبَيَّانُ بَأْنَ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ» أَرَادَ بِهِ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ؛ وغيرهم.

(2) «صحيح البخاري» (7319).

(3) «المستدرک على الصحيحين للحاكم» (8404).

حَدَّثَنَا أَبُو أُوَيْسٍ الْمَدِينِيُّ، حَدَّثَنِي ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ، وَمُوسَى بْنُ مَيْسَرَةَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِيرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ دَخَلَ حُجْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمْ، وَحَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ جَامَعَ امْرَأَتَهُ بِالطَّرِيقِ لَفَعَلْتُمُوهُ».

■ وقال عبد الرزاق⁽¹⁾:

أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ الدَّيْلِيِّ، عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ حُنَيْنٍ فَمَرَرْنَا بِالسُّدْرَةِ، فَقُلْنَا: أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا هَذِهِ ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لِلْكَفَّارِ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، وَكَانَ الْكَفَّارُ يَنْوُطُونَ سِلَاحَهُمْ بِسُدْرَةٍ، وَيَعْكُفُونَ حَوْلَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾» [الأعراف: 138] إِنَّكُمْ تَرْكَبُونَ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ».

■ قال الطبراني⁽²⁾:

حَدَّثَنَا عَبْدَانُ بْنُ أَحْمَدَ، ثنا مُؤَمَّلُ بْنُ إِهَابٍ، ثنا النَّضْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَرَشِيُّ، ثنا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتَتَّبِعَنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا بِشِيرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا حُجْرَ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ إِلَّا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى».

(1) «جامع معمر بن راشد» (20763).

(2) «المعجم الكبير» (5943).

ويحيى بن عثمان بن صالح السهمي صدوق، قال ابن أبي حاتم تكلم فيه.
والحديث حسن في الباب.

■ وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ إِسْحَاقَ، أَخْبَرَنَا ابْنُ لَهِيْعَةَ، عَنْ بَكْرِ بْنِ سَوَادَةَ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبَنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِثْلًا بِمِثْلٍ».

وابن لهيعة ضعيف يقبل حديثه في الشواهد، وبكر بن سوادة ثقة.

وقال أبو يعلى⁽²⁾:

6292 - حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا أَبُو مَعْشَرٍ الْمَدَنِيُّ، عَنْ سَعِيدِ الْمُقْبَرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتَأْخُذَنَّ كَمَا أَخَذَتِ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ ذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، وَشِبْرًا بِشِبْرٍ، وَبَاعًا بِبَاعٍ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدًا أُولَيْكَ دَخَلَ جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنَّ شِئْتُمُ الْقُرْآنَ: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً﴾ [التوبة: 69] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمَا فَعَلْتَ فَارِسُ وَالرُّومُ؟ قَالَ: «فَمَا النَّاسُ إِلَّا هُمْ؟».

والحديث حسن بشواهد من أجل السندي أبو معشر ضعيف.

■ ومن الباب ما قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

(1) «مسند أحمد» (22878).

(2) «مسند أبي يعلى» (6292).

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ، عَنِ الْمُقْبِرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخِذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَفَّارِسَ وَالرُّومِ؟ فَقَالَ: «وَمِنَ النَّاسِ إِلَّا أُولَئِكَ».

وورد بزيادة: «وَحَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ جَامَعَ أُمَّهُ بِالطَّرِيقِ لَفَعَلْتُمْ».

قال الألباني⁽²⁾:

«رواه الدولابي في «الكنى» (2 / 30)، و الحاكم (4 / 455)، عن إسماعيل بن أبي أويس عن أبيه عن أبي عروة موسى بن ميسرة الديلمي و ابن أخيه ثور الديلمي بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا. قال: و لا أعلمهما إلا حدثاني مثل ذلك سواء عن أبي الغيث سالم مولى بن مطيع عن أبي هريرة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. و ليس عند الحاكم: «قال: و لا أعلمهما...» وقال: «صحيح و وافقه الذهبي».

قلت - أي الألباني -: رجاله رجال الصحيح غير موسى بن ميسرة الديلمي و هو ثقة على أنه متابع.

و أبو أويس اسمه عبد الله بن عبد الله بن أويس الأصبحي، و هو مع كون مسلم احتج به، ففيه ضعف و كذلك ابنه إسماعيل لكن هذا قد توبع فقال ابن

(1) «صحيح البخاري» (7319).

(2) «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (1348).

نصر في «السنة» (13): حدثنا محمد بن يحيى أنبأنا إسماعيل بن أبان الوراق (حدثنا) أبو أويس عن ثور بن زيد عن عكرمة به. و قال: البزار في «مسنده» (235 - زوائده): حدثنا محمد بن عمر بن هياج الكوفي حدثنا إسماعيل بن صبيح حدثنا أبو أويس عن ثور ابن زيد عن عكرمة به. و قال: «لا نعلمه إلا بهذا الإسناد، و ثور مدني ثقة، إسناد حسن».

قلت - أي الألباني -: وهو كما قال إن شاء الله تعالى أنه إسناد حسن لما علمت من حال أبي أويس و سائر رجاله ثقات. بل الحديث صحيح، فإن له شاهد من حديث عبد الله بن عمرو نحوه، أخرجه الترمذي و الحاكم (1/ 129) بسند ضعيف كما بينته في «تخريج المشكاة» (171)، و له شاهد آخر في «المجمع» (7/ 261).

تَنْبِيْهُ: ذكر المناوي في «الفيض» أن الحديث أخرجه الحاكم في «الإيمان» وقال: على شرط مسلم و أقره الذهبي. و هذا من أوهامه رَحْمَةُ اللَّهِ، فإن الحاكم إنما أخرجه في «الفتن و الملاحم» في المكان الذي سبقت الإشارة إليه و لم يصححه على شرط مسلم و إنما صححه مطلقاً و أقره الذهبي، و في «الإيمان» إنما هو حديث آخر عن أبي هريرة مرفوعاً بهذا المعنى و ليس في «و حتى و لو أن أحدهم...». و في «المجمع» (7 / 261): «رواه البزار و رجاله ثقات».

✍ ترجمة أبي سعيد من الإصابة في تمييز الصحابة:

■ قال ابن حجر⁽¹⁾:

«سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبرج، وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد الخدري.

مشهور بكنيته، استصغر بأحد، واستشهد أبوه بها وغزا هو ما بعدها.

روى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكثير. وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت وغيرهم.

روى عنه من الصحابة: ابن عباس وابن عمر وجابر ومحمود بن لبيد، وأبو أمامة بن سهل، وأبو الطفيل. ومن كبار التابعين: ابن المسيب، وأبو عثمان النهدي، وطارق بن شهاب، وعبيد بن عمير، وممن بعدهم: عطاء وعياض بن عبد الله بن أبي سرح، وبشر سعيد، ومجاهد، وأبو المتوكل الناجي، وأبو نضرة، ومعبد بن سيرين، وعبد الله بن محيريز، وآخرون.

وهو مكثر من الحديث، قال حنظلة بن أبي سفيان، عن أشياخه: كان من أفقه أحداث الصحابة».

■ وقال⁽²⁾:

«وقال علي بن الجعد: حدثنا شعبة، عن سعيد بن يزيد، سمع أبا نضرة يحدث عن أبي سعيد، قال: تحدثوا، فإن الحديث يهيج الحديث.

(1) «الإصابة في تمييز الصحابة» (3/ 65، 66).

(2) «الإصابة في تمييز الصحابة» (3/ 67).

قال الواقدي: مات سنة أربع وسبعين. وقيل أربع وستين. وقال المدائني: مات سنة ثلاث وستين. وقال العسكري: مات سنة خمس وستين.

قلت: وغالب ما ذكر صح سنده، إلا ما روى عبد المهيم بن عباس بن سهل بن سعد فهو ضعيف.

❦ فائدة في حكم مشابهتهم فيما ليس من شرعنا :

■ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ (1): «فصل: مشابهتهم فيما ليس من شرعنا قسمان:

أحدهما: مع العلم بأن هذا العمل هو من خصائص دينهم ؛ فهذا العمل الذي هو من خصائص دينهم: إما أن يفعل لمجرد موافقتهم - وهو قليل - وإما لشهوة تتعلق بذلك العمل، وإما لشبهة فيه تخيل أنه نافع في الدنيا أو الآخرة، وكل هذا لا شك في تحريمه، لكن يبلغ التحريم في بعضه إلى أن يكون من الكبائر، وقد يصير كفرا بحسب الأدلة الشرعية.

وأما عمل لم يعلم الفاعل أنه من عملهم، فهو نوعان:

أحدهما: ما كان في الأصل مأخوذا عنهم، إما على الوجه الذي يفعلونه، وإما مع نوع تغيير في الزمان أو المكان أو الفعل ونحو ذلك، فهذا غالب ما يتلى به العامة: في مثل ما يصنعونه في الخميس الحقيق والميلاد ونحوهما، فإنهم قد نشئوا على اعتياد ذلك، وتلقاه الأبناء عن الآباء، وأكثرهم لا يعلمون

(1) «اقتضاء الصراط المستقيم» (1/ 552، 553).

مبدأ ذلك، فهذا يعرف صاحبه حكمه، فإن لم يتنه وإلا صار من القسم الأول.

النوع الثاني: ما ليس في الأصل مأخوذا عنهم، لكنهم يفعلونه أيضاً، فهذا ليس فيه محذور المشابهة، ولكن قد يفوت فيه منفعة المخالفة، فتتوقف كراهة ذلك وتحريمه على دليل شرعي وراء كونه من مشابھتهم، إذ ليس كوننا تشبهنا بهم بأولى من كونهم تشبهوا بنا، فأما استحباب تركه لمصلحة المخالفة إذا لم يكن في تركه ضرر؛ فظاهر لما تقدم من المخالفة، وهذا قد توجب الشريعة مخالفتهم فيه.

وقد توجب عليهم مخالفتنا: كما في الزي ونحوه، وقد يقتصر على الاستحباب، كما في صبغ اللحية والصلاة في النعلين، والسجود، وقد تبلغ الكراهة، كما في تأخير المغرب والفطور، بخلاف مشابھتهم فيما كان مأخوذا عنهم، فإن الأصل فيه التحريم كما قدمناه اهـ.

❦ **قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من تشبه بقوم فهو منهم»:**

▪ قال الإمام أحمد⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ ثَابِتٍ بْنُ ثَوْبَانَ، حَدَّثَنَا حَسَّانُ بْنُ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي مُنِيبٍ الْجُرَشِيِّ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الدَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ

(1) «مسند أحمد» (5115، 5667).

والحديث حسنه شيخ الإسلام وابن كثير وجماعة.

▪ قال الشيخ الألباني⁽¹⁾:

«(صحيح) انظر حديث رقم: 2831 في «صحيح الجامع»».

▪ وعلقه البخاري، فقال⁽²⁾:

«وَيُذَكَّرُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي»».

وقال الألباني رحمه الله⁽³⁾:

«قلت: وهذا إسناد حسن رجاله كلهم ثقات غير ابن ثوبان هذا ففيه خلاف وقال الحافظ في «التقريب». «صدوق يخطئ وتغير بآخره». وقد علق البخاري في «صحيحه» (6 / 72) الجملة التي قبل الأخيرة والتي قبلها ولأبي داود منه (4031) الجملة الأخيرة. ولم يتفرد به ابن ثوبان فقال الطحاوي في «مشكل الآثار». (1 / 88): حدثنا أبو أمية حدثنا محمد بن وهب بن عطية ثنا الوليد بن مسلم ثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية به.

قلت: وهذا إسناد رجاله ثقات غير أبي أمية واسمه محمد بن ابراهيم

(1) «الجامع الصغير وزيادته» (5142).

(2) «صحيح البخاري» (40 / 4).

(3) «إرواء الغليل» (1269).

الطرسوسي قال الحافظ في «التقريب صدوق صاحب حديث يهم». والوليد بن مسلم ثقة محتج به في الصحيحين ولكنه كان يدلّس تدليس التسوية فإن كان محفوظا عنه فيخشى أن يكون سواه! وقد خالفه في إسناده صدقة فقال: عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به. أخرجه الهروي (ق 54 / 1) من طريق عمر وابن أبي سلمة حدثنا صدقة به. وصدقة هذا هو ابن عبد الله السمين الدمشقي وهو ضعيف. وخالفهما عيسى بن يونس فقال: عن الأوزاعي عن سعيد بن جبلة عن طاوس أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: فذكره.

أخرجه ابن أبي شيبة (7 / 152 / 1).

قلت: وهذا مرسل وقد ذكره الحافظ في «الفتح» (6 / 72) من رواية ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبلة مرسلا لم يذكر فيه طاوسا وقال: «إسناده حسن». كذا قال ورجاله ثقات رجال الشيخين غير سعيد بن جبلة وقد أورده ابن أبي حاتم (2 / 1 / 10) من رواية الأوزاعي عنه وقال عن أبيه: «هو شامي». ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا وهو على شرط ابن عساكر في «تاريخه» ولم يورده فيه.

ثم أخرجه الهروي (54 / 1 - 2) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (1 / 129) من طريق بشر بن الحسن الأصبهاني ثنا الزبير بن عيسى عن أنس ابن مالك مرفوعا به. قلت: وبشر هذا متروك متهم فلا يفرح بحديثه وقد روي من حديث ابن عمرو بنحوه وهو المذكور في الكتاب بعده: (1270) - حديث «ليس منا

من تشبه بغيرنا» (ص / 303) ضعيف بهذا اللفظ. أخرجه الترمذي (2 / 116) والقضاعي في «مسند الشهاب» (ق 98 / 1) اهـ.

▪ وقال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ ثَابِتٍ، حَدَّثَنَا حَسَّانُ بْنُ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي مُنِيبٍ الْجُرَشِيِّ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ».

وهذا إسناد جيد.

▪ وقال أبو الحسن الهيثمي⁽²⁾:

«وَعَنِ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «لَا تَتْرُكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ شَيْئًا مِنْ سُنَنِ الْأَوَّلِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُ».

رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ».

▪ قلت: رواه الطبراني فقال⁽³⁾:

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ رِشْدِينَ قَالَ: نا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ: نا ابْنُ لَهِيْعَةَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَمْرٍو الْمَعَاوِرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبْلِيِّ، عَنِ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَتْرُكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ شَيْئًا مِنْ سُنَنِ الْأَوَّلِينَ حَتَّى

(1) «سنن أبي داود» (4031).

(2) «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (12107).

(3) «المعجم الأوسط» (313).

تَأْتِيَهُ».

لَا يُرَوَّى هَذَا الْحَدِيثُ عَنِ الْمُسْتَوْدِ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، تَفَرَّدَ بِهِ: ابْنُ لَهْيَعَةَ.

فالحديث حسن لغيره من أجل ابن لهيعة، وقول من صححه فيه تساهل.

■ وقال سعيد بن منصور⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا سَعِيدٌ قَالَ: نَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيَّاشٍ، عَنْ أَبِي عُمَيْرٍ الصُّورِيِّ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، وَجَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجَعَلَ الذُّلَّ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَنِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ».

وهذا حديث مرسل، وهو في الباب.

الشرح:

أخبر الصادق المصدوق أن عصاة المسلمين سيتبعون اليهود والنصارى ويقلدونهم في لباسهم ومأكلهم وأخلاقهم وكلامهم وتفرقهم وتحزباتهم وانتخاباتهم ودراساتهم وأنظمتهم وقوانينهم حتى قال: «حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحَرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ».

فقوله: «سنن»، السنن هي الطرق، والسنة هي الطريقة.

وقوله: «من كان قبلكم»، «من كان قبلكم» فسرهم في الحديث: «اليهود والنصارى».

(1) «سنن سعيد بن منصور» (2370).

فقوله «لتتبعن» اللام لام القسم. والاتباع هو الاقتفاء والمشابهة.

وذكر جحر الضب لعسره والتوائه، ومع عسره تدخلونه مثلهم لو دخلوه.

وقوله: «شبراً بشبراً وذراعاً بذراع»، مبالغة في التشبه بهم في كل صغيرة وكبيرة من مناهجهم وطرقهم وسننهم، حتى قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «لو أكل الكفار بعراً لأكله المسلمون وقالوا: بعر إمريكي»، حدثنا بذلك عنه شيخنا يحيى.

وقوله: «حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»، ضرب مثلاً لذلك فقال: «لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»، وجحر الضب من أصعب البيوت والجحور لعسرها والتوائها.

قالوا: «اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟»، رواه البخاري ومسلم.

وفي حديث أبي هريرة الذي انفرد به البخاري: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَفَّارِسَ وَالرُّومَ؟ فَقَالَ: «وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أَوْلِيكَ»⁽¹⁾.

■ ولذا قال شيخ الإسلام⁽²⁾:

«وأما مشابهة فارس والروم فقد دخل منه في هذه الأمة من الآثار الرومية قولاً وعملاً والآثار الفارسية قولاً وعملاً ما لا خفاء فيه على مؤمن عليم بدين الإسلام وبما حدث فيه».

(1) «صحيح البخاري» (7319).

(2) «اقتضاء الصراط المستقيم» (1/ 91، 92).

■ وقال ابن حجر⁽¹⁾:

قوله: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها» كذا هنا بموحدة مكسورة وألف مهموزة وخاء معجمة ثم معجمة، والأخذ بفتح الألف وسكون الخاء على الأشهر، هو السيرة. يقال: أخذ فلان بأخذ فلان أي سار بسيرته، وما أخذ أخذه أي ما فعل فعله ولا قصد قصده. وقيل: الألف مثلثة، وقرأه بعضهم اخذ بفتح الخاء جمع أخذه بكسر أوله مثل كسرة وكسر. ووقع في رواية الأصيلي على ما حكاه بن بطل بما أخذ القرون بموحدة وما الموصولة، وأخذ بلفظ الفعل الماضي وهي رواية الإسماعيلي. وفي رواية النسفي مأخذ بميم مفتوحة وهمزة ساكنة.

و«القرون» جمع قرن بفتح القاف وسكون الراء، الأمة من الناس. ووقع في رواية الإسماعيلي من طريق عبد الله بن نافع عن بن أبي ذئب: «الأمم والقرون».

قوله: «شبرًا بشبر وذراعًا بذراع»، في رواية الكشميهني: «شبرًا شبرًا وذراعًا ذراعًا».

قوله: «فقيل: يا رسول الله»، في رواية الإسماعيلي من طريق عبد الصمد بن النعمان عن ابن أبي ذئب: «فقال رجل»، ولم أقف عليه مسمى.

قوله: «كفارس والروم»، يعني الأمتين المشهورتين في ذلك الوقت، وهم الفرس في ملكهم كسرى، والروم في ملكهم قيصر. وفي رواية الإسماعيلي

(1) «فتح الباري» (13/ 300، 301).

المذكورة: «كما فعلت فارس والروم».

قوله: «ومن الناس إلا أولئك»، أي فارس والروم، لكونهم كانوا إذ ذاك أكبر ملوك الأرض، وأكثرهم رعية، وأوسعهم بلادًا.

قوله: «لتبعن سنن»، بفتح السين للأكثر وقال ابن التين قرأناه بضمها، وقال المهلب: بالفتح أولى، لأنه الذي يستعمل فيه الذراع والشبر وهو الطريق.

قلت: وليس اللفظ الأخير ببعيد من ذلك.

قوله: «شبرا شبرا وذراعا ذراعا»، في رواية الكشميهني: «شبرا بشبرا وذراعا بذراع»، عكس الذي قبله. قال عياض: الشبر والذراع والطريق ودخول الجحر تمثيل للاقتداء بهم في كل شيء مما نهى الشرع عنه وذمه.

قوله: «جحر»، بضم الجيم وسكون المهملة، والضبط الحيوان المعروف تقدم الكلام عليه في ذكر بني إسرائيل.

قوله: «قلنا»، لم أقف على تعيين القائل.

قوله: «قال: «فمن»»، هو استفهام إنكار، والتقدير: فمن هم غير أولئك.

وقد أخرج الطبراني من حديث المستورد بن شداد رفعه: «لا تترك هذه الأمة شيئا من سنن الأولين حتى تأتيه»، ووقع في حديث عبد الله بن عمرو عند الشافعي بسند صحيح: «لتركن سنة من كان قبلكم حلوها ومرها».

قال بن بطال: «أعلم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أمته ستبغ المحدثات من الأمور والبدع والأهواء، كما وقع للأمم قبلهم، وقد أُنذر في أحاديث كثيرة بأن الآخر

شر، والساعة لا تقوم إلا على شرار الناس، وأن الدين إنما يبقى قائماً عند خاصة من الناس».

قلت: وقد وقع معظم ما أنذر به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيقع بقية ذلك.

وقال الكرمانى: حديث أبي هريرة مغاير لحديث أبي سعيد لأن الأول فسر بفارس والروم، والثاني باليهود والنصارى، ولكن الروم نصارى وقد كان في الفرس يهود، أو ذكر ذلك على سبيل المثال لأنه قال في السؤال: كفارس. انتهى.

ويعكر عليه جوابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «ومن الناس إلا أولئك»، لأن ظاهره الحصر فيهم، وقد أجاب عنه الكرمانى بأن المراد حصر الناس المعهود من المتبوعين.

قلت: ووجهه أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بعث كان ملك البلاد منحصراً في الفرس والروم وجميع من عداهم من الأمم من تحت أيديهم أو كلا شيء بالنسبة إليهم فصح الحصر بهذا الاعتبار، ويحتمل أن يكون الجواب اختلف بحسب المقام، فحيث قال: «فارس والروم»، كان هناك قرينة تتعلق بالحكم بين الناس وسياسة الرعية، وحيث قيل: «اليهود والنصارى»، كان هناك قرينة تتعلق بأمور الديانات أصولها وفروعها؛ ومن ثم كان في الجواب عن الأول: «ومن الناس إلا أولئك»، وأما الجواب في الثاني بالإبهام فيؤيد الحمل المذكور، وأنه كان هناك قرينة تتعلق بما ذكرت.

واستدل ابن عبد البر في «باب ذم القول بالرأي إذا كان على غير أصل» بما

أخرجه من جامع بن وهب أخبرني يحيى بن أيوب عن هشام بن عروة أنه سمع أباه يقول: «لم يزل أمر بني إسرائيل مستقيماً حتى حدث فيهم المولدون أبناء سبايا الأمم فأحدثوا فيهم القول بالرأي وأضلوا بني إسرائيل».

قال: وكان أبي يقول: «السنن السنن فإن السنن قوام الدين».

وعن ابن وهب أخبرني بكر بن مضر عن سمع بن شهاب الزهري وهو يذكر ما وقع الناس فيه من الرأي وتركهم السنن، فقال: «إن اليهود والنصارى إنما انسلخوا من العلم الذي كان بأيديهم حين استقلوا الرأي وأخذوا فيه».

وأخرج ابن أبي خيثمة من طريق مكحول عن أنس قيل: يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: «إذا ظهر فيكم ما ظهر في بني إسرائيل، إذا ظهر الادهان في خياركم، والفحش في شراركم، والملك في صغاركم، والفقہ في رذالكُم».

وفي مصنف قاسم بن أصبغ بسند صحيح عن عمر: «فساد الدين إذا جاء العلم من قبل الصغير استعصى عليه الكبير، وصلاح الناس إذا جاء العلم من قبل الكبير تابعه عليه الصغير».

وذكر أبو عبيد أن المراد بالصغر في هذا صغر القدر لا السن؛ والله أعلم

اهـ.

■ قال النووي في شرحه للحديث⁽¹⁾:

(1) «شرح النووي على مسلم» (16/ 219، 220).

«لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ» إلخ، السَّنَنُ بفتح السين والنون وهو الطريق والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم والمراد الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم اهـ.

■ قال العيني⁽¹⁾:

«قوله: «سنن من قبلكم»، لأنه يشمل بني إسرائيل وغيرهم....»

قوله: «لتتبعن» بضم العين وتشديد النون قوله: «سنن من قبلكم»، أي طريق الذين كانوا قبلكم والسنن بفتح السين السبيل والمنهاج، وقال الكرمانى: ويروى بالضم.

قوله: «شبرا بشبر»، نصب بنزع الخافض تقديره: لتتبعن سنن من قبلكم اتباعا بشبر ملتبس بشبر وذراع ملتبس بذراع، وهذا كناية عن شدة الموافقة لهم في المخالفات والمعاصي، لا في الكفر، وكذلك قوله: «لو سلكوا جحر ضب»، بضم الجيم وسكون الحاء، والضب: دويبة تشبه الورن تأكله الأعراب، والأنثى ضبة، وتقول العرب: هو قاضي الطير والبهائم....»

ووجه التخصيص: بجحر الضب، لشدة ضيقه ورداءته، ومع ذلك فإنهم لاقتنائهم آثارهم واتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء لوافقوهم.

(1) «عمدة القاري» (16/43، 44).

قوله: «اليهود»، يعني: قالوا: يا رسول الله! هم اليهود والنصارى. قوله: «قال فمن؟»، أي: قال رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فمن غيرهم، وهذا استفهام على وجه الإنكار، أي: ليس المراد غيرهم» اهـ.

النتهي عن التشبه بهم في التفرق

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (١٧٦) [البقرة].

وكذلك قال سبحانه: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: 19].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 159].

وقال في النصارى: ﴿فَاغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١٤) [المائدة].

وقال في اليهود: ﴿وَأَلَقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: 64].

وقال: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٥٣) [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: 105].

■ قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

«قال أكثر المفسرين: هم اليهود والنصارى. وهو الصواب، وقال بعضهم: المبتدعة من هذه الأمة» اهـ.

■ قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ⁽²⁾:

«قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ يا معشر الذين آمنوا ﴿كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ من أهل الكتاب، ﴿وَاخْتَلَفُوا﴾ في دين الله وأمره ونهيه، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ من حجج الله فيما اختلفوا فيه وعلموا الحق فيه فتعمدوا خلافه وخالفوا أمر الله ونقضوا عهده وميثاقه جراءة على الله، ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ﴾ يعني: ولهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا من أهل الكتاب من بعد ما جاءهم ﴿عَذَابٌ﴾ من عند الله ﴿عَظِيمٌ﴾، يقول جل ثناؤه: فلا تتفرقوا يا معشر المؤمنين في دينكم تفرق هؤلاء في دينهم ولا تفعلوا فعلهم وتستنوا في دينكم بسنتهم فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم».

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ⁽³⁾:

«ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الآية ينهى تَبَارَكَ وَتَعَالَى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضين في افتراقهم

(1) «معالم التنزيل في تفسير القرآن» (1/489).

(2) «جامع البيان» (7/92).

(3) «تفسير ابن كثير» (2/91، 92).

واختلافهم وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثني أزهر بن عبد الله الهوزني عن أبي عامر عبد الله بن لحي قال: حججنا مع معاوية بن أبي سفيان فلما قدمنا مكة قام حين صلى الظهر فقال: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن أهل الكتابين افرقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاثة وسبعين ملة» - يعني الأهواء - «كلها في النار إلا واحدة» - وهي الجماعة - «وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله. والله يا معشر العرب، لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لغيركم من الناس أخرى أن لا يقوم به».

وهكذا رواه أبو داود، عن أحمد بن حنبل ومحمد بن يحيى، كلاهما عن أبي المغيرة - واسمه عبد القدوس بن الحجاج الشامي - به، وقد روي هذا الحديث من طرق.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: 106]، يعني: يوم القيامة، حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة، قاله ابن عباس، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا اهـ.

■ قال الحاكم⁽¹⁾:

«أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ قَاسِمُ بْنُ الْقَاسِمِ السَّيَّارِيُّ بِمَرَوَ، ثنا أَبُو الْمُوَجَّه، حَدَّثَنَا

(1) «المستدرک على الصحيحين» (10).

أَبُو عَمَّارٍ، ثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً أَوْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَالنَّصَارَى مِثْلُ ذَلِكَ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً».

هَذَا حَدِيثٌ كَثُرَ فِي الْأُصُولِ «وَقَدْ رُوِيَ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَعَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلُهُ». وَقَدْ احتَجَّ مُسْلِمٌ بِمُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَاتَّفَقَا جَمِيعًا عَلَى الْإِحْتِجَاجِ بِالْفَضْلِ بْنِ مُوسَى وَهُوَ ثِقَةٌ.

قلت: وهو في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

■ وقال ابن حبان⁽¹⁾:

«ذَكَرَ افْتِرَاقَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِرْقًا مُخْتَلِفَةً:

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ سُرَيْجٍ النَّقَالُ، أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً».

قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

(1) «صحيح ابن حبان» (6247).

حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَتَّرَقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً».

■ قال الإمام ابن ماجه (2):

«بَابُ افْتِرَاقِ الْأُمَمِ:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَتَّرَقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً».

■ وقال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ (3):

حَدَّثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ، قَالَ: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَزْهَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهُوزَنِيُّ - قَالَ أَبُو الْمُغِيرَةِ، فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: الْحَرَاذِيُّ -، عَنْ أَبِي عَامِرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ لُحَيْيٍّ، قَالَ: حَجَجْنَا مَعَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ قَامَ حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الظُّهْرِ، فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا

(1) «سنن أبي داود» (4596).

(2) «سنن ابن ماجه» (3991).

(3) «مسند أحمد» (16937).

فِي دِينِهِمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً - يَعْنِي: الْأَهْوَاءَ - «كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ، وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ، لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ، وَاللَّهُ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ لَئِنْ لَمْ تَقُومُوا بِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَنُغَيِّرَنَّكُمْ مِنَ النَّاسِ أُخْرَى أَنْ لَا يَقُومَ بِهِ».

■ قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا صَفْوَانُ، صَفْوَانُ، حَدَّثَنِي أَزْهَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَرَازِيُّ، عَنْ أَبِي عَامِرٍ الْهُوزَنِيِّ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، أَنَّهُ قَامَ فِينَا فَقَالَ: أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ فِينَا فَقَالَ: «أَلَا إِنَّ مِنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ - زَادَ ابْنُ يَحْيَى، وَعَمَرُو فِي حَدِيثَيْهِمَا - وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ، كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ لِصَاحِبِهِ»، وَقَالَ عَمَرُو: «الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ».

(1) «سنن أبي داود» (4597).

▪ وزاد الطبراني⁽¹⁾، وأبو يوسف الفارسي⁽²⁾:

«وَالله يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ لَئِنْ لَمْ تَقُومُوا بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَغَيْرُكُمْ مِنَ النَّاسِ أُخْرَى أَنْ لَا يَقُومَ بِهِ».

وهي زيادة حسنة.

▪ قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ⁽³⁾:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ حَكِيمٍ، أَخْبَرَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلًا، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ فَمَنْعَنِيهَا».

فهذه الأحاديث بمفهومها تدل وتبين على أن الاختلاف والافتراق سيكون ولا بد وهذا ما نراه بأمر أعيننا ويزداد إيماننا بالحديث والله اعلم.

▪ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ⁽⁴⁾:

(1) «المعجم الكبير» (884).

(2) «المعرفة والتاريخ» (332/2).

(3) «صحيح مسلم» (2890).

(4) «اقتضاء الصراط المستقيم» (101/1).

«وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾، وهم اليهود والنصارى الذين افترقوا على أكثر من سبعين فرقة ولهذا نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن متابعتهم في نفس التفرق والاختلاف، مع أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أخبر أن أمته: ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، مع أن قوله: لا تكن مثل فلان، قد يعم مماثلته بطريق اللفظ أو المعنى، وإن لم يعم دل على أن جنس مخالفتهم وترك مشابعتهم أمر مشروع، ودل على أنه كلما بعد الرجل عن مشابعتهم فيما لم يشرع لنا كان أبعد عن الوقوع في نفس المشابهة المنهي عنها وهذه مصلحة جلية».

ومما يبين لك أن حديث الافتراق صحيح أمور، منها:

1. أنه الآية الكريمة السابقة تُقَوِّي معناه.
 2. أن له أسانيد وشواهد ومتابعات يصح بها.
 3. أنه قد صححه جهابذة هذا الفن، فمن المتأخرين العلامة الألباني والوادعي رحمهما الله.
 4. أنه مما أخبر به الله تعالى، وأخبر نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه سيقع في الأمة مشابهة أهل الكتاب في هذا وغيره.
 5. أننا نشاهد في الواقع صدق ما دلَّ عليه هذا الحديث وأمثاله.
- وقول من ضَعَفَهُ إنما هو لهواه، أو لجهله، أو لعدم فهمه.

النهى عن التشبه بهم في اتخاذ القبور مساجد

قال الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾

[الكهف].

■ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«فكان الضالون - بل والمغضوب عليهم - يبنون المساجد على قبور الأنبياء والصالحين، وقد نهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته عن ذلك في غير موطن حتى في وقت مفارقتة الدنيا - بأبي هو وأمي - .

ثم إن هذا قد ابتلي به كثير من هذه الأمة» إلى آخر كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

■ قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: - حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ عَدِيٍّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي أَنَسَةَ، عَنْ عَمْرٍو بْنِ مَرْثَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ النَّجْرَانِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي جُنْدَبٌ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخُمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ».

(1) «اقتضاء الصراط المستقيم» (90 / 1).

(2) «صحيح مسلم» (532).

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شُعَيْبٌ عن الزُّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بن عبد الله بن عُتْبَةَ أَنَّ عَائِشَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بن عَبَّاسٍ قَالَا لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا».

■ وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ⁽²⁾:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ».

■ وفي لفظ لمسلم⁽³⁾: قال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ هَلَالِ بْنِ أَبِي حُمَيْدٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» قَالَتْ: «فَلَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا».

(1) «صحيح البخاري» (425).

(2) «صحيح البخاري» (437).

(3) «صحيح مسلم» (529).

▪ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنِي مَعْمَرٌ، وَيُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ عَائِشَةَ، وَابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَا: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ: وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَدِّرُ مَا صَنَعُوا.

▪ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ⁽²⁾:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ هِشَامٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ، وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرْنَا كَنِيسَةً رَأَيْنَاهَا بِالْحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَذَكَرْنَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

▪ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ⁽³⁾:

«فهذا التحذير منه واللعن عن مشابهة أهل الكتاب في بناء المسجد على قبر الرجل الصالح صريح في النهي عن المشابهة في هذا، ودليل على الحذر من جنس أعمالهم، حيث لا يؤمن في سائر أعمالهم أن تكون من هذا الجنس».

(1) «صحيح البخاري» (3453).

(2) «صحيح البخاري» (427).

(3) «اقتضاء الصراط المستقيم» (335 / 1).

▪ وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

«فحرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تتخذ قبورهم مساجد بقصد الصلوات فيها كما تقصد المساجد وإن كان القاصد لذلك إنما يقصد عبادة الله وحده لأن ذلك ذريعة إلا أن يقصدوا المسجد لأجل صاحب القبر ودعائه والدعاء به والدعاء عنده فنهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن اتخاذ هذا المكان لعبادة الله وحده لئلا يتخذ ذريعة إلى الشرك بالله.

والفعل إذا كان يفضي إلى مفسدة وليس فيه مصلحة راجحة ينهى عنه؛ كما نهى عن الصلاة في الأوقات الثلاثة لما في ذلك من المفسدة الراجحة: وهو التشبه بالمشركين الذي يفضي إلى الشرك. وليس في قصد الصلاة في تلك الأوقات مصلحة راجحة لإمكان التطوع في غير ذلك من الأوقات».

قلت: فكم نرى هذه الأيام من مساجد مبنية على القبور أو قبور بني عليها مساجد أو تقبر في المساجد، بكل ذلك تبطل الصلاة في ذلك المسجد كما أفتى أهل العلم.

وأكثر من يشابه اليهود والنصارى في ذلك الرافضة عليهم لعنة الله، والصوفية القبوريون أبعدهم الله.

تسوية القبور من السنة، ورفعها من آثار أهل الكتاب

▪ قال الإمام الطبراني رَحِمَهُ اللهُ⁽²⁾:

(1) «مجموع الفتاوى» (1/ 163، 164).

(2) «المعجم الكبير» (823).

حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ التُّسْتَرِيُّ، ثنا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ، أَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُدَيْرٍ، عَنْ أَبِي مَجْلَزٍ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: «إِنَّ تَسْوِيَةَ الْقُبُورِ مِنَ السُّنَّةِ، وَقَدْ رَفَعَتِ الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى فَلَا تَشَبَّهُوا بِهِمَا».

وسنده صحيح.

تلشييد المساجد

■ قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ بْنِ سُفْيَانَ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ أَبِي فَزَّارَةَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أُمِرْتُ بِتَشْيِيدِ الْمَسَاجِدِ»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَتَزُخْرِفَنَّهَا كَمَا زُخِرَفَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى.

قال الشيخ الألباني: صحيح.

قلت: وكم ترى هذه الأيام من كثير من الناس كيف يبالغون ويتنطعون في بناء المساجد، ويتباهون بها، بل بعضهم يبني المسجد بالأموال الطائلة، التي يستطيع بها أن يبني عدة مساجد، نسأل الله الإخلاص والمعافة.

النهج من الإطار كما أطرت النصارى ابن مريم

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ، يَقُولُ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ

(1) «سنن أبي داود» (448).

(2) «صحيح البخاري» (3445).

الله بْن عَبْدِ الله، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطَرْتُ النَّصَارَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ الله، وَرَسُولُهُ».

قلت: وهذا يعم كل من أطرى وغلى في شخص أو وصف أو جماعة فرفع البعض فوق منزلته، أو جعل المستحب واجباً، أو الصالح عالماً، أو العالم نبياً.... إلى غير ذلك من الغلو في الأشخاص والأعمال وغيرها.

ومنها تشبيههم صفات الله بصفات خلقه وتزريمهم ما أحل الله

▪ قال الإمام ابن أبي شيبة⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنِ الْعَوَّامِ، عَنِ الْحَكَمِ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا مِجْلَزٍ عَنِ الرَّجُلِ يَجْلِسُ وَيَضْعُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى، فَقَالَ: «لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ كَرِهَتْهُ الْيَهُودُ، قَالُوا: إِنَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ اسْتَوَى يَوْمَ السَّبْتِ، فَجَلَسَ تِلْكَ الْجَلْسَةَ».

قلت: وسنده صحيح.

النهى عن التشبه بهم في الاختلاف

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ

وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٥) [آل عمران].

وقد سبق بعض بيان معنى الآية.

(1) «مصنف ابن أبي شيبة» (25516).

▪ قال الإمام مسلم⁽¹⁾:

وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا الرَّيِّعُ بْنُ مُسْلِمٍ الْقُرَشِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجِبَتْ، وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ»، ثُمَّ قَالَ: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ».

وقد خرجاه في الصحيحين عن أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»⁽²⁾.

▪ قال ابن حجر رحمه الله⁽³⁾: «قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الْمَاضِي: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ»، فَإِنَّ الْإِخْتِلَافَ يَجُرُّ إِلَى عَدَمِ الْإِنْقِيَادِ».

(1) «صحيح مسلم» (1337).

(2) «صحيح البخاري» (7288).

(3) «فتح الباري» (13/ 267).

■ قال ابن دقيق العيد⁽¹⁾:

«وقوله: «فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم» وذكر ذلك بعد قوله: «ذروني ما تركتكم» أراد: لا تكثروا السؤال فربما يكثر الجواب عليه فيضاهي ذلك قصة بني إسرائيل لما قيل لهم: «اذبحوا بقرة» فإنهم لو اقتصروا على ما يصدق عليه اللفظ وبادروا إلى ذبح أي بقرة كانت أجزأت عنهم لكن لما أكثروا السؤال وشددوا شدد عليهم وذموا على ذلك فخاف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل ذلك على أمته».

■ وقال أحمد بن حنبل⁽²⁾:

حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالنَّاسُ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْقَدْرِ، قَالَ: وَكَأَنَّمَا تَفَقَّأَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرَّمَانِ مِنَ الْغَضَبِ، قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ: «مَا لَكُمْ تَضْرِبُونَ كِتَابَ اللَّهِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ؟ بِهَذَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»، قَالَ: «فَمَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِمَجْلِسٍ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ أَشْهَدُهُ، بِمَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ، أَنِّي لَمْ أَشْهَدُهُ».

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽³⁾:

حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَيْسَرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّزَّالَ بْنَ

(1) «شرح الأربعين» (ص/ 58).

(2) «مسند أحمد» (6668).

(3) «صحيح البخاري» (3476).

سَبْرَةَ الْهَلَائِيَّ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ خِلَافَهَا، فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَّةَ، وَقَالَ: «كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا».

■ وقال البخاري⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَيْسَرَةَ: أَخْبَرَنِي قَالَ: سَمِعْتُ النَّزَّالَ بْنَ سَبْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً، سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِلَافَهَا، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَأَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ»، قَالَ شُعْبَةُ: أَظُنُّهُ قَالَ: «لَا تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا».

■ قال الإمام مسلم رحمه الله⁽²⁾:

حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ فَضِيلُ بْنُ حُسَيْنٍ الْجَحْدَرِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍانَ الْجَوْنِيُّ، قَالَ: كَتَبَ إِلَيَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَبَاحٍ الْأَنْصَارِيُّ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، قَالَ: هَجَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، قَالَ: فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُعْرِفُ فِي وَجْهِهِ الْعُصْبُ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ».

■ قال الإمام النووي رحمه الله⁽¹⁾:

(1) «صحيح البخاري» (2410).

(2) «صحيح مسلم» (2666).

«قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ»
الْمُرَادُ بِهَلَاكِ مَنْ قَبْلَنَا هُنَا هَلَاكُهُمْ فِي الدِّينِ بِكُفْرِهِمْ وَابْتِدَاعِهِمْ فَحَذَّرَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مِثْلِ فِعْلِهِمْ».

■ قال شيخ الإسلام⁽²⁾:

«رواه مسلم - أيضا - عن عبد الله بن رباح الأنصاري أن عبد الله بن عمرو
قال: «هجرت إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يوما، فسمع أصوات رجلين
اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يعرف في وجهه
الغضب، فقال: «إنما هلك من كان قبلكم من الأمم باختلافهم في الكتاب»».

تَنْبِيْهُ: والحديث ليس في مسلم، إنما رواه البخاري (2279) فقط،
وانظر كتابنا: «أوهام الأئمة».

■ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ⁽³⁾:

«والاختلاف على ما ذكره الله في القرآن قسمان:

أحدهما: يذم الطائفتين جميعا، كما في قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا
مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴿[هود]، فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف، وكذلك قوله
تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ

=

(1) «شرح النووي على مسلم» (21/9).

(2) «اقتضاء الصراط المستقيم» (146/1).

(3) «اقتضاء الصراط المستقيم» (146/1: 148).

بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ [البقرة]، وكذلك قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: 19]، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: 105]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 159].

وكذلك وصف اختلاف النصارى بقوله: ﴿فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: 14].
ووصف اختلاف اليهود بقوله: ﴿وَأَلَقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَقْدَوْا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: 53]، وقال: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: 53].

وكذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لما وصف أن الأمة تفرق على ثلاث وسبعين فرقة؛ قال: «كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة»، وفي الرواية الأخرى: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

فبين: أن عامة المختلفين هالكون من الجانبين، إلا فرقة واحدة، وهم أهل السنة والجماعة.

وهذا الاختلاف المذموم من الطرفين يكون سببه تارة: فساد النية؛ لما في النفوس من البغي والحسد وإرادة العلو في الأرض، ونحو ذلك، فيجب لذلك ذم قول غيرها، أو فعله، أو غلبته ليطمئن عليه، أو يحب قول من يوافقه في نسب أو مذهب أو بلد أو صداقة، ونحو ذلك، لما في قيام قوله من حصول الشرف

والرئاسة، وما أكثر هذا من بني آدم، وهذا ظلم. ويكون سببه - تارة - جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه، أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر، أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق: في الحكم، أو في الدليل، وإن كان عالما بما مع نفسه من الحق حكما ودليلا.

والجهل والظلم: هما أصل كل شر، كما قال سبحانه: ﴿وَمَلَأَهَا الْإِنْسَنُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٧٢) [الأحزاب].

النهج من التشبه بهم في الفتنة بالنساء ومخير الخير من شرهن
 ■ قال الإمام مسلم رحمه الله⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي مَسْلَمَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا نَضْرَةَ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ».

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ: «لَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ».

■ قال النووي رحمه الله⁽²⁾:

«إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا

(1) «صحيح مسلم» (2742).

(2) «شرح النووي على مسلم» (2742).

الدنيا واتقوا النساء»، هكذا هو في جميع النسخ فاتقوا الدنيا ومعناه تجنبوا الافتتان بها وبالنساء وتدخل في النساء الزوجات وغيرهن وأكثرهن فتنة الزوجات ودوام فتنتهن وابتلاء أكثر الناس بهن ومعنى الدنيا خضرة حلوة يحتمل أن المراد به شيآن:

أحدهما: حسنها للنفوس ونضارتها ولذتها كالفاكهة الخضراء الحلوة فان النفوس تطلبها طلبا حثيثا فكذا الدنيا.

والثاني: سرعة فنائها كالشيء الأخضر في هذين الوصفين ومعنى مستخلفكم فيها جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم فينظر هل تعملون بطاعته أم بمعصيته وشهواتكم» اهـ.

▪ وروى مسلم رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، وَمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِي عُمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ».

وكم ترى من كثير من المسلمين من يسارع إلى الفتن والتشبه بالكفار في الاختلاط في شتى مجالات الوظائف والدراسات. وضرر ذلك يدركه كل عاقل.

وسياتي بيان بعض أضرار ذلك.

(1) «صحيح مسلم» (2740).

النهى عن التشبه بهم في التبرك بالملوكات التي لم يشرع لنا التبرك بها وما يكون وسيلة إلى الشرك

■ قال النسائي رحمه الله في الكبرى⁽¹⁾:

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ الدَّيْلِيِّ، عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ حُنَيْنٍ فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا هَذِهِ ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لِلْكَفَّارِ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، وَكَانَ الْكَفَّارُ يَنْوُطُونَ سِلَاحَهُمْ بِسِدْرَةٍ وَيَعْكُفُونَ حَوْلَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾» [الأعراف: 138] إِنَّكُمْ تَرْكَبُونَ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ.

وفي رواية: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السَّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ» [الأعراف: 138]، لَتَرْكَبَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ⁽²⁾، رواه مالك والنسائي والترمذي وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ». ولفظه: «لَتَرْكَبَنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»⁽³⁾.

والحديث حسن.

(1) «السنن الكبرى للنسائي» (11121).

(2) «المعجم الكبير للطبراني» (3291).

(3) «سنن الترمذي» (2180).

وقد اتبع سننهم في مثل ذلك التبرك كثير من الصوفية والرافضة ومن شابههم، والتبرك بالذوات والأشياء التي لم يشرع لنا التبرك بها وسيلة إلى جعلها مزاراً ومتبركاً، وذلك من وسائل الشرك.

ولذا تعلم خطأ ابن حجر والنووي رحمهما الله، ومن جرى مجراهما من المتقدمين والمتأخرين الذين يجيزون ذلك، استدلالاً بفعل الصحابة في تبركهم برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُرَدُّ عليهما أن الصحابة لم يفعلوا ذلك بأبي بكر وغيره من أفاضل الصحابة، بل ولا بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

النهْيُ مِنَ التَّلَاشِبِ بِهِمْ فِي الْأَقْوَالِ

قال الله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٠٤) [البقرة].

■ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (١):

«ومما يدل من القرآن على النهي عن مشابهة الكفار قوله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٠٤)، قال قتادة وغيره: «كانت اليهود تقول استهزاء، فكره الله للمؤمنين أن يقولوا مثل قولهم»؛ وقال أيضاً: «كانت اليهود تقول للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: راعنا سمعك، يستهزئون بذلك، وكانت في اليهود قبيحة».

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» (١/ 173).

■ وقال ابن كثير في تفسير الآية⁽¹⁾:

«نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم، وذلك أن اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص - عليهم لعائن الله- فإذا أرادوا أن يقولوا: اسمع لنا يقولون: راعنا. يورون بالرعونة، كما قال تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِلسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٤٦) [النساء]، وكذلك جاءت الأحاديث بالإخبار عنهم، بأنهم كانوا إذا سلموا إنما يقولون: السام عليكم. والسام هو: الموت. ولهذا أمرنا أن نرد عليهم بـ «وعليكم». وإنما يستجاب لنا فيهم، ولا يستجاب لهم فينا.

والغرض: أن الله تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولاً وفعلاً. فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٠٤).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا عبد الرحمن بن ثابت، حدثنا حسان بن عطية، عن أبي منيب الجرشي، عن ابن عمر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف، حتى يعبد الله وحده لا شريك له. وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعلت الذلة والصغار على

(1) «تفسير ابن كثير» (1/373، 374).

من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم».

وروى أبو داود، عن عثمان بن أبي شيبة، عن أبي النضر هاشم بن القاسم به «من تشبه بقوم فهو منهم».

ففيه دلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد، على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم، ولباسهم وأعيادهم، وعباداتهم وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولا نقرر عليها.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا مسعر، عن معن وعون -أو أحدهما- أن رجلاً أتى عبد الله بن مسعود، فقال: اعهذ إلي. فقال: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فأرעה سمعك، فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه» اهـ.

النهي عن التشبه بهم في الافتتان بالأوثان ومباشرة غير الله

■ قال الإمام مسلم رحمه الله⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَزْنَينِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةِ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قُضِيَتْ قَضَاءٌ فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا

(1) «صحيح مسلم» (2889).

أَهْلِكُهُمْ بِسَنَةِ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

■ قال شيخ الإسلام⁽¹⁾:

«ورواه البرقاني في صحيحه وزاد: «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى يعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصوره لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى».

قلت: وهذا خبر منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أُمَّتَهُ سَيَحْصِلُ فِيهَا عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ، وَهَاهُوَ قَدْ وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ الْكَثِيرُ عِنْدَ الْقُبُورِ وَالْمَوْتَى كَمَا يَفْعَلُونَ عِنْدَ الْقُبُورِ وَالْأَضْرَحَةِ كَقَبْرِ هُودِ الْمَرْعُومِ؛ فَاللَّهُمَّ سَلِّمْ وَسَلِّمْ.

النهْيُ عَنِ التَّشْبِيهِ بِهِمْ فِي مَوَالِمَةِ الْكُفَّارِ

قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ

يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ [المائدة].

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَآ هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾

(1) «اقتضاء الصراط المستقيم» (1/142).

[المجادلة: 14]، يعيب بذلك المنافقين الذين تولوا اليهود... إلى قوله: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 14].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: 72]، إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: 73].

قلت: فموالاة الكفار تعتبر تشبهاً باليهود والنصارى والمنافقين وكم نرى اليوم من الكثير موالاة أعداء الله بلا نكير؛ اللهم إنا نبرأ إليك.

النهاية من التشبه بهم في المناجاة للصلاة

■ قال الإمام البخاري رحمه الله⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مَيْسَرَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا خَالِدُ الْحَذَّاءُ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: ذَكَرُوا النَّارَ وَالنَّاقُوسَ، فَذَكَرُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى «فَأَمَرَ بِلَالٌ أَنْ يَشْفَعَ الْأَذَانَ، وَأَنْ يُوتَرَ الْإِقَامَةَ».

■ قال ابن حجر رحمه الله⁽²⁾:

(1) «صحيح البخاري» (603، 3457).

(2) «فتح الباري» (80/2).

«فذكروا اليهود والنصارى»، كذا ساقه عبد الوارث مختصراً، ورواية عبد الوهاب الآتية في الباب الذي بعده أوضح قليلاً حيث قال: «لما كثر الناس ذكروا أن يعلموا وقت الصلاة بشيء يعرفونه، فذكروا أن يوروا ناراً أو يضربوا ناقوساً»، وأوضح من ذلك رواية روح بن عطاء عن خالد عند أبي الشيخ ولفظه: «فقالوا لو اتخذنا ناقوساً؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذاك للنصارى». فقالوا: لو اتخذنا بوقاً؟ فقال: «ذاك لليهود»، فقالوا: لو رفعنا ناراً؟ فقال: «ذاك للمجوس»»، فعلى هذا ففي رواية عبد الوارث اختصار كأنه كان فيه: «ذكروا النار والناقوس والبوق فذكروا اليهود والنصارى والمجوس»، واللف والنشر فيه معكوس، فالنار للمجوس، والناقوس للنصارى، والبوق لليهود، وسيأتي في حديث ابن عمر التنصيص على أن البوق لليهود.

وقال الكرمانى: يحتمل أن تكون النار والبوق جميعاً لليهود جمعاً بين حديثي أنس وابن عمر؛ انتهى.

ورواية روح تغنى عن هذا الاحتمال.

قوله: «فأمر بلال»، هكذا في معظم الروايات على البناء للمفعول...

والله أعلم اهـ.

قلت: وقد تشبه كثير من المسلمين بالكفار في إيقاد النيران للأعراس أو الأعياد، وفي الضرب بالناقوس والأجراس في كثير من المدارس والمستشفيات مع أنها محرمة.

وأيضاً قد ثبت في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةَ رُقْفَةً فِيهَا كَلْبٌ وَلَا جَرَسٌ»⁽¹⁾.

وفي حديثٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الْجَرَسُ مَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ»⁽²⁾.

ويدخل في النهي أصوات الأجراس والنواقيس المسجلة في الجوانات والساعات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

النَهْيُ مِنَ التَّشْبِهِ بِهِمْ فِي تَطْيِيعِ الصَّلَوَاتِ

■ قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ⁽³⁾:

وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ خَيْرِ بْنِ نَعِيمٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ ابْنِ هُبَيْرَةَ، عَنْ أَبِي تَمِيمٍ الْجَيْشَانِيِّ، عَنْ أَبِي بَصْرَةَ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَصْرَ بِالْمُخَمَّصِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ عُرِضَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَضَيَعُوهَا، فَمَنْ حَافِظٌ عَلَيْهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ، وَلَا صَلَاةَ بَعْدَهَا حَتَّى يَطْلُعَ الشَّاهِدُ»، وَالشَّاهِدُ: النَّجْمُ.

وقوله: «بالمخمص»، قال النووي: «هو موضع معروف».

(1) «صحيح مسلم» (2113).

(2) «صحيح مسلم» (2114).

(3) «صحيح مسلم» (830).

تحرير الوشم وأنه زِيء الحِجْر

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْعَيْنُ حَقٌّ» وَنَهَى عَنِ الْوَشْمِ.

■ وقال الإمام البخاري⁽²⁾:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ، أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَعَنَ اللهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ» وَقَالَ نَافِعٌ: «الْوَشْمُ فِي اللَّثَّةِ».

■ قال الإمام عبد الرزاق رَحِمَهُ اللهُ⁽³⁾:

عَنْ مَعْمَرٍ قَالَ: سَأَلْتُ الزُّهْرِيَّ عَنِ الْوَشْمِ؟ فَقَالَ: «مِنْ زِيءِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ».

وسنده صحيح.

النهْيُ عَنِ التَّشْبِهِ بِهِمْ فِي تَغْيِيرِ الشَّعْرِ

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ⁽⁴⁾:

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّ

(1) «صحيح البخاري» (5740).

(2) «صحيح البخاري» (5937).

(3) «مصنف عبد الرزاق» (5102).

(4) «صحيح البخاري» (3462)، و«صحيح مسلم» (2103).

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ، فَخَالِفُوهُمْ».

■ قال الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «غَيِّرُوا الشَّيْبَ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ».

قال: «وَفِي الْبَابِ عَنِ الزُّبَيْرِ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَجَابِرٍ، وَأَبِي ذَرٍّ، وَأَنَسٍ، وَأَبِي رِمَّةَ، وَالْجَهْدَمَةِ، وَأَبِي الطُّفَيْلِ، وَجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، وَأَبِي جَحِيفَةَ، وَابْنِ عُمَرَ.

حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

النهائي من التشبه بهم في خلق أو تقصير اللحية وتوفير الشارب

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِنْهَالٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ: وَفَرُّوا اللَّحَى، وَأَخْفُوا الشَّوَارِبَ».

■ وقال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

(1) «سنن الترمذي» (1752).

(2) «صحيح البخاري» (5892)، و«صحيح مسلم» (259).

حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ عُمَانَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا نَافِعٌ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ أَحْفُوا الشَّوَارِبَ، وَأَوْفُوا اللَّهَى».

■ وقال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ، أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ، مَوْلَى الْحَرْقَةِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جُزُّوا الشَّوَارِبَ، وَأَرْخُوا اللَّهَى خَالِفُوا الْمَجُوسَ».

■ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ⁽³⁾:

«وهذا لفظه، فأمر بمخالفة المشركين مطلقا ثم قال: «أحفوا الشوارب، وأوفوا اللحى»».

قلت: وكم يقع من عصاة وفسقة المسلمين من التشبه بالكفار في حلق اللحى أو تقصيرها، وهذا كله من اتباع سننهم.

=

(1) «صحيح مسلم» (259).

(2) «صحيح مسلم» (260).

(3) «اقتضاء الصراط المستقيم» (1/ 203).

فخلق الله يجمع عدا مفاسد ومنكرات:

1. أنه مخالفة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
2. أنه تشبه بالكفار وهذا منكر، كما ثبت بذلك الأحاديث الصحيحة.
3. أنه تشبه بالنساء، وهذا منكر ملعون صاحبه كما ثبت بذلك الأحاديث الصحيحة.
4. أنه تغيير لخلق الله تعالى، وهذا منكر ملعون صاحبه كما ثبت بذلك الأحاديث الصحيحة.

النهى عن التشبه بهم فى صبغ الشيب

■ قال الإمام النسائي⁽¹⁾:

أخبرني الحسين بن حريث، قال: أنبأنا الفضل بن موسى، عن معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن اليهود والنصارى لا تصبغ فخالفوا عليهم فاصبغوا».

قال الشيخ الألباني: صحيح.

■ قال الإمام أحمد بن حنبل⁽²⁾:

حدثنا محمد بن سلمة الحراني، عن هشام، عن محمد بن سيرين، قال: سئل أنس بن مالك عن خضاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إن رسول الله

(1) «سنن النسائي» (5071).

(2) «مسند أحمد» (12635).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ شَابَ إِلَّا يَسِيرًا، وَلَكِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ بَعْدَهُ خَضَبَا بِالْحِنَاءِ وَالْكَتَمِ. قَالَ: وَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ بِأَبِيهِ أَبِي قُحَافَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ يَحْمِلُهُ حَتَّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ: «لَوْ أَقْرَزْتُ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ، لَأَتَيْنَاهُ تَكْرُمَةً لِأَبِي بَكْرٍ». فَأَسْلَمَ وَلَحِيَّتُهُ وَرَأْسُهُ كَالثَّغَامَةِ بَيَاضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «غَيْرُوهُمَا، وَجَنَّبُوهُ السَّوَادَ».

ورجاله ثقات وبعضه في الصحيح المسند.

النهاية عن التشبه بهم في صور عاشر

■ وقال الإمام مسلم⁽¹⁾:

وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أُمَيَّةَ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا غَطَفَانَ بْنَ طَرِيفٍ الْمُرِّيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: حِينَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعْظَمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ» قَالَ: فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، حَتَّى تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

■ قال الإمام أحمد رحمه الله⁽²⁾:

(1) «صحيح مسلم» (1134).

(2) «مسند أحمد» (2154).

حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ: أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي لَيْلَى، عَنْ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صُومُوا يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَخَالِفُوا فِيهِ الْيَهُودَ، صُومُوا قَبْلَهُ يَوْمًا، أَوْ بَعْدَهُ يَوْمًا».

وهو حسن في الباب، إلا لفظة: «أو يوما بعده»، فإنها زيادة منكرة.

قال الشيخ الألباني⁽¹⁾: «ضعيف».

النهائي من التشبه بهم في عصر الصلاة بالنحال

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

بَابُ الصَّلَاةِ فِي النَّعَالِ.

حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو مَسْلَمَةَ سَعِيدُ بْنُ يَزِيدَ الْأَزْدِيُّ، قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ: أَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي نَعْلَيْهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ».

■ وقال ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ⁽³⁾:

أَخْبَرَنَا ابْنُ قُحْطَبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبَانَ الْقُرَشِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هَلَالُ بْنُ مَيْمُونٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو ثَابِتٍ يَعْلَى بْنُ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَالِفُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، فَإِنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ فِي خِفَافِهِمْ، وَلَا فِي نَعَالِهِمْ».

(1) «ضعيف الجامع الصغير وزيادته» (3506).

(2) «صحيح البخاري» (386).

(3) «صحيح ابن حبان» (2186).

■ قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ أَبِرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ حُسَيْنِ الْمُعَلِّمِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي حَافِيًا وَمُتَّعِلًا.

■ وقال ابن أبي شيبة رَحِمَهُ اللهُ⁽²⁾:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ قَالَ: ثنا شَرِيكٌ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ زِيَادِ الْحَارِثِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى وَهُمَا عَلَيْهِ، وَخَرَجَ وَهُمَا عَلَيْهِ» يَعْنِي نَعْلَيْهِ.

والحديث في «الصحيح المسند من دلائل النبوة».

■ قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ⁽³⁾:

حَدَّثَنَا عَفَّانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَنْتَ نَهَيْتَ النَّاسَ أَنْ يَصُومُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ؟ قَالَ: لَا لَعَمْرُ اللَّهِ غَيْرَ أَنَّ وَرَبَّ هَذِهِ الْحُرْمَةِ، وَرَبَّ هَذِهِ الْحُرْمَةِ، لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَصُومَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا فِي أَيَّامٍ يَصُومُ فِيهَا».

(1) «سنن أبي داود» (653).

(2) «مصنف ابن أبي شيبة» (7858).

(3) «مسند أحمد» (9467).

قَالَ: فَجَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَنْتَ نَهَيْتَ النَّاسَ أَنْ يُصَلُّوا فِي نِعَالِهِمْ؟
قَالَ: لَا لَعَمْرُ اللَّهِ، غَيْرَ أَنْ وَرَبَّ هَذِهِ الْحُرْمَةِ، وَرَبَّ هَذِهِ الْحُرْمَةِ «لَقَدْ رَأَيْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي إِلَى هَذَا الْمَقَامِ، وَإِنَّ عَلَيْهِ نَعْلَيْهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ
وَهُمَا عَلَيْهِ».

■ وقال الإمام البزار رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبَانَ الْقُرَشِيُّ، قَالَ: نَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: نَا هِلَالُ بْنُ
مَيْمُونٍ، عَنْ أَبِي ثَابِتٍ يَعْلَى بْنِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَالِفُوا الْيَهُودَ وَصَلُّوا فِي نِعَالِكُمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ فِي
نِعَالِهِمْ وَلَا فِي خِفَافِهِمْ».

ورواه الحاكم⁽²⁾، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

وقال الذهبي في «التلخيص»: «صحيح».

وراجع رسالة شيخنا العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ «شرعية الصلاة في النعال».

النهْيُ مِنَ التَّشْبِيهِ بِهِمْ فِي تَعْجِيلِ الْفِطْرِ

■ قال ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ⁽³⁾:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، ح
وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ

(1) «مسند البزار» (3480)، و«سنن أبي داود» (652).

(2) «المستدرک على الصحيحين» (956).

(3) «صحيح ابن خزيمة» (2060).

الْأَحْمَسُ ، حَدَّثَنَا الْمُحَارِبِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو ، وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَلَ النَّاسُ الْفِطْرَ، إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ».

■ قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ مَرْثَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ عَلَيْنَا أَبُو أَيُّوبَ غَازِيًا وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ يَوْمَئِذٍ عَلَى مِصْرَ فَأَخَّرَ الْمَغْرِبَ فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو أَيُّوبَ، فَقَالَ: لَهُ مَا هَذِهِ الصَّلَاةُ يَا عُقْبَةُ، فَقَالَ: شُغِلْنَا، قَالَ: أَمَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ - أَوْ قَالَ: عَلَى الْفِطْرَةِ - مَا لَمْ يُؤَخَّرُوا الْمَغْرِبَ إِلَى أَنْ تَشْتَبِكَ النُّجُومُ».

■ وقال سعيد بن منصور⁽²⁾:

حدثنا أبو معاوية حدثنا الصلت بن بهرام عن الحارث بن وهب عن أبي عبد الرحمن الصنابحي قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لا تزال أمتي على مسكة ما لم ينتظروا بالمغرب اشتباك النجوم مضاهاة لليهودية ولم ينتظروا بالفجر محاق النجوم مضاهاة للنصرانية ولم يكلوا الجنائز إلى أهلها».

قلت: ذكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ، ولم أره في المطبوع من سننه.

فعلى هذا فالرافضة والصوفية ومن قلدهم متشبهون باليهود والنصارى في

(1) «سنن أبي داود» (418).

(2) «اقتضاء الصراط المستقيم» (212/1).

ذلك، لا يتحرون الأذان الشرعي، ولا يتحرون طلوع الفجر الصادق، ولا غروب الشمس، وإنما يتبعون التقاويم المخترعة التي بنيت على الظنون، ودين الله يبنى على اليقين لا على الادعاء لعلم الغيب، ولا يعتمد على فسقة الناس ومبتدعيهم في مسائل تتعلق بأركان الإسلام من صلاة وإفطار وإمساك؛ فأين المؤذنون المؤتمنون؟! يكاد المرء أن لا يجد إلا الواحد في المائة.

النهج من التشبه بهم ترك السحر

■ قال الإمام مسلم رحمه الله⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ مُوسَى بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي قَيْسٍ، مَوْلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَضْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَكْلَةُ السَّحَرِ». وأخرجه الترمذي، بلفظ: «فَضْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ»⁽²⁾.

قلت: وقد شابههم كثير من الرافضة في بعض المناطق الذين يتركون السحر، أو يتسحرون نصف الليل، ثم يقومون يصلون الفجر قبل طلوع الفجر، ثم ينامون. وقد شابه الرافضة كثير من العوام فلا هم للسنة طبقوا، ولا للفريضة أدركوا... وهذا من عدم التوفيق، والله المستعان.

(1) «صحيح مسلم» (1096).

(2) «سنن الترمذي» (708).

النهى عن التشبه بهم في وصال الصوم

■ قال الإمام أحمد رحمه الله⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدُ، وَعَفَّانُ، قَالَا: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ إِيَادٍ، حَدَّثَنَا إِيَادُ بْنُ لَقِيطٍ، عَنْ كَيْلَى، امْرَأَةٍ بَشِيرٍ قَالَتْ: أَرَدْتُ أَنْ أَصُومَ يَوْمَيْنِ مُوَاصِلَةً، فَمَنَعَنِي بَشِيرٌ، وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْهُ وَقَالَ: «يَفْعَلُ ذَلِكَ النَّصَارَى، وَقَالَ عَفَّانُ: يَفْعَلُ ذَلِكَ النَّصَارَى، وَلَكِنْ صُومُوا كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ، وَأَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ فَأَفْطِرُوا».

وقد رواه أحمد في المسند عن أبي عبد الله الصنابحي، وقالوا بأن حديثه مرسل، لأنه لم يسمع من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذكر ذلك عبد الرحمن بن أبي حاتم⁽²⁾، وذكره عن يحيى بن معين، وأبي زرعة، وأبي حاتم، وعليه سائر أئمة الحديث.

(1) «مسند أحمد» (21955).

(2) «المراسيل» (ص/ 121).

النهاية من التشبه بهم في الصلاة عند الشروق والغروب

■ قال الإمام مسلم رحمه الله⁽¹⁾:

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْمَعْقَرِيُّ، حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا شَدَّادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو عَمَّارٍ، وَيَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ - قَالَ عِكْرِمَةُ، وَلَقِيَ شَدَّادُ أَبُو أُمَامَةَ، وَوَائِلَةَ، وَصَحْبَ أَنَسٍ إِلَى الشَّامِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَضْلًا وَخَيْرًا - عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ السُّلَمِيُّ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بَرَجْلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا جُرْءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّعْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أُرْسَلَنِي اللَّهُ»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أُرْسَلْتَ؟ قَالَ: «أُرْسَلَنِي بِصَلَاةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوحِّدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ»، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «حُرٌّ، وَعَبْدٌ»، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: «إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنْ ازْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي»، قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، وَكُنْتُ فِي أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ، وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا النَّاسُ: إِلَيْهِ سِرَاعٌ وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ

(1) «صحيح مسلم» (832).

الله أَنْعَرِفُنِي؟ قَالَ: «نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ»، قَالَ: فَقُلْتُ: بَلَى. فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ، قَالَ: «صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمَحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسَجَّرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ».

قَالَ: فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ فَالْوُضُوءَ حَدَّثَنِي عَنْهُ، قَالَ: «مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ فَيَتَمَضَّمُضْ، وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ، وَفِيهِ وَخْيَاشِيمِهِ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنْامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنْامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ، إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

النهْي عن التشبه بهم في القيام للكتاب

■ قال الإمام مسلم رحمه الله⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّيْنَا وَرَاءَهُ وَهُوَ قَاعِدٌ، وَأَبُو بَكْرٍ يُسْمِعُ النَّاسَ تَكْبِيرَهُ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا فَرَأَانَا قِيَامًا، فَأَشَارَ إِلَيْنَا فَقَعَدْنَا فَصَلَّيْنَا بِصَلَاتِهِ قُعُودًا فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ: «إِنْ كِدْتُمْ أَنْفًا لَتَفْعَلُونَ فِعْلَ فَارِسَ وَالرُّومِ يَقُومُونَ عَلَى مُلُوكِهِمْ، وَهُمْ قُعُودٌ فَلَا تَفْعَلُوا اتَّمُوا بِأَيْمَتِكُمْ إِنْ صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا وَإِنْ صَلَّى قَاعِدًا فَصَلُّوا قُعُودًا».

النهْي عن التشبه بهم في دعوى الجاهلية

■ قال الإمام مسلم رحمه الله⁽²⁾:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانٌ، حَدَّثَنَا أَبَانُ بْنُ يَزِيدَ، ح وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ - وَاللَّفْظُ لَهُ - أَخْبَرَنَا حَبَّانُ بْنُ هِلَالٍ، حَدَّثَنَا أَبَانُ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، أَنَّ زَيْدًا، حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا سَلَامٍ، حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا مَالِكٍ الْأَشْعَرِيَّ، حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهَا: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْأَسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ»، وَقَالَ: «النَّيَاحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ».

(1) «صحيح مسلم» (413).

(2) «صحيح مسلم» (934).

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا زَيْدُ الْيَامِيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ».

■ قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ⁽²⁾:

«قَوْلُهُ: «وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»، فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: «بِدَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ»، أَيِّ مِنَ النَّيَاحَةِ وَنَحْوِهَا، وَكَذَا النَّدْبَةُ كَقَوْلِهِمْ: «وَاجْبَلَاهُ»، وَكَذَا الدُّعَاءُ بِالْوَيْلِ وَالتُّبُورِ».

■ قال المناوي⁽³⁾:

«قال ابن تيمية: ذم في الحديث من ادعى بدعوى الجاهلية وأخبر أن بعض أمور الجاهلية لا يتركه الناس ذما لمن يتركه وهذا يقتضي أن ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم مذموم في دين الإسلام وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها ومعلوم أن إضافتها إليها خرج مخرج الذم».

(1) «صحيح البخاري» (1294).

(2) «فتح الباري» (3/164).

(3) «فيض القدير» (3/293).

النهائي عن التشبه بهم في التعزّي بعزاء الجاهلية

■ قال النسائي⁽¹⁾:

أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيُّ الْقَاضِي، كَانَ بِالْبَصْرَةِ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ، عَنْ عَوْفٍ، عَنْ الْحَسَنِ، عَنْ عُتَيٍّ، عَنْ أَبِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَعَزَّى بِعِزِّ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعْضُوهُ بِهِنَّ أَبِيَهُ وَلَا تُكْنُوا».

■ قال المناوي⁽²⁾:

«قوله: «إذا رأيت الرجل ليتعزّى» أي ينتسب، «بعزاء الجاهلية» أي بنسبها والانتماء إليها، يقال: اعتزى إليه أي انتسب وانتمى وتعزى كذلك. «فأعضوه» أي: اشتموه، «بهن أبيه» أي قولوا له: اعضض بهن أبيك أو بذكره وصرحوا بلفظ الذكر.

«ولا تكنوا» عنه بالهن تنكيرا وزجرا.

وقيل: معناه من انتسب وانتمى إلى الجاهلية بإحياء سنة أهلها واتباع سبيلهم في الشتم واللعن والتعبير ومواجهتهم بالمنكر فاذكروا له قبائح آبائه من عبادة الأصنام وشرب الخمر وغيرهما صريحا لا كناية ليرتدع به عن التعرض للأعراض. وقال ابن جرير: معنى الاعتراض هنا إنما هو دعوى القائل يا آل فلان: أي تعريضا بنجدتهم وتذكيرا بشجاعتهم. قال: وهذا مخصوص بغير

(1) «السنن الكبرى للنسائي» (8813).

(2) «فيض القدير» (357/1).

الحرب فلا بأس بذكر القبائل فيه لأن المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر في وقعة هوازن العباس أن ينادي بأعلى صوته: أين أصحاب الشجرة يا بني الحارث؟ أين الخزرج يا كذا يا كذا؟ فهو منهي عنه إلا في هذا الموضع. وخص الأب لأن هتك عورته أقبح».

النهْيُ عَنِ التَّشْبِيهِ بِهِمْ فِي الطَّعْنِ فِي الْأَنْسَابِ وَالنِّيَاةِ

■ قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اِئْتَنَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاةُ عَلَى الْمَيِّتِ».

والنِّيَاةُ عَلَى الْمَيِّتِ دعوى الجاهلية.

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

«بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴿﴾ [الحجرات: 13].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء].

وَمَا يُنْهَى عَنْ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، الشُّعُوبُ: النَّسَبُ الْبَعِيدُ، وَالْقَبَائِلُ: دُونَ ذَلِكَ.

(1) «صحيح مسلم» (67).

(2) «صحيح البخاري» (3489).

حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ الْكَاهِلِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13]، قَالَ: «الشُّعُوبُ: الْقَبَائِلُ الْعِظَامُ، وَالْقَبَائِلُ: الْبُطُونُ».

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عُبيدِ اللَّهِ، سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «خِلَالٌ مِنْ خِلَالِ الْجَاهِلِيَّةِ الطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ وَالنِّيَاحَةِ» وَنَسِيَ الثَّالِثَةَ.

قَالَ سُفْيَانٌ وَيَقُولُونَ إِنَّهَا الْإِسْتِسْقَاءُ بِالْأَنْوَاءِ.

■ قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾: «قَالَ الْقَاضِي: قَالَ الْمَازِرِيُّ: وَكَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَقْدَحُ فِي نَسَبِ أَسَامَةِ لِكَوْنِهِ أَسْوَدَ شَدِيدَ السَّوَادِ، وَكَانَ زَيْدٌ أَيْبَضُ؛ كَذَا قَالَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ صَالِحٍ.

فَلَمَّا قَضَى هَذَا الْقَائِفُ بِالْحَاقِ نَسَبِهِ مَعَ اخْتِلَافِ اللَّوْنِ وَكَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَعْتَمِدُ قَوْلَ الْقَائِفِ فَرِحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكَوْنِهِ زَاجِرًا لَهُمْ عَنِ الطَّعْنِ فِي النَّسَبِ».

التشبه بهم في محرم الإسراع بالجنابة

■ قال الإمام ابن أبي شيبة⁽³⁾:

(1) «صحيح البخاري» (3850).

(2) «شرح النووي على مسلم» (41 / 10).

(3) «مصنف ابن أبي شيبة» (11276).

حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ:
«لَا تَدْبُوا بِالْجَنَازَةِ دَيْبَ النَّصَارَى».

وسنده صحيح.

■ والسنة الإسراع بها، كما روى النسائي قال (1):

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدٌ، قَالَ: أَنْبَأَنَا عُيَيْنَةُ بْنُ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ بْنِ يُونُسَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: شَهِدْتُ جَنَازَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ
وَخَرَجَ زِيَادٌ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْ السَّرِيرِ، فَجَعَلَ رِجَالُ مَنْ أَهْلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
وَمَوَالِيهِمْ يَسْتَقْبِلُونَ السَّرِيرَ وَيَمْشُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَيَقُولُونَ: رُوَيْدًا رُوَيْدًا بَارَكَ
اللَّهُ فِيكُمْ، فَكَانُوا يَدْبُونَ دَيْبًا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَعْضِ طَرِيقِ الْمَرْبِدِ لَحِقْنَا أَبُو بَكْرَةَ
عَلَى بَعْلَةٍ، فَلَمَّا رَأَى الَّذِي يَصْنَعُونَ حَمَلَ عَلَيْهِمْ بِبَعْلَتِهِ، وَأَهْوَى إِلَيْهِمْ بِالسَّوْطِ،
وَقَالَ: خَلُّوا، فَوَالَّذِي أَكْرَمَ وَجْهَ أَبِي الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ «رَأَيْنَا مَعَ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّا لَنَكَادُ نَرْمُلُ بِهَا رَمَلًا»، فَانْبَسَطَ الْقَوْمُ.

وسنده صحيح وهو في «الصحيح المسند» للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْلِسُوا قَالِفُوهُمْ»

■ قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ (2):

حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ بَهْرَمٍ الْمَدَائِنِيُّ، أَخْبَرَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو

(1) «سنن النسائي» (1912).

(2) «سنن أبي داود» (3176).

الْأَسْبَاطِ الْحَارِثِيَّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَبْدِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ فِي الْجَنَازَةِ حَتَّى تُوَضَعَ فِي اللَّحْدِ، فَمَرَّ بِهِ حَبْرٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ: هَكَذَا نَفْعَلُ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «اجْلِسُوا خَالِفُوهُمْ».

قال الألباني: «حسن».

النهْيُ عَنِ النِّعَمِ كَفَعْلِ الْجَاهِلِيَّةِ

■ قال الإمام عبد الرزاق رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

عَنْ هِشَامٍ، صَاحِبِ الدَّسْتَوَائِيَّ، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: «لَا بَأْسَ إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ أَنْ يُؤَذَّنَ صَدِيقُهُ، إِنَّمَا كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يُطَافَ بِهِ فِي الْمَجَالِسِ، أَنْعِي فَلَانَا كَفَعْلِ الْجَاهِلِيَّةِ».

سنده صحيح.

■ وقال الإمام ابن أبي شيبة⁽²⁾:

حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: «النَّعْيُ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ».

■ وقال الإمام ابن أبي شيبة⁽³⁾:

حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُدْرِكٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ

(1) «مصنف عبد الرزاق» (6056).

(2) «مصنف ابن أبي شيبة» (11206).

(3) «مصنف ابن أبي شيبة» (11210).

عَلَقَمَةً، أَنَّهُ «أَوْصَى أَنْ لَا تُؤْذِنُوا أَحَدًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ النَّعْيُ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ».

■ وقال الإمام ابن أبي شيبة⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ هَلَالِ بْنِ خَبَّابٍ، عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ، قَالَ: «الطَّعَامُ عَلَى الْمَيِّتِ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَالنَّوْحُ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ».

■ وقال الإمام ابن أبي شيبة⁽²⁾:

حَدَّثَنَا فَضَالَةُ بْنُ حُصَيْنٍ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: «ثَلَاثٌ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ: بَيْتُوتَةُ الْمَرْأَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْمُصِيبَةِ لَيْسَتْ مِنْهُمْ، وَالنِّيَاحَةُ، وَنَحْرُ الْجَزُورِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ».

قلت: هو صحيح، ومن النعي ما نراه في بعض الأماكن: إذا مات ميتٌ نُعي من مكبرات المساجد باسمه، وأين سيدفن، أو يصلى عليه، وهذه بدعة محدثة لم أرها في غير بلدي (ذمار).

الْحَمْدُ لِلَّهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

■ قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ⁽³⁾:

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَكَّامُ بْنُ سَلَمٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ

(1) «مصنف ابن أبي شيبة» (11346)، و«مصنف عبد الرزاق» (6689).

(2) «مصنف ابن أبي شيبة» (11347).

(3) «سنن أبي داود» (3208)، و«سنن ابن ماجه» (1555) عن جرير رضي الله عنه.

الْأَعْلَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّحْدُ لَنَا وَالشَّقُّ لِعَيْرِنَا».

قال الألباني: «صحيح».

ما جاء في دم الحقيقة

■ قال الإمام ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ عَمْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا عَقُّوا عَنِ الصَّبِيِّ خَضُبُوا قُطْنَةً بِدَمِ الْعَقِيْقَةِ، فَإِذَا حَلَقُوا رَأْسَ الصَّبِيِّ، وَضَعُوها عَلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْعَلُوا مَكَانَ الدَّمِ خُلُوقًا».

وسنده صحيح.

والعقيقة: الذبيحة التي تذبح عن المولود،، والخلوق: عطر وطيب مركب يتخذ من الزعفران وغيره.

■ قال الإمام ابن أبي شيبة⁽²⁾:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، عَنْ هِشَامٍ، عَنِ الْحَسَنِ، وَمُحَمَّدٍ: «أَنْهُمَا كَانَا يَكْرَهُانِ أَنْ يُطْلَى رَأْسُ الصَّبِيِّ مِنْ دَمِ الْعَقِيْقَةِ». وَقَالَ الْحَسَنُ: «رَجْسٌ».

(1) «صحيح ابن حبان» (5308).

(2) «مصنف ابن أبي شيبة» (23699).

■ قال المناوي⁽¹⁾:

«أي كله للنهي عن القزح ولا يطلّى بدم العقيقة كما كانت الجاهلية تفعله واستمر زمنًا في صدر الإسلام ثم نسخ وأمرهم المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يجعلوا مكان الدم خلوقًا».

قلت: ومن ذلك ما يصنعه كثير من الناس عند الولادة، أو الموت، أو الزواج، يذبحون بعض الذبائح، ثم يلطخون باب البيت بالدم، أو رأس الصبي بالدم، يريدون من ذلك أن يطرّدوا الشيطان من البيت، أو من الولد، وهم بذلك مشركون بالله، ويعتقدون في غير الله، وكل ذلك من آثار المشركين.

النهي عن التشبه بهم في العصبية الجاهلية

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

بَابُ مَا يُنْهَى مِنْ دَعْوَةِ الْجَاهِلِيَّةِ:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا مَخْلَدُ بْنُ يَزِيدَ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَابٌ، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا، فَعَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ؟ ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ» فَأُخْبِرَ بِكَسَعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ

(1) «فيض القدير» (4/ 415).

(2) «صحيح البخاري» (4/ 183)، و«صحيح مسلم» (2584).

الأنصاري، قال: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ» وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سُلُولٍ: أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا، لِيُنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلَا نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْخَبِيثَ؟ لِعَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ».

■ قال آبادي⁽¹⁾:

«قوله: «حتى تداعوا»، أي: حتى استغاثوا بالقبائل يستنصرون بهم في ذلك، والدعوى الانتماء، وكان أهل الجاهلية يتممون بالاستغاثة إلى الآباء، وتداعوا، بصيغة الجمع وعن أبي ذر: تداعوا: بالثنية. قال بعضهم: والمشهور في هذا: تداعيا بالياء عوض الواو. قلت: الذي قال بالواو أخرجه على الأصل.

قوله: «يا للأنصار»، ويروى: يا آل الأنصار. قال النووي: كذا في معظم نسخ البخاري بلام مفصولة في الموضعين، وفي بعضها يوصلها، وفي بعضها: يا آل، بهمزة ثم لام مفصولة واللام في الجميع مفتوحة وهي لام الاستغاثة، قال: والصحيح بلام موصولة، ومعناه: ادعوا المهاجرين واستغيث بهم.

قوله: «ما بال دعوى الجاهلية؟» يعني: لا تداعوا بالقبائل بل تداعوا بدعوة واحدة بالإسلام، ثم قال: ما شأنهم؟ أي: ما جرى لهم وما الموجب في ذلك؟ قوله: «دعوها»، أي: دعوا هذه المقالة، أي: اتركوها أو: دعوا هذه الدعوى، ثم بين حكمة الترك بقوله: «فإنها خبيثة» أي: فإن هذه الدعوة خبيثة أي قبيحة منكرة كريهة مؤذية لأنها تثير الغضب على غير الحق، والتقاتل على الباطل،

وتؤدي إلى النار. كما جاء في الحديث: «من دعا بدعوى الجاهلية فليس منا وليتبوأ مقعده من النار»، وتسميتها: دعوى الجاهلية، لأنها كانت من شعارهم وكانت تأخذ حقها بالعصية فجاء الإسلام بإبطال ذلك وفصل القضاء بالأحكام الشرعية إذا تعدى إنسان على آخر حكم الحاكم بينهما وألزم كلا ما لزمه».

النهْيُ عَنِ التَّشْبِهِ بِهِمْ فِي الْفِرَاقِ بِالْإِبَاءِ

■ قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ مَرْوَانَ الرَّقِّيُّ، حَدَّثَنَا الْمُعَاوِي، ح وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الْهَمْدَانِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، وَهَذَا حَدِيثُهُ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمُ غُبَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَحَّرَهَا بِالْأَبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمٌ مِنْ تَرَابٍ، لِيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ».

رواه أبو داود وغيره، وهو صحيح.

■ وقال ابن حبان رَحِمَهُ اللهُ⁽²⁾:

أَخْبَرَنَا مَكْحُولٌ بَيَّزُوتَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَجَاءٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ بَنِي عُمَرَ قَالَ: طَافَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَاِحِلَتِهِ الْقُصَوَاءِ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَاسْتَلَمَ

(1) «سنن أبي داود» (5116).

(2) «صحيح ابن حبان» (3828).

الرُّكْنَ بِمُحَجِّنِهِ وَمَا وَجَدَ لَهَا مُنَاخًا فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى أُخْرِجَتْ إِلَى بَطْنِ الْوَادِي، فَأُنِيخَتْ، ثُمَّ حَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ: بَرٌّ تَقِيُّ كَرِيمٌ عَلَى رَبِّهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيْنَ عَلَى رَبِّهِ» ثم تلا: ﴿يَتَأَيَّأُ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13]. حَتَّى قَرَأَ الْآيَةَ، ثُمَّ قَالَ: «أَقُولُ هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ».

قلت: وهو في «الصحيح المسند» عن رجل من الصحابة.

■ قال أبو الطيب آبادي⁽¹⁾:

«عُيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ» بضم العين المهملة وكسر الموحدة المشددة وفتح المثناة التحتية المشددة أي فخرها وتكبرها ونخوتها.

قال الخطابي: العيبة الكبر والنخوة، وأصله من العب وهو الثقل يقال عيبة وعيبة بضم العين وكسرهما.

«مؤمن تقي وفاجر شقي»، قال الخطابي: معناه أن الناس رجلان مؤمن تقي فهو الخير الفاضل وإن لم يكن حسيباً في قومه وفاجر شقي فهو الدني وإن كان في أهله شريفاً رقيقاً؛ انتهى.

وقيل: معناه أن المفتخر المتكبر إما مؤمن تقي فإذا لا ينبغي له أن يتكبر على أحد أو فاجر شقي فهو ذليل عند الله والذليل لا يستحق التكبر، فالتكبر

(1) «عون المعبود» (14/16).

منفي بكل حال.

«أنتم بنو آدم وآدم من تراب» أي فلا يليق بمن أصله التراب النخوة والكبر.

«ليدعن» بلام مفتوحة في جواب قسم مقدر أي والله ليتركن كذا قيل.

«إنماهم» أي أقوام، «أو ليكونن» بضم النون الأولى والضمير الفاعل العائد إلى رجال وهو واو الجمع محذوف من ليكونن، والمعنى ليصيرن «أهون» أي أذل على الله أي عنده.

«من الجعلان» بكسر الجيم وسكون العين، جمع جعل بضم ففتح دويبة سوداء تدير الخراء بأنفها.

«التي تدفع بأنفها التنن» أي العذرة.

إِذَا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَلَائِكَةً فِي رَجُلٍ

▪ قال الإمام مسلم رحمه الله⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَدَنِيُّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، فَسَأَلَ عَنِ الْقَوْمِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنٍ، فَأَهْوَى يَدَهُ إِلَيَّ فَأَنَزَعَ زُرِّي الْأَعْلَى، ثُمَّ نَزَعَ زُرِّي الْأَسْفَلَ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ ثَدْيَيْي وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ شَابٌّ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ، يَا ابْنَ أَخِي، سَلْ عَمَّا شِئْتَ، فَسَأَلْتُهُ، وَهُوَ أَعْمَى، وَحَضَرَ وَفَتْ الصَّلَاةَ، فَقَامَ فِي نِسَاجَةٍ مُلْتَحِفًا بِهَا، كُلَّمَا وَضَعَهَا عَلَى مَنْكَبِهِ رَجَعَ طَرَفَا إِلَى إِلَيْهِ

(1) «صحيح مسلم» (1134).

مِنْ صِغَرِهَا، وَرِدَاؤُهُ إِلَى جَنْبِهِ، عَلَى الْمَشْجَبِ، فَصَلَّى بِنَا، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ حَاجَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: بِيَدِهِ فَعَقَدَ تِسْعًا، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذِنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرًا كَثِيرًا، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتِمَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ، حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: «اغْتَسِلِي، وَاسْتَنْفِرِي بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي» فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ رَكِبَ الْقُصَوَاءَ، حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ، نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ، مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ، فَأَهْلٌ بِالتَّوْحِيدِ «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ، وَالْمُلْكُ لَا شَرِيكَ لَكَ» وَأَهْلٌ النَّاسِ بِهَذَا الَّذِي يُهْلُونَ بِهِ، فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْهُ، وَلَزِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلْبِيَتَهُ، قَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَسْنَا نَنُوي إِلَّا الْحَجَّ، لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ، حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ، اسْتَلَمَ الرُّكْنَ فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا، ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَرَأَ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 125] فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَكَانَ أَبِي يَقُولُ - وَلَا أَعْلَمُهُ ذَكَرَهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا

قَرَأَ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 158] «أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» فَبَدَأَ
 بِالصَّفَا، فَرَقِي عَلَيْهِ، حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ:
 «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ» ثُمَّ دَعَا بَيْنَ
 ذَلِكَ، قَالَ: مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ، حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي
 بَطْنِ الْوَادِي سَعَى، حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى، حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ، فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ
 كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ، فَقَالَ: «لَوْ أَنِّي
 اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَتُكِّ الْهَدْيَ، وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ
 لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحْلِلْ، وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً»، فَقَامَ سُورَافَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ جُعْشُمٍ، فَقَالَ:
 يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلْعَامِنَا هَذَا أَمْ لَا أَبَدٍ؟ فَشَبَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَابِعَهُ
 وَاحِدَةً فِي الْأُخْرَى، وَقَالَ: «دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ» مَرَّتَيْنِ «لَا بَلْ لَا أَبَدٍ أَبَدٍ»
 وَقَدِمَ عَلَيَّ مِنَ الْيَمَنِ بِيَدِنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِمَّنْ
 حَلَّ، وَلَبِسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا، وَاکْتَحَلَتْ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي
 بِهِذَا، قَالَ: فَكَانَ عَلَيَّ يَقُولُ، بِالْعِرَاقِ: فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 مُحَرِّشًا عَلَى فَاطِمَةَ لِلَّذِي صَنَعْتُ، مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا
 ذَكَرْتُ عَنْهُ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: «صَدَقْتُ صَدَقْتُ، مَاذَا قُلْتَ
 حِينَ فَرَضْتَ الْحَجَّ؟» قَالَ قُلْتُ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَهْلٌ بِمَا أَهْلٌ بِهِ رَسُولُكَ، قَالَ: «فَإِنَّ
 مَعِيَ الْهَدْيَ فَلَا تَحْلِلْ» قَالَ: فَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَدْيِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلَيَّ مِنَ الْيَمَنِ
 وَالَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِائَةً، قَالَ: فَحَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَقَصَّروا، إِلَّا
 النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ تَوَجَّهُوا إِلَى مِنَى،

فَأَهْلُوا بِالْحَجِّ، وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ
وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ، ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ
شَعِيرٍ تُضْرَبُ لَهُ بِنَمْرَةٍ، فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا تَشْكُ قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّهُ
وَاقِفٌ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ، كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَجَازَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ، فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمْرَةٍ، فَتَرَلَّ بِهَا،
حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ، فَرَحِلَتْ لَهُ، فَاتَى بَطْنَ الْوَادِي، فَخَطَبَ
النَّاسَ وَقَالَ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي
شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ
مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رِبِيعَةَ بْنِ
الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدِ فَقَتَلْتَهُ هُذَيْلٌ، وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ،
وَأَوَّلُ رِبَا أَضَعُ رَبَانَا رَبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي
النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ
عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُوْنَهُ، فَإِنْ فَعَلَنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ
مُبْرَحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا
بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا:
نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ
وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «اللَّهُمَّ، اشْهَدْ، اللَّهُمَّ، اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَذَّنَ، ثُمَّ أَقَامَ
فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ... الحديث.

■ قال شيخ الإسلام⁽¹⁾:

«فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع» يدخل فيه كل ما كانوا عليه من العبادات والعادات مثل دعواهم يآل فلان ويآل فلان ومثل أعيادهم وغير ذلك من أمورهم.

ثم خص - بعد ذلك - الدماء والأموال التي كانت تستباح باعتقادات جاهلية، من الربا الذي كان في ذمم أقوام، ومن قتل قتل في الجاهلية قبل إسلام القاتل وعهده، أو قبل إسلام المقتول وعهده: إما لتخصيصها بالذكر بعد العام، وإما لأن هذا إسقاط لأمر معينة، يعتقد أنها حقوق، لا لسنن عامة لهم، فلا تدخل في الأول، كما لم تدخل الديون التي ثبتت ببيع صحيح، أو قرض، ونحو ذلك.

ولا يدخل في هذا اللفظ: ما كانوا عليه في الجاهلية، وأقره الله في الإسلام، كالمناسك، وكدية المقتول بمائة وكالقسامة، ونحو ذلك؛ لأن أمر الجاهلية معناه المفهوم منه: ما كانوا عليه مما لم يقره الإسلام، فدخل في ذلك ما كانوا عليه وإن لم ينه في الإسلام عنه بعينه».

مُخَالَفَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ مَسَائِلِ الْحِجَةِ

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ

(1) «اقتضاء الصراط المستقيم» (342/1).

(2) «صحيح البخاري» (1684).

مِيمُونٍ، يَقُولُ: شَهِدْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَلَّى بِجَمْعِ الصُّبْحِ، ثُمَّ وَقَفَ فَقَالَ: «إِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا لَا يَفِيضُونَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَيَقُولُونَ: أَشْرَقَ نَبِيٌّ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالَفَهُمْ ثُمَّ أَفَاضَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ».

■ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«وقد روي في هذا الحديث - فيما أظنه - أنه قال: «خالف هدينا هدي المشركين» وكذلك كانوا يفيضون من عرفات قبل الغروب، فخالفهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإفاضة بعد الغروب، ولهذا: صار الوقوف إلى ما بعد الغروب واجبا عند جماهير العلماء، وركنا عند بعضهم، وكرهوا شدة الإسفار صبيحة جمع. ثم الحديث قد ذكر فيه قصد المخالفة للمشركين».

العمره في الشهر الحرام

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، حَدَّثَنَا ابْنُ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الْعُمْرَةَ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ مِنْ أَفْجَرِ الْفُجُورِ فِي الْأَرْضِ، وَيَجْعَلُونَ الْمُحَرَّمَ صَفْرًا، وَيَقُولُونَ: إِذَا بَرَا الدَّبْرُ، وَعَفَا الْأَثَرُ، وَأَنْسَلَخَ صَفْرُ، حَلَّتِ الْعُمْرَةُ لِمَنْ اعْتَمَرَ، قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ صَبِيحَةَ رَابِعَةِ مِهْلَيْنَ بِالْحَجِّ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهَا عُمْرَةً، فَتَعَاظَمَ ذَلِكَ عَنْهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْحِلِّ؟ قَالَ: «حِلُّ كُلُّهُ».

(1) «اقتضاء الصراط المستقيم» (1/359، 360).

(2) «صحيح البخاري» (1564)، و«صحيح مسلم» (1240).

■ قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

«فَالْحَاصِلُ مِنْ مَجْمُوعِ طُرُقِ الْأَحَادِيثِ أَنَّ الْعُمْرَةَ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ جَائِزَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَكَذَلِكَ الْقِرَانُ وَأَنَّ فَسْخَ الْحَجِّ إِلَى الْعُمْرَةِ مُخْتَصٌّ بِتِلْكَ السَّنَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ».

■ ثم قال⁽²⁾:

«وَحِكْمَتُهُ إِبْطَالُ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْجَاهِلِيَّةُ مِنْ مَنَعِ الْعُمْرَةِ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ هَذَا كُلُّهُ فِي الْبَابِ السَّابِقِ وَاللهُ أَعْلَمُ».

النهائي عن التشبه بهم في امتزال الحائض

■ قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ⁽³⁾:

وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا، وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا﴾ [البقرة: 222] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ» فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ، فَقَالُوا: مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ، فَجَاءَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَعَبَادُ بْنُ

(1) «شرح النووي على مسلم» (8/ 167).

(2) «شرح النووي على مسلم» (8/ 203).

(3) «صحيح مسلم» (302).

بِشْرِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْيَهُودَ تَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، فَلَا نُجَامِعُهُنَّ؟ فَتَغَيَّرَ وَجْهُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِمَا، فَخَرَجَا فَاسْتَقْبَلَهُمَا
هَدِيَّةٌ مِنْ لَبْنٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَرْسَلَ فِي آثَرِهِمَا فَسَقَاهُمَا، فَعَرَفَا أَنَّ لَمْ
يَجِدْ عَلَيْهِمَا.

نكاح الجاهليين

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ (1):

قَالَ يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ، ح وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا عَنَسَةُ، حَدَّثَنَا يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّ النِّكَاحَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ: فَنِكَاحٌ مِنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ الْيَوْمَ: يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلَيْتَهُ أَوْ ابْنَتَهُ، فَيُضْذِقُهَا ثُمَّ يَنْكِحُهَا، وَنِكَاحٌ آخَرُ: كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لِامْرَأَتِهِ إِذَا طَهَّرَتْ مِنْ طَمَئِهَا: أَرْسِلِي إِلَى فُلَانٍ فَاسْتَبْضِعِي مِنْهُ، وَيَعْتَزِّلُهَا زَوْجُهَا وَلَا يَمَسُّهَا أَبَدًا، حَتَّى تَبَيِّنَ حَمْلُهَا مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي تَسْتَبْضِعُ مِنْهُ، فَإِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا أَصَابَهَا زَوْجُهَا إِذَا أَحَبَّ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي نَجَابَةِ الْوَلَدِ، فَكَانَ هَذَا النِّكَاحُ نِكَاحَ الْإِسْتِبْضَاعِ. وَنِكَاحٌ آخَرُ: يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ مَا دُونَ الْعَشْرَةِ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ، كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا، فَإِذَا حَمَلَتْ وَوَضَعَتْ، وَمَرَّ عَلَيْهَا لَيَالٍ بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا، أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعَ، حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا، تَقُولُ لَهُمْ: قَدْ عَرَفْتُمْ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِكُمْ وَقَدْ وَلَدْتُ، فَهُوَ ابْنُكَ يَا فُلَانُ، تُسَمِّي مَنْ أَحَبَّتْ بِاسْمِهِ فَيَلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْتَنِعَ بِهِ الرَّجُلُ، وَنِكَاحُ الرَّابِعِ: يَجْتَمِعُ النَّاسُ الْكَثِيرُ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ، لَا تَمْتَنِعُ مِمَّنْ جَاءَهَا، وَهِنَّ الْبَغَايَا، كُنَّ يَنْصِبْنَ عَلَى أَبْوَابِهِنَّ رَايَاتٍ تَكُونُ عَلَمًا، فَمَنْ أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ، فَإِذَا حَمَلَتْ إِحْدَاهُنَّ وَوَضَعَتْ حَمْلَهَا جُمِعُوا لَهَا، وَدَعَوْا لَهُمُ الْقَافَةَ، ثُمَّ أَلْحَقُوا وَلَدَهَا بِالَّذِي يَرُونَهُ، فَالْتَأَطَ بِهِ، وَدُعِيَ ابْنُهُ، لَا يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ «فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ

(1) «صحيح البخاري» (5127).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ، هَدَمَ نِكَاحَ الْجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إِلَّا نِكَاحَ النَّاسِ الْيَوْمَ».

ومنها نكاح الشغار

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الشُّغَارِ» وَالشُّغَارُ أَنْ يُزَوَّجَ الرَّجُلُ ابْنَتَهُ عَلَى أَنْ يُزَوَّجَهُ الْآخَرُ ابْنَتَهُ، لَيْسَ بَيْنَهُمَا صَدَاقٌ.

■ قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

«وَكَانَ الشُّغَارُ مِنْ نِكَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ. وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ مِنْهِيَ عَنْهُ، لَكِنْ اِخْتَلَفُوا هَلْ هُوَ نَهْيٌ يَقْتَضِي إِبْطَالَ النِّكَاحِ أَمْ لَا؟ فَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ يَقْتَضِي إِبْطَالَه، وَحَكَاهُ الْخَطَّابِيُّ عَنْ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ وَأَبِي عُبَيْدٍ، وَقَالَ مَالِكٌ: يُفْسَخُ قَبْلَ الدُّخُولِ وَبَعْدَهُ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ قَبْلَهُ لَا بَعْدَهُ، وَقَالَ جَمَاعَةٌ: يَصِحُّ بِمَهْرِ الْمَثَلِ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ، وَحُكِيَ عَنْ عَطَاءٍ وَالزُّهْرِيِّ وَاللَّيْثِ، وَهُوَ رِوَايَةٌ عَنْ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ، وَبِهِ قَالَ أَبُو ثَوْرٍ وَابْنُ جَرِيرٍ، وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ غَيْرَ الْبَنَاتِ مِنَ الْأَخَوَاتِ وَبَنَاتِ الْأَخِ وَالْعَمَّاتِ وَبَنَاتِ الْأَعْمَامِ وَالْإِمَاءِ كَالْبَنَاتِ فِي هَذَا، وَصُورَتُهُ الْوَاضِحَةُ: زَوَّجْتُكَ بِنْتِي عَلَى أَنْ تُزَوِّجَنِي بِنْتُكَ، وَيَضَعُ كُلُّ وَاحِدَةٍ صَدَاقًا لِلْآخَرَى فَيَقُولُ: قَبِلْتُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ».

(1) «صحيح البخاري» (5112)، و«صحيح مسلم» (1415)، قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ

يَحْيَى، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، بِهِ.

(2) «شرح النووي على مسلم» (9/201).

قلت: ومن الأنكحة التي تفتت بين الناس، وأصلها من عند الكفار: ما يسمى بزواج المسير والصدقة، وغير ذلك مما لم يرد عليه دليل من الكتاب والسنة، نسأل الله المعافاة.

النهاية من التشبه بهم في لبس السراويل، ليس عليها أزر

■ قال الإمام أحمد رحمه الله⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَلَاءِ بْنِ زُبَيْرٍ، حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ يَقُولُ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَشِيخَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ بِيضَ لِحَاهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ حَمُّرُوا وَصَفَّرُوا، وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ». قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَتَسَرَّوْنَ وَلَا يَأْتِرُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَسَرَّوْا وَاتَّزِرُوا وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ». قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَتَخَفُّونَ وَلَا يَتَّعِلُّونَ. قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَخَفُّوا وَاتَّعِلُّوا وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ». قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَقْصُونَ عَثَانِيَهُمْ وَيُوقِرُونَ سِبَالَهُمْ. قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فُصِّوا سِبَالَكُمْ وَوَقِّرُوا عَثَانِيَكُمْ وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ».

عبد الله بن العلاء بن زبر الربيعي الدمشقي وثقه أبو داود، وزيد بن يحيى بن عبيد الدمشقي ثقة.

وقال الشيخ الألباني رحمه الله⁽²⁾: «حسن».

(1) «مسند أحمد» (22283).

(2) «جلباب المرأة المسلمة» (ص/ 185).

النهاى من التلشبه بهم فى الأروى على الأكام المسلمى

▪ قال الإمام البخارى رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، عَنِ الْجَعْدِ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيُضِرِّ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

▪ قال الإمام البخارى رَحِمَهُ اللهُ⁽²⁾:

حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنِ الْجَعْدِ أَبِي عُثْمَانَ، حَدَّثَنِي أَبُو رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيُضِرِّ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

▪ قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ⁽³⁾:

حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ يَعْنِي ابْنَ حَازِمٍ، حَدَّثَنَا غِيلَانُ بْنُ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي قَيْسٍ بْنِ رِيَّاحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عَمِيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصْبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصْبَةً، فَقُتِلَ، فَقَتَلَهُ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا،

(1) «صحيح البخارى» (7053).

(2) «صحيح البخارى» (7054).

(3) «صحيح مسلم» (1848).

وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدُهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ».

■ قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ، عَنْ غِيلَانَ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ زِيَادِ بْنِ رِيَّاحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، ثُمَّ مَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِلْعَصْبَةِ، وَيُقَاتِلُ لِلْعَصْبَةِ، فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي، وَمَنْ خَرَجَ مِنْ أُمَّتِي عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، لَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي بِذِي عَهْدِهَا، فَلَيْسَ مِنِّي».

■ قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطْعِمٍ حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ، زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: اطْرَحُوا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَادَةً، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَجْلَسَ، أَتَيْتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

(1) «صحيح مسلم» (1848).

(2) «صحيح مسلم» (1851).

■ قال ابن حجر⁽¹⁾:

«فقد مات ميتة جاهلية»، بكسر الميم، أي: على حالة الموت الجاهلي.

■ وقال النووي⁽²⁾:

«قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية» هي بكسر الميم أي على صفة موتهم من حيث هم فوضى لا إمام لهم».

قلت: وقد اتبع الجاهليين في الخروج على الحكام، ونزع البيعة، والخروج من الطاعة، كثير من المسلمين.

وقد قال بعض السلف: «ما ابتدع رجل بدعة إلا استحلَّ السيف، وخرج على ولاية الأمور».

وأشدَّهم الرافضة وجماعة الفساد أصحاب أسامة بن لادن والإخوان المسلمون، وأصحاب «حزب التحرير» والقطيون والسروريون وأضرابهم، كفانا الله والمسلمين شرهم.

(1) «فتح الباري» (1/191).

(2) «شرح النووي على مسلم» (12/238).

منازلهم في تولية النساء

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ الْهَيْثَمِ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: لَقَدْ نَفَعَنِي اللَّهُ بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّامَ الْجَمَلِ، بَعْدَ مَا كَذَبْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ فَأُقَاتِلَ مَعَهُمْ، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ، قَدْ مَلَكَوا عَلَيْهِمْ بِنْتُ كِسْرَى، قَالَ: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ».

قلت: وترى بعض المسلمين قد تشبه بهم في ذلك فسارعوا إلى الدعوة إلى المساواة وتوليئتها بعض الأعمال، بل دعى الزنداني إلى مجلس لشيخات اليمن تباً له وسحقاً فقد أصبح من المماسيخ.

النهج من التهجير بالأم أو النسب

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ⁽²⁾:

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ وَاصِلِ الْأَخْذَبِ، عَنْ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَيْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ،

(1) «صحيح البخاري» (4425).

(2) «صحيح البخاري» (30)، و«صحيح مسلم» (1661).

وَلْيُلْبَسُهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تَكْلُفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ».

▪ قال النووي⁽¹⁾:

«قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فيك جاهلية»، أي هذا التعبير من أخلاق الجاهلية ففيك خلق من أخلاقهم وينبغي للمسلم أن لا يكون فيه شيء من أخلاقهم ففيه النهي عن التعبير».

النهي عن التسليم بالإشارة كاليهود والنصارى

▪ قال الإمام ابن ماجه رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا سُهَيْلُ بْنُ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَا حَسَدَتْكُمْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّائِمِينَ».

وهو حديث صحيح.

▪ وقال النسائي⁽³⁾:

أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُسْتَمِرِّ قَالَ: حَدَّثَنِي الصَّلْتُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حُمَيْدٍ الرُّوَاسِيُّ، عَنْ ثَوْرٍ قَالَ: حَدَّثَ أَبُو الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تُسَلِّمُوا تَسْلِيمَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَإِنَّ

(1) «شرح النووي على مسلم» (11/132).

(2) «سنن ابن ماجه» (856).

(3) «السنن الكبرى للنسائي» (10100).

تَسْلِيْمُهُمْ بِالْأَكْفِ وَالرُّؤُوسِ وَالْإِشَارَةِ».

قلت: ثور بن يزيد بن زياد الكلاعي، و يقال الرحبي، أبو خالد الشامي الحمصي، روى له البخاري ومسلم.

قال ابن حجر: ثقة ثبت إلا أنه يرى القدر.

وقال الذهبي: الحافظ.. ثبت، لكنه قدري.

وإبراهيم بن حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي، أبو إسحاق الكوفي، روى له البخاري ومسلم.

قال ابن حجر: ثقة.

وقال ابن معين في إبراهيم بن حميد الرؤاسي: ثقة؛ كما في «الجرح والتعديل».

والصلت بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي المغيرة البصري، أبو همام الخاركي روى له البخاري والنسائي.

قال ابن حجر: صدوق.

وقال الذهبي: صالح الحديث.

وإبراهيم بن المستمر الهذلي الناجي العروقي العصفري، أبو إسحاق البصري (صاحب العروق).

قال ابن حجر: صدوق يغرب.

قال الذهبى: صدوق.

قلت: وله إسناد آخر أعرضت عنه لشدة ضعفه.

■ وقال الترمذى رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيْعَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا، لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَلَا بِالنَّصَارَى، فَإِنَّ تَسْلِيمَ الْيَهُودِ الْإِشَارَةُ بِالأَصَابِعِ، وَتَسْلِيمَ النَّصَارَى الْإِشَارَةُ بِالأَكْفِ».

قال أبو عيسى: هَذَا حَدِيثٌ إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ وَرَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ، هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ ابْنِ لَهِيْعَةَ، فَلَمْ يَرْفَعْهُ.

قال الشيخ الألبانى: «حسن».

■ وقال الألبانى أيضا⁽²⁾:

«ليس منا من تشبه بغيرنا لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع وتسليم النصارى الإشارة بالأكف»؛ صحيح بشواهده» اهـ.

قلت: ومن شواهده:

■ قال الطبرانى⁽³⁾:

(1) «سنن الترمذى» (2695).

(2) «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها» (2194).

(3) «المعجم الأوسط» (7380).

«حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبَانَ، نَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ شَوْذَبٍ، ثنا أَبُو الْمُسَيْبِ سَلَامُ بْنُ مُسْلِمٍ، نَا لَيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَظَنَّهُ مَرْفُوعًا قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا، لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَلَا بِالنَّصَارَى، فَإِنَّ تَسْلِيمَ الْيَهُودِ الْإِشَارَةُ بِالْأَصَابِعِ، وَإِنْ تَسْلِيمَ النَّصَارَى بِالْأَكْفِ، وَلَا تَقْصُوا النَّوَاصِي، وَأَخْفُوا الشَّوَارِبَ، وَأَعْفُوا اللَّحَى، وَلَا تَمْشُوا فِي الْمَسَاجِدِ وَالْأَسْوَاقِ وَعَلَيْكُمْ الْقُمْصُ إِلَّا وَتَحْتَهَا الْأُزُرُ»

لَمْ يَرَوْ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ لَيْثِ بْنِ سَعْدٍ إِلَّا أَبُو الْمُسَيْبِ».

قلت: وهذا الحديث فيه من لا يعرف كسلام بن مسلم ولم أجد له ترجمة غير أنني أخشى أن يكون تصحّف من مسلم بن سلام إلى سلام بن مسلم لأنه ليس في كتب التراجم في نفس طبقته إلا مسلم بن سلام أبو المسيب، وهو مجهول أيضاً.

■ وقال النسائي⁽¹⁾:

أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُسْتَمِرِّ قَالَ: حَدَّثَنِي الصَّلْتُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حُمَيْدٍ الرُّوَاسِيُّ، عَنْ ثَوْرٍ قَالَ: حَدَّثَ أَبُو الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تُسَلِّمُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، فَإِنْ تَسَلِّمَهُمْ بِالْأَكْفِ وَالرُّؤُوسِ وَالْإِشَارَةِ».

قلت: وله إسناد آخر أعرضت عنه لشدة ضعفه.

(1) «السنن الكبرى للنسائي» (10100).

إبطال رسول الله المطيية من أمور الجاهلية

■ قال الإمام أحمد بن حنبل⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ، مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ، حَدَّثَنَا ذِيَالُ بْنُ عُبَيْدٍ بْنُ حَنْظَلَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ حَنْظَلَةَ بْنَ حَذِيمٍ جَدِّي، أَنَّ جَدَّهُ حَنِيفَةَ، قَالَ لِحَذِيمٍ: اجْمَعْ لِي بَنِيَّ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُوصِيَ، فَجَمَعَهُمْ، فَقَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا أُوصِي أَنْ لِيَتِمِّي هَذَا الَّذِي فِي حَجْرِي مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، الَّتِي كُنَّا نُسَمِّيهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ: الْمُطَيَّةَ، فَقَالَ حَذِيمٌ: يَا أَبَتِ، إِنِّي سَمِعْتُ بَنِيكَ يَقُولُونَ: إِنَّمَا نُقَرُّ بِهَذَا عِنْدَ آبِنَا، فَإِذَا مَاتَ رَجَعْنَا فِيهِ، قَالَ: فَبَيْنِي وَبَيْنَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ حَذِيمٌ: رَضِينَا، فَارْتَفَعَ حَذِيمٌ، وَحَنِيفَةُ، وَحَنْظَلَةُ مَعَهُمْ غُلَامٌ، وَهُوَ رَدِيفٌ لِحَذِيمٍ، فَلَمَّا أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَلَّمُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «مَا رَفَعَكَ يَا أَبَا حَذِيمٍ؟» قَالَ: هَذَا، وَضَرَبَ يَدَهُ عَلَى فَخِذِ حَذِيمٍ، فَقَالَ: إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَفْجَأَنِي الْكِبَرُ، أَوْ الْمَوْتُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُوصِيَ، وَإِنِّي قُلْتُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا أُوصِي أَنْ لِيَتِمِّي هَذَا الَّذِي فِي حَجْرِي مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، كُنَّا نُسَمِّيهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ: الْمُطَيَّةَ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى رَأَيْنَا الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، وَكَانَ قَاعِدًا فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَقَالَ: «لَا، لَا، لَا الصَّدَقَةُ خُمْسٌ، وَإِلَّا فَعَشْرٌ، وَإِلَّا فَخُمْسَ عَشْرَةٍ، وَإِلَّا فَعِشْرُونَ، وَإِلَّا فَخُمْسٌ وَعِشْرُونَ، وَإِلَّا فَثَلَاثُونَ، وَإِلَّا فَخُمْسٌ وَثَلَاثُونَ، فَإِنْ كَثُرَتْ فَأَرْبَعُونَ»، قَالَ: فَوَدَعُوهُ وَمَعَ الْيَتِيمَ عَصَا، وَهُوَ يَضْرِبُ جَمَلًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَظُمَتْ هَذِهِ هِرَاوَةُ يَتِيمٍ»، قَالَ حَنْظَلَةُ: فَدَنَا بِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّ لِي بَنِينَ ذَوِي لَحَى، وَدُونَ ذَلِكَ، وَإِنْ ذَا أَصْغَرُهُمْ، فَادْعُ

(1) «مسند أحمد» (20665).

الله لَهُ، فَمَسَحَ رَأْسَهُ، وَقَالَ: «بَارَكَ اللهُ فِيكَ»، أَوْ «بُورِكَ فِيهِ»، قَالَ ذِيَالٌ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ حَنْظَلَةَ، «يُؤْتَى بِالْإِنْسَانِ الْوَارِمِ وَجْهَهُ، أَوْ بِالْبَهِيمَةِ الْوَارِمَةِ الضَّرْعُ، فَيَتْفُلُ عَلَى يَدَيْهِ، وَيَقُولُ: بِسْمِ اللهِ، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَيَقُولُ عَلَى مَوْضِعِ كَفِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَمْسَحُهُ عَلَيْهِ»، وَقَالَ ذِيَالٌ: «فَيَذْهَبُ الْوَرْمُ».

إسناده صحيح، وهو في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين».

النهى عن التشبه بهم بالكلام واللغات

وكم نرى من كثير من المسلمين - هداهم الله - الافتخار بمعرفة لغات الكفار، والتكلم بكلامهم، وتسمية المحلات والمصنوعات والمأكولات والمشروبات وغيرها بأسماء أعجمية لا يفهمها العرب، والعجيب أنهم يتباهون بذلك، ويعظمون من عرف الكلام بلغة الكفار - عياداً بالله -.

وقد ورد عن السلف النهي والنأي عن كلامهم ولغاتهم وورطاتهم.

■ قال البيهقي⁽¹⁾:

أَخْبَرَنَا أَبُو طَاهِرٍ الْفَقِيه، أَنبَأَ أَبُو بَكْرٍ الْقَطَّانُ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ السُّلَمِيُّ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ، ثنا سُفْيَانُ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَا تَعَلَّمُوا رَطَانَةَ الْأَعَاجِمِ وَلَا تَدْخُلُوا عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي كُنَائِسِهِمْ يَوْمَ عِيدِهِمْ، فَإِنَّ السَّخْطَةَ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ».

■ وقال ابن أبي شيبة⁽²⁾:

(1) «السنن الكبرى» (18861).

(2) «مصنف ابن أبي شيبة» (299/5).

«فِي الْكَلَامِ بِالْفَارِسِيَّةِ مَنْ كَرِهَهُ:

حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ أَبِي هِلَالٍ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ: «مَا تَعَلَّمَ الرَّجُلُ الْفَارِسِيَّةَ إِلَّا خَبَثَ، وَلَا خَبَثَ إِلَّا نَقَصَتْ مَرْوَةٌ». «

حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ ثَوْرٍ، عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: «لَا تَعَلَّمُوا رَطَانَةَ الْأَعَاجِمِ، وَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ كَنَائِسَهُمْ، فَإِنَّ السَّخَطَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ». «

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عَلِيَّةَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدَ: أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ سَمِعَ قَوْمًا يَتَكَلَّمُونَ بِالْفَارِسِيَّةِ، فَقَالَ: «مَا بَالُ الْمَجُوسِيَّةِ بَعْدَ الْحَنِيفِيَّةِ».

■ وقال ابن أبي شيبة⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: «أَنَّهُ كَرِهَ رَطَانَةَ الْأَعَاجِمِ».

■ قال العيني⁽²⁾:

«والرطانة» بفتح الراء، وقيل: يجوز بكسرها وهو كلام غير العربي، وقال الكرمانى: الكلام بالأعجمية، وقال صاحب «الأفعال»: يقال: رطن رطانة إذا تكلم بكلام العجم، وقال ابن التين: هي كلام لا يفهم، ويخص بذلك كلام العجم».

(1) «الأدب لابن أبي شيبة» (54).

(2) «عمدة القاري» (4/15).

■ وقال شيخ الإسلام⁽¹⁾:

«وأما الرطانة وتسمية شهورهم بالأسماء العجمية.

فقال أبو محمد الكرمانى - المسمى بحرب - : باب تسمية الشهور بالفارسية: قلت لأحمد: فإن للفرس أياما وشهورا يسمونها بأسماء لا تعرف؟ فكره ذلك أشد الكراهة، وروى فيه عن مجاهد حديثا أنه كره أن يقال: آذرماه وذى ماه قلت: فإن كان اسم رجل أسميه به؟ فكرهه.

قال: وسألت إسحاق قلت: تاريخ الكتاب يكتب بالشهور الفارسية مثل: آذرماه، وذى ماه؟ قال: إن لم يكن في تلك الأسماء اسم يكره، فأرجو. قال: وكان ابن المبارك يكره إيزدان يحلف به، وقال: لا آمن أن يكون أضيف إلى شيء يعبد، وكذلك الأسماء الفارسية قال: وكذلك أسماء العرب، كل شيء مضاف..

قال: وسألت إسحاق مرة أخرى قلت: الرجل يتعلم شهور الروم والفرس؟ قال: كل اسم معروف في كلامهم فلا بأس.

فما قاله أحمد من كراهة هذه الأسماء له وجهان:

أحدهما: إذا لم يعرف معنى الاسم، جاز أن يكون معنى محرما، فلا ينطق المسلم بما لا يعرف معناه، ولهذا كرهت الرقى العجمية، كالعبرانية أو السريانية، أو غيرها؛ خوفا أن يكون فيها معان لا تجوز.

(1) «اقتضاء الصراط المستقيم» (1/518:524).

وهذا المعنى هو الذي اعتبره إسحاق، لكن إن علم أن المعنى مكروه فلا ريب في كراهته، وإن جهل معناه فأحمد كرهه، وكلام إسحاق يحتمل أنه لم يكرهه.

الوجه الثاني: كراهته أن يتعود الرجل النطق بغير العربية، فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون، ولهذا كان كثير من الفقهاء أو أكثرهم يكرهون في الأدعية التي في الصلاة والذكر: أن يُدعى الله أو يذكر بغير العربية.

وقد اختلف الفقهاء في أذكار الصلوات هل تقال بغير العربية؟ وهي ثلاث درجات: أعلاها القرآن، ثم الذكر الواجب غير القرآن، كالتحريم بالإجماع وكالتحليل والتشهد عند من أوجبهما ثم الذكر غير الواجب، من دعاء أو تسبيح أو تكبير أو غير ذلك.

فأما القرآن: فلا يقرؤه بغير العربية، سواء قدر عليها أو لم يقدر عند الجمهور، وهو الصواب الذي لا ريب فيه، بل قد قال غير واحد: إنه يمتنع أن يترجم سورة، أو ما يقوم به الإعجاز.

واختلف أبو حنيفة وأصحابه في القادر على العربية.

وأما الأذكار الواجبة: فاختلف في منع ترجمة القرآن هل يترجمها العاجز عن العربية، وعن تعلمها؟ وفيه لأصحاب أحمد وجهان، أشبهها بكلام أحمد: أنه لا يترجم، وهو قول مالك وإسحاق، والثاني: يترجم، وهو قول أبي يوسف ومحمد والشافعي.

وأما سائر الأذكار فالمنصوص من الوجهين، أنه لا يترجمها ومتى فعل بطلت صلاته، وهو قول مالك وإسحاق وبعض أصحاب الشافعي.

والمنصوص عن الشافعي: أنه يكره ذلك بغير العربية ولا تبطل، ومن أصحابنا من قال: له ذلك، إذا لم يحسن العربية.

وحكم النطق بالعجمية في العبادات: من الصلاة والقراءة والذكر، كالتلبية والتسمية على الذبيحة، وفي العقود والفسوخ، كالنكاح واللعان وغير ذلك: معروف في كتب الفقه.

وأما الخطاب بها من غير حاجة في أسماء الناس والشهور - كالتواريخ ونحو ذلك - فهو منهي عنه، مع الجهل بالمعنى، بلا ريب، وأما مع العلم به فكلام أحمد بين في كراهته أيضا، فإنه كره: آذرماء، ونحوه، ومعناه ليس محرما.

وأظنه سئل عن الدعاء في الصلاة بالفارسية فكرهه وقال: لسان سوء!

وهو أيضا قد أخذ بحديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي فيه النهي عن رطانتهم، وعن شهود أعيادهم، وهذا قول مالك أيضا؛ فإنه قال: لا يُحرم بالعجمية، ولا يدعو بها ولا يحلف بها، وقال: نهى عمر عن رطانة الأعاجم وقال: «إنها خب» فقد استدل بنهي عمر عن الرطانة مطلقا.

وقال الشافعي فيما رواه السلفي بإسناد معروف إلى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول: «سمى الله الطالبين من فضله في الشراء والبيع: تجارا، ولم تزل العرب تسميهم التجار، ثم سماهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما سمي الله به من التجارة بلسان العرب،

والسماسرة اسم من أسماء العجم، فلا نحب أن يسمي رجل يعرف العربية تاجرا، إلا تاجرا، ولا ينطق بالعربية فيسمى شيئا بأعجمية، وذلك أن اللسان الذي اختاره الله عَزَّوَجَلَّ لسان العرب، فأنزل به كتابه العزيز، وجعله لسان خاتم أنبيائه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ولهذا نقول: ينبغي لكل أحد يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها؛ لأنه اللسان الأولي بأن يكون مرغوبا فيه من غير أن يحرم على أحد أن ينطق بأعجمية».

فقد كره الشافعي لمن يعرف العربية، أن يسمي بغيرها، وأن يتكلم بها خالطا لها بالعجمية، وهذا الذي قاله الأئمة مأثور عن الصحابة والتابعين. وقد قدمنا عن عمر وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما ذكره.

وروى أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، حدثنا وكيع عن أبي هلال عن ابن بريدة قال: قال عمر: «ما تكلم الرجل الفارسية إلا خَبَّ ولا خَبَّ رجل إلا نقصت مروءته».

وقال: حدثنا وكيع، عن ثور، عن عطاء قال: «لا تعلموا رطانة الأعاجم، ولا تدخلوا عليهم كنائسهم، فإن السخط ينزل عليهم».

وهذا هو الذي روينا فيما تقدم عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال: حدثنا إسماعيل بن عليّة، عن داود بن أبي هند، أن محمد بن سعد بن أبي وقاص سمع قوما يتكلمون بالفارسية فقال: ما بال المجوسية بعد الحنيفية؟.

وقد روى السلفي من حديث سعيد بن العلاء البرذعي حدثنا إسحاق بن

إبراهيم البلخي حدثنا عمر بن هارون البلخي حدثنا أسامة بن زيد عن نافع، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من يحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية فإنه يورث النفاق».

ورواه أيضا بإسناد معروف، إلى أبي سهل محمود بن عمر العكبري حدثنا محمد بن الحسن بن محمد المقرئ حدثنا أحمد بن الخليل - بيلخ - حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحريري حدثنا عمر بن هارون، عن أسامة بن زيد، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من كان يحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالفارسية فإنه يورث النفاق».

وهذا الكلام يشبه كلام عمر بن الخطاب، وأما رفعه فموضع تبين. ونقل عن طائفة منهم، أنهم كانوا يتكلمون بالكلمة بعد الكلمة من العجمية اهـ.

قلت: هو حديث فيه مجاهيل لا يصح مرفوعاً.

النهى عن التشبه بهم في اللباس واللبس السراويل ليس عليها شيء

■ قال الإمام مسلم⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ يَحْيَى، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ، أَنَّ ابْنَ مَعْدَانَ، أَخْبَرَهُ، أَنَّ جُبَيْرَ بْنَ نُفَيْرٍ، أَخْبَرَهُ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَخْبَرَهُ، قَالَ: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ

(1) «صحيح مسلم» (2077).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعْصَفَرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسَهَا».

■ قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ الثَّقَفِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَبِيعَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْعَسْقَلَانِيُّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ رُكَانَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رُكَانَةَ صَارَعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَرَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ رُكَانَةُ: وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «فَرَّقْ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، الْعَمَائِمُ عَلَى الْقَلَانِسِ».

■ قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَلَاءِ بْنِ زَبْرٍ، حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ يَقُولُ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَشِيخَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ بِيضَ لِحَاهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ حَمُّوْا وَصَفُّوْا، وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ». قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَتَسَرَّوْنَ وَلَا يَأْتِزُّوْنَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَسَرَّوْا وَاتَّزُّرُوا وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ». قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَتَخَفَّفُونَ وَلَا يَتَّعِلُّونَ. قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَتَخَفَّفُوا وَاتَّعِلُّوا وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ». قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَقْصُونَ عَثَانِيَهُمْ وَيُوقِرُونَ سِبَالَهُمْ. قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُصُّوا سِبَالَكُمْ وَوَقِّرُوا عَثَانِيَكُمْ وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ».

(1) «سنن أبي داود» (4078).

(2) «مسند أحمد» (22283).

عبد الله بن العلاء بن زبر الربعي الدمشقي وثقه أبو داود، وزيد بن يحيى بن عبيد الدمشقي ثقة.

وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾: «حسن».

■ قال شيخ الإسلام⁽²⁾:

«علل النهي عن لبسها بأنها من ثياب الكفار وسواء أراد أنها مما يستحله الكفار بأنهم يستمتعون بخلافهم في الدنيا أو مما يعتاده الكفار لذلك.

كما أنه في الحديث قال: «إنهم يستمتعون بآنية الذهب والفضة في الدنيا، وهي للمؤمنين في الآخرة»، ولهذا كان العلماء يجعلون اتخاذ الحرير وأواني الذهب والفضة تشبها بالكفار.

ففي الصحيحين عن أبي عثمان الهندي قال: «كتب إلينا عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ونحن بأذربيجان مع عتبة بن فرقد: يا عتبة إنه ليس من كد أبيك، ولا من كد أمك، فأشبع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رحلك، وإياك والتنعيم، وزى أهل الشرك، ولبوس الحرير، فإن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن لبوس الحرير، وقال: إلا هكذا، ورفع لنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإصبعيه الوسطى والسبابة وضمهما».

وروى أبو بكر الخلال، بإسناده عن محمد بن سيرين، أن حذيفة بن اليمان أتى بيتا فرأى فيه حادثتين، فيه أباريق الصفر والرصاص، فلم يدخله وقال: «من

(1) «جلباب المرأة المسلمة» (1/185).

(2) «اقتضاء الصراط المستقيم» (1/360، 362).

تشبه بقوم فهو منهم».

وفي لفظ آخر: فرأى شيئاً من زي العجم، فخرج، وقال: «من تشبه بقوم فهو منهم».

وقال علي بن أبي صالح السواق: كنا في وليمة فجاء أحمد بن حنبل، فلما دخل نظر إلى كرسي في الدار عليه فضة، فخرج فلحقه صاحب الدار فنفض يده في وجهه، وقال: «زي المجوس زي المجوس» اهـ.

قلت: فكم ترى من المتشبهين بالكفار من المسلمين في لباسهم وموضاتهم، وما ذلك إلا بسبب الجهل وعدم الورع، والله المستعان.

ما الفتهم في ترك التنعم والترفة

■ قال الإمام عبد الرزاق⁽¹⁾:

أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، كَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى: «أَمَّا بَعْدُ، فَاتَرَرُّوا، وَارْتَدُّوا، وَأَلْقُوا السَّرَاوِيلَاتِ، وَأَلْقُوا الْخِفَافَ، وَاحْتَفُوا، وَانْتَعَلُوا، وَقَابِلُوا بَيْنَهُمَا، وَاخْشَوْا، وَاخْشَوْشُوا، وَاخْلَوْلِقُوا، وَتَمَعَّدُوا، فَإِنَّكُمْ مَعَدُّ، وَارْتَمُوا الْأَغْرَاضَ، وَاقْطَعُوا الرِّكَبَ، وَانْزُوا عَلَى ظُهُورِ الْخَيْلِ نَزْوًا، وَاسْتَقْبِلُوا بُجُوهَكُمْ الشَّمْسَ، فَإِنَّهَا حَمَامَاتُ الْعَرَبِ، وَإِيَّاكُمْ وَزِيَّ الْأَعَاجِمِ، وَتَنَعَّمَهُمْ، وَعَلَيْكُمْ بِلِبْسَةِ أَبِيكُمْ إِسْمَاعِيلَ».

(1) «جامع معمر بن راشد» (1994)، و«شعب الإيمان للبيهقي» (5776)، قال:

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، أَخْبَرَنِي أَبُو النَّضْرِ الْفَقِيهُ، فِيمَا قَرَأْتُ عَلَيْهِ ثَنَا الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أَسَامَةَ، ثَنَا أَبُو النَّضْرِ، ثَنَا شُعْبَةُ، أَخْبَرَنِي قَتَادَةُ، بِهِ.

ورواية معمر عن قتادة ضعيفة، وسماع قتادة من عمر فيه نظر، ففي «جامع التحصيل»⁽¹⁾: «قال الإمام أحمد بن حنبل: ما أعلم قتادة سمع من أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلا من أنس بن مالك».

■ ورواه ابن أبي شيبة، قال⁽²⁾:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عِيَّاشٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي الْعَدَبَسِ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ، يَقُولُ: «أَخِيفُوا الْهَوَامَّ قَبْلَ أَنْ تُخِيفَكُمُ، وَانْتَضِلُوا، وَتَمَعَّدُوا وَاخْشَوْشُنُوا، وَاجْعَلُوا الرَّأْسَ رَأْسِينَ، وَفَرِّقُوا عَنِ الْمَنِيِّ، وَلَا تَلْثُوا بِدَارٍ مُعْجِزَةٍ، وَأَخِيفُوا الْحَيَّاتِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُخِيفَكُمُ وَأَصْلِحُوا مَثَاوِيَكُمُ».

و أبو العدبس الأكبر، اسمه منيع بن سليمان الأسدي ويقال الأشعري الكوفي، لين.

■ وقال ابن حبان⁽³⁾:

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ سَعِيدِ السَّعْدِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَثْمَانَ، يَقُولُ: أَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ وَنَحْنُ بِأَذْرِيحَانَ مَعَ عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ: أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّزَرُّوا وَارْتَدُّوا وَانْتَعَلُوا وَارْمُوا بِالْخِفَافِ وَأَقْطَعُوا السَّرَاوِيلَ، وَعَلَيْكُمْ بِلِبَاسِ أَبِيكُمْ إِسْمَاعِيلَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّ وَزَيِّ الْعَجَمِ، وَعَلَيْكُمْ بِالشَّمْسِ فَإِنَّهَا حَمَامُ الْعَرَبِ،

(1) «جامع التحصيل في أحكام المراسيل» (1/ 255).

(2) «مصنف ابن أبي شيبة» (26328).

(3) «صحيح ابن حبان» (5454).

وَاخْشَوْشْنُوا وَاخْلَوْلِقُوا وَارْزُمُوا الْأَغْرَاضَ، وَانْزُوا نَزْوًا، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَانَا عَنِ الْحَرِيرِ إِلَّا هَكَذَا: أَصْبُعِيهِ وَالْوَسْطَى وَالسَّبَابَةَ قَالَ: فَمَا عَلِمْنَا أَنَّهُ يَعْنِي إِلَّا الْأَعْلَامَ.

وهذا إسناده صحيح على شرط مسلم.

وأما معانيه: فقال أبو عبيد: «(اخشوشنوا) هو من الخشوفة في اللباس والمطعم، و(اخشوشبوا) أيضا شبيه به، وهو من الغلظ وابتدال النفس في العمل، والاحتفاء في المشي ليغلظ الجسد».

«اخلولق الثوب»: بلي.

كذا في «غريب الحديث»، و«النهاية»، و«إزالة الخفاء»، و«الفتح»، وغير ذلك، وفي «ص» «تمعدوا» قال أبو عبيد: يقال: هو من الغلظ أيضا، يقال: تمعدد الغلام، إذا شب وغلظ.

و«تمعدوا»: تشبهوا بعيش معد، وكانوا أهل كشف وغلظ في المعاش، يقول: كونوا مثلهم، ودعوا التمتع وزى العجم.

وارتمى الصيد: رماه، وأيضا ارتميا: تراميا.

تقول العرب: الحمض يسن الإبل على الخلّة، أي يقويها كما يقوي السن حد السكين، فالحمض سنان لها على رعي الخلّة، والسنان الاسم وهو القوة، واستصوب الأزهرى القولين.

والركب جمع ركاب وهي الرواحل من الإبل، والمعنى أعطوا الرواحل

مرعاها ومكنوها من الرعي، أو أعطوا الرواحل ما يقويها على الخلة.

وأما قوله: «اقطعوا الركب» فتابع معمرًا عليه شعبة عند الإسماعيلي كما في «الفتح» (10 / 221)، وهكذا نقله النووي من «مسند أبي عوانة»، راجع: شرح مسلم له (2 / 191).

والمسلمون بحاجة ماسة إلى فهم هذه المسألة، والعمل بها؛ فإنه قد يأتي على العبد من البلاء ما لا يطيقه من تعود على التمتع ولم يوطن نفسه على التقشف، وتحمل ما يأتيه من البلاء، والبأساء والضراء.

قلت: ومن هذا الباب فقد نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن الترجل إلا غبًا. ■ قال ابن حجر في فتح الباري⁽¹⁾:

«وأما حديث النهي عن الترجل إلا غبًا يعني الحديث الذي أشرت إليه قريبًا، فالمراد به ترك المبالغة في الترفه. وقد روى أبو أمامة بن ثعلبة رفعه: «البذاذة من الإيمان» اهـ.

وهو حديث صحيح أخرجه أبو داود، و«البذاذة» بموحدة ومعجمتين رثاءة الهيئة، والمراد بها هنا ترك الترفه والتنطع في اللباس والتواضع فيه مع القدرة لا بسبب جحد نعمة الله تعالى.

وأخرج النسائي من طريق عبد الله بن بريدة: «أن رجلاً من الصحابة يقال له عبيد قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينهى عن كثير من الإفراه»، قال ابن

(1) «فتح الباري» (10 / 368).

بريدة: الإرفاه الترجل.

قلت: الإرفاه بكسر الهمزة وبفاء وآخره هاء التنعم والراحة، ومنه الرفه بفتحيتين وقيده في الحديث بالكثير إشارة إلى أن الوسط المعتدل منه لا يذم، وبذلك يجمع بين الأخبار.

وقد أخرج أبو داود بسند حسن عن أبي هريرة رفعه: «من كان له شعر فليكرمه»، وله شاهد من حديث عائشة في «الغيلانيات»، وسنده حسن أيضا.
 ■ قلت: قال المناوي⁽¹⁾:

«لكن قال الحافظ العراقي: إسناده ليس بالقوي وذلك لأن فيه عبد الرحمن بن أبي الزناد، وهو وإن كان من أكابر العلماء ووثقه مالك، لكن في «الميزان» عن ابن معين والنسائي تضعيفه؛ وعن يحيى ابن أبي حاتم: لا يحتج به؛ وعن أحمد: مضطرب الحديث. ثم قال أعني في «الميزان»: ومن مناكيره: خبر «من كان له شعر فليكرمه»».

النهى عن التشبه بهم في الحساب

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ⁽²⁾:

حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا الْأَسْوَدُ بْنُ قَيْسٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ، الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا».

(1) «فيض القدير» (6/ 208).

(2) «صحيح البخاري» (1913)، و«صحيح مسلم» (1080).

يَعْنِي مَرَّةً تِسْعَةً وَعِشْرِينَ، وَمَرَّةً ثَلَاثِينَ.

■ قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، عَنْ شُعْبَةَ، ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ، الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا» وَعَقَدَ الْإِبْهَامَ فِي الثَّالِثَةِ «وَالشَّهْرُ هَكَذَا، وَهَكَذَا، وَهَكَذَا» يَعْنِي تَمَامَ ثَلَاثِينَ.

■ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

«فوصف هذه الأمة بترك الكتاب والحساب الذي يفعله غيرها من الأمم في أوقات عبادتهم وأعيادهم، وأحالتها على الرؤية حيث قال - في غير حديث -: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته» وفي رواية: «صوموا من الوضح إلى الوضح» أي من الهلال إلى الهلال».

■ قال ابنُ بَرِيزَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ⁽³⁾:

«هُوَ مَذْهَبٌ بَاطِلٌ قَدْ نَهَتْ الشَّرِيعَةُ عَلَى الْخَوْضِ فِي عِلْمِ النُّجُومِ؛ لِأَنَّهَا حَدَسٌ وَتَخْمِينٌ لَيْسَ فِيهَا قَطْعٌ» اهـ.

(1) «صحيح مسلم» (1080).

(2) «اقتضاء الصراط المستقيم» (285 / 1).

(3) «سبل السلام» (559 / 1).

▪ قال ابن بطال - رَحِمَهُ اللهُ -⁽¹⁾:

«فى الحاءِثْ دَفْعٌ لِمُرَاعَاةِ الْمُنجِمِينَ، وَإِنَّمَا الْمُعَوَّلُ عَلَيْهِ رُؤْيُهُ الْأَهْلَةُ وَقَدْ نُهِنَا عَنْ التَّكْلِيفِ» اهـ.

▪ قال الإمام صاءق حسن - رَحِمَهُ اللهُ -⁽²⁾:

«قال بعض المحققين: التكليف الشهرى علق معرفة وقته برؤية الهلال دخولاً وخروجاً أو إكمال العءة ثلاثين يوماً فهل فى الأكوان أوضح من هذا البيان والتوقيت فى الأيام والشهور بالحساب للمنازل القمرية بءعة باتفاق الأمة» اهـ.

قلت: كم ترى اليوم من الذين لا يتحرون لدينهم، ولا يتورعون من مشابها أعدائهم، من يلزمون أنفسهم وغيرهم بتقاويم الفلكيين، ولا يعلّقون الناس بالعمل بالكتاب والسنة فى الأذان وغيره.

▪ وقال الإمام الواءعى رَحِمَهُ اللهُ⁽³⁾:

ثم ذكر حاءِثْ جابر فى سنن أبى داود قال رَحِمَهُ اللهُ⁽⁴⁾: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو يَعْنِي ابْنَ الْحَارِثِ، أَنَّ الْجَلَّاحَ، مَوْلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ، حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَهُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ

(1) «سبل السلام» (1/ 559).

(2) «الروضة الناءىة» (1/ 224).

(3) «الجامع الصاءىح» (كتاب الأءب/ باب توقىت الساعة يكون على الغروب).

(4) «سنن أبى داود» (1048).

الله، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «يَوْمَ الْجُمُعَةِ ثِنْتَا عَشْرَةَ - يُرِيدُ - سَاعَةً، لَا يُوجَدُ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ شَيْئًا، إِلَّا آتَاهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ».

هذا حديث حسن.

النهج من التشبه بهم في وصل الشعر

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ عَامَ حَجِّ عَلَى الْمَنْبَرِ، فَتَنَاولَ قُصَّةً مِنْ شَعْرٍ، وَكَانَتْ فِي يَدَيْ حَرَسِيٍّ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ، أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هَذِهِ؟ وَيَقُولُ: «إِنَّمَا هَلَكْتُ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَهَا نِسَاؤُهُمْ». في الصحيحين.

■ وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ⁽²⁾:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُوتَشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللهُ».

(1) «صحيح البخاري» (3468)، و«صحيح مسلم» (2127).

(2) «صحيح البخاري» (4886)، و«صحيح مسلم» (2125).

النهْيُ عَنِ التَّشْبِهِ بِهِمْ فِي الْاِشْتِمَالِ

■ قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْ قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا كَانَ لِأَحَدِكُمْ ثَوْبَانِ فَلْيُصَلِّ فِيهِمَا فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا ثَوْبٌ وَاحِدٌ فَلْيَتَزَرَّ بِهِ، وَلَا يَشْتَمِلْ اِشْتِمَالَ الْيَهُودِ».

إسناده صحيح.

■ قال أبو الطيب آبادي⁽²⁾:

«قال الخطابي: اشتمال اليهود المنهى عنه أن يجلل بدنه الثوب ويسبله من غير أن يسبل طرفه، فأما اشتمال الصماء الذي جاء في الحديث فهو أن يجلل بدنه الثوب ثم يرفع طرفيه على عاتقه الأيسر».

النهْيُ عَنِ التَّشْبِهِ بِهِمْ فِي الْغُلُوِّ

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ﴾

[المائدة: 72].

وقال تعالى: ﴿يَتَّاهَلُ الْكُتُبِ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ

(1) «سنن أبي داود» (635).

(2) «عون المعبود» (2/ 239).

يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٧١﴾ [النساء].

■ قال أبو الطيب آبادي⁽¹⁾:

«احتج بهذه الآية على تحريم الغلو في الدين، وأهل الكتاب: اليهود والنصارى. وإذا قلنا: إن لفظ أهل الكتاب للتعميم يتناول غير اليهود والنصارى بالإلحاق».

■ قال المقدسي⁽²⁾:

وَأَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الصِّدْلَانِيُّ أَنَّ فَاطِمَةَ الْجَوْزْدَانِيَّةَ أَخْبَرَتْهُمْ أَبَا مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَبَا سُلَيْمَانَ بْنَ أَحْمَدَ الطَّبْرَانِيَّ ثَنَا بِشْرُ بْنُ مُوسَى ثَنَا هُوَذَةُ بْنُ خَلِيفَةَ ثَنَا عَوْفٌ عَنْ زِيَادِ بْنِ حُصَيْنٍ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ: «هَاتِ التَّقِطُ»، قَالَ: فَالْتَقَطْتُ لَهُ حَصِيَّاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعَهُنَّ فِي يَدِهِ، قَالَ: «نَعَمْ، بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ ثَلَاثَ مِرَارٍ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ».

رواه أحمد والنسائي وابن ماجه من حديث عوف بن أبي جميلة، عن زياد بن حصين، عن أبي العالية عنه، وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

وأما حديث: «إياكم و الغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين».

(1) «عمدة القاري» (37/25).

(2) «الأحاديث المختارة» (30/10).

فقد قال الألباني⁽¹⁾: «رواه النسائي (2/49)، وابن ماجه (2/242)، وابن خزيمة (1/282/2)، وابن حبان (1011)، و الحاكم (1/466)، والبيهقي (5/127)، وأحمد (1/215 و 347)، والضياء في «المختارة» (59/200/2)، عن عوف بن أبي جميلة حدثني زياد بن حصين عن أبي العالية عن ابن عباس قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غداة العقبة، وهو واقف على راحلته: «هات القط لي». فلقطت له حصيات من حصى الحذف، فوضعهن في يده فقال: «بأمثال هؤلاء مرتين»، وقال بيده، فأشار يحيى - أحد رواة - أنه رفعها و قال: فذكره. و قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي وليس كذلك، فإن زياد بن حصين لم يخرج له البخاري في صحيحه فهو على شرط مسلم فقط، و كذلك صححه النووي في «المجموع» (8/171)، وابن تيمية في «الاعتضاء» (ص/51).

قال شيخ الإسلام⁽²⁾:

«والتشديد: تارة يكون باتخاذ ما ليس بواجب، ولا مستحب: بمنزلة الواجب والمستحب في العبادات، وتارة باتخاذ ما ليس بمحرم، ولا مكروه بمنزلة المحرم والمكروه، في الطيبات. وعلل ذلك بأن الذين شددوا على أنفسهم من النصارى، شدد الله عليهم لذلك، حتى آل الأمر إلى ما هم عليه من الرهبانية المبتدعة» اهـ.

(1) «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (1283).

(2) «اعتضاء الصراط المستقيم» (1/322).

▪ قال شيخ الإسلام⁽¹⁾:

«والغلو مجاوزة الحد بأن يزداد الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك».

قلت: ولي رسالة في التحذير من الغلو وعلاماته وبيان علاجه .

النهْيُ عَنِ التَّشْبِيهِ بِهِمْ فِي إِقَامَةِ الْحُدُودِ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَطُوبَى الشُّرَفَاءِ

▪ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ⁽²⁾:

حَدَّثَنَا عَلِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: ذَهَبْتُ أَسْأَلُ الزُّهْرِيَّ، عَنْ حَدِيثِ الْمَخْزُومِيَّةِ فَصَاحَ بِي، قُلْتُ لِسُفْيَانَ: فَلَمْ تَحْتَمِلْهُ عَنْ أَحَدٍ؟ قَالَ: وَجَدْتُهُ فِي كِتَابٍ كَانَ كَتَبَهُ أَيُّوبُ بْنُ مُوسَى، عَنِ الزُّهْرِيَّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَلَمْ يَجْتَرِئْ أَحَدٌ أَنْ يُكَلِّمَهُ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَقَالَ: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ قَطَعُوهُ، لَوْ كَانَتْ فَاطِمَةُ لَقَطَعْتُ يَدَهَا».

النهْيُ عَنِ التَّشْبِيهِ بِهِمْ فِي كُتْمِ الْحَقِّ

▪ قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

(1) «اقتضاء الصراط المستقيم» (328 / 1).

(2) «صحيح البخاري» (3732)، و«صحيح مسلم» (1689).

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، قَالَ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةٍ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهُودِيٌّ مُحَمَّمًا مَجْلُودًا، فَدَعَاهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ، فَقَالَ: «أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى، أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟» قَالَ: لَا، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ، نَجِدُهُ الرَّجْمَ، وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا، فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ، وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ، قُلْنَا: تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعَ عَلَى شَيْءٍ نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ، وَالْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ»، فَأَمَرَ بِهِ فَرَجِمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَتَأْتِيَهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنَكَ الَّذِي يُسْكِرْغُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [المائدة: 41] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنْ أُوْتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ [المائدة: 41]، يَقُولُ: انْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ بِالتَّحْمِيمِ وَالْجَلْدِ فَخُذُوهُ، وَإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [٤٤]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [٤٥]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [٤٧] [المائدة: ٤٧]، فِي الْكُفَّارِ كُلِّهَا.

النهى عن التشبه بهم في تطوير صُوات الأرواح

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ هِشَامٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ، وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَذَكَرَتَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِنَّ أَوْلَيْكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوِّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وإليك بعض الأدلة على تحريم الصور والتصوير واقتناء الصور لغير ضرورة يقدرها أهل العلم، سواء في ذلك الصور المجسمة أو غيرها، والفوتغرافية أو غيرها، اختصرتها من كلام شيخنا مقبل رَحِمَهُ اللهُ وفتواه فيها، وألحقها بفتوى لكل من الشيخ ابن باز، واللجنة الدائمة، والشيخ الألباني رحمهم الله وغفر لهم.

1 - لعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ المصور:

عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ اشْتَرَى غُلَامًا حَجَّامًا، فَقَالَ: «إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الدَّمِ، وَثَمَنِ الْكَلْبِ، وَكَسْبِ الْبَغِيِّ، وَلَعْنِ أَكِلِ الرَّبَا وَمُوكِلِهِ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ وَالْمُصَوِّرَ»⁽²⁾.

2 - الأمر بطمس الصور:

(1) «صحيح البخاري» (427).

(2) «صحيح البخاري» (5962).

عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ «أَنْ لَا تَدَعَ تِمَثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَيْتَهُ»⁽¹⁾.

وفي رواية: «وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا».

3 - الصورة ربما تُعبد من دون الله:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا اشْتَكَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرْتُ بَعْضَ نِسَائِهِ كَنِيْسَةً رَأَيْتُهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا: مَارِيَّةُ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ، وَأُمُّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَتَتَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ، فَذَكَرَتَا مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرِ فِيهَا، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ مِنْهُمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَةَ أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ»⁽²⁾.

4 - لا تدخل الملائكة البيت الذي فيه تصاوير:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا تَصَاوِيرُ»⁽³⁾.

وَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ، صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ»⁽⁴⁾.

(1) «صحيح مسلم» (969).

(2) «صحيح البخاري» (1341)، و«صحيح مسلم» (528).

(3) «صحيح البخاري» (5949)، و«صحيح مسلم» (2106).

(4) «صحيح مسلم» (2106).

وعن ابن عمر قال: «وَعَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَبْرِيلُ، فَرَأَتْ عَلَيْهِ، حَتَّى اشْتَدَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَقِيَهُ، فَشَكَا إِلَيْهِ مَا وَجَدَ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ وَلَا كَلْبٌ»⁽¹⁾.

وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: وَاعَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَبْرِيلُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي سَاعَةٍ يَأْتِيهِ فِيهَا، فَجَاءَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ وَلَمْ يَأْتِهِ، وَفِي يَدِهِ عَصَا، فَأَلْقَاهَا مِنْ يَدِهِ، وَقَالَ: «مَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَا رُسُلُهُ»، ثُمَّ انْتَفَتَ، فَإِذَا جَرُّوْ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، مَتَى دَخَلَ هَذَا الْكَلْبُ هَاهُنَا؟» فَقَالَتْ: وَاللَّهِ، مَا دَرَيْتُ، فَأَمَرَهُ بِه فَأَخْرَجَ، فَجَاءَ جَبْرِيلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاعَدْتَنِي فَجَلَسْتُ لَكَ فَلَمْ تَأْتِ»، فَقَالَ: «مَنْعَنِ الْكَلْبِ الَّذِي كَانَ فِي بَيْتِكَ، إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ»⁽²⁾.

وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمُرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْ، فَقُلْتُ: أَتَوْبُ إِلَى اللَّهِ مِمَّا أَذْنَبْتُ، قَالَ: «مَا هَذِهِ النُّمُرُقَةُ» قُلْتُ: لِنَتَجَلَسَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا، قَالَ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذِّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ الصُّورَةُ»⁽³⁾.

وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمُرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ

(1) «صحيح البخاري» (5960).

(2) «صحيح مسلم» (2104).

(3) «صحيح البخاري» (5957).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْ، فَعَرَفْتُ، أَوْ فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَّةَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ فَمَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟» فَقَالَتْ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ، تَقَعُدُ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَذِّبُونَ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ»⁽¹⁾.

وعن عبد الله بن عباس قَالَ: أَخْبَرَنِي مَيْمُونَةُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْبَحَ يَوْمًا وَاجِمًا، فَقَالَتْ مَيْمُونَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ اسْتَنْكَرْتُ هَيْئَتَكَ مُنْذُ الْيَوْمِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ وَعَدَنِي أَنْ يَلْقَانِي اللَّيْلَةَ فَلَمْ يَلْقَنِي، أَمْ وَاللَّهِ مَا أَخْلَفَنِي»، قَالَ: فَظَلَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَهُ ذَلِكَ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ جِرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ فُسْطَاطٍ لَنَا، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ مَاءً فَنَضَحَ مَكَانَهُ، فَلَمَّا أَمْسَى لَقِيَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ لَهُ: «قَدْ كُنْتَ وَعَدْتَنِي أَنْ تَلْقَانِي الْبَارِحَةَ»، قَالَ: «أَجَلٌ، وَلَكِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ»، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ فَأَمَرَ بِقَتْلِ الْكِلَابِ، حَتَّى إِنَّهُ يَأْمُرُ بِقَتْلِ كَلْبِ الْحَائِطِ الصَّغِيرِ، وَيَتْرُكُ كَلْبَ الْحَائِطِ الْكَبِيرِ⁽²⁾.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا

(1) «صحيح مسلم» (2107).

(2) «صحيح مسلم» (2105).

فِيهِ تَمَائِيلُ أَوْ تَصَاوِيرُ⁽¹⁾.

وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: صَنَعْتُ طَعَامًا فَدَعَوْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ فَدَخَلَ
فَرَأَى سِتْرًا فِيهِ تَصَاوِيرُ فَخَرَجَ وَقَالَ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ تَصَاوِيرُ»⁽²⁾.

وَعَنْ عَلِيٍّ، أَنَّهُ صَنَعَ طَعَامًا، فَدَعَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ فَرَأَى فِي
الْبَيْتِ سِتْرًا فِيهِ تَصَاوِيرُ، فَرَجَعَ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا رَجَعَكَ بِأَبِي أَنْتَ
وَأُمِّي؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الْبَيْتِ سِتْرًا فِيهِ تَصَاوِيرُ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ
تَصَاوِيرُ»⁽³⁾. وهذا حديث صحيح.

5- من أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون:

عن عبد الله، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا
عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ»⁽⁴⁾.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الَّذِينَ
يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّورَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»⁽⁵⁾.

6- المصورون من أظلم الناس:

عن أبي زرعة قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ، دَارًا بِالْمَدِينَةِ، فَرَأَى أَعْلَاهَا مُصَوِّرًا

(1) «صحيح مسلم» (2112).

(2) «السنن الكبرى للنسائي» (9688).

(3) «مسند أبي يعلى الموصلي» (436).

(4) «صحيح البخاري» (5950)، و«صحيح مسلم» (2109).

(5) «صحيح البخاري» (5951)، و«صحيح مسلم» (2108).

يُصَوِّرُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً، وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً» ثُمَّ دَعَا بِتَوْرٍ مِنْ مَاءٍ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ حَتَّى بَلَغَ إِبْطَهُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَشَيْءٌ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: مُنْتَهَى الْحِلْيَةِ (1).

7- الدليل على تحريم عموم صور ذوات الأرواح:

عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَفَرٍ، وَقَدْ سَتَرْتُ بِقِرَامٍ لِي عَلَى سَهْوَةٍ لِي فِيهَا تَمَاثِيلٌ، فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَتَكَهُ وَقَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ» قَالَتْ: فَجَعَلَنَاهُ وَسَادَةً أَوْ وَسَادَتَيْنِ (2).

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَفَرٍ، وَعَلَّقْتُ دُرْنُوكًا فِيهِ تَمَاثِيلٌ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَنْزِعَهُ فَنَزَعْتُهُ» (3).

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَفَرٍ، وَقَدْ سَتَرْتُ عَلَى بَابِي دُرْنُوكًا فِيهِ الْخَيْلُ ذَوَاتُ الْأَجْنِحَةِ، فَأَمَرَنِي فَنَزَعْتُهُ» (4).

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مُتَسَتِّرَةٌ بِقِرَامٍ فِيهِ صُورَةٌ، فَتَلَوْنَ وَجْهَهُ، ثُمَّ تَنَاوَلَ السِّتْرَ فَهَتَكَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ

(1) «صحيح البخاري» (5953).

(2) «صحيح البخاري» (5954).

(3) «صحيح البخاري» (5955).

(4) «صحيح مسلم» (2107).

عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ»⁽¹⁾.

وعن عائشة، حَدَّثَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا بِمِثْلِ حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ ثُمَّ أَهْوَى إِلَى الْقِرَامِ فَهَتَكَهُ بِيَدِهِ⁽²⁾.

وعن عائشة تقول: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيهِ تَمَائِيلٌ، فَلَمَّا رَأَاهُ هَتَكَهُ وَتَلَوْنَ وَجْهَهُ وَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الَّذِينَ يُضَاهَوْنَ بِخَلْقِ اللَّهِ» قَالَتْ عَائِشَةُ: «فَقَطَعْنَاهُ فَجَعَلْنَا مِنْهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ»⁽³⁾.

8- النهي عن صنع الصور:

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الصُّورَةِ فِي الْبَيْتِ، وَنَهَى عَنْ أَنْ يُصْنَعَ ذَلِكَ⁽⁴⁾.

هذا حديث حسن.

وعن جابر بن عبد الله يزعم أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الصُّورِ فِي الْبَيْتِ، وَنَهَى الرَّجُلَ أَنْ يُصْنَعَ ذَلِكَ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ زَمَنَ الْفَتْحِ، وَهُوَ بِالْبَطْحَاءِ، أَنْ يَأْتِيَ الْكَعْبَةَ فَيَمْحُو كُلَّ صُورَةٍ فِيهَا، وَلَمْ

(1) «صحيح مسلم» (2107).

(2) «صحيح مسلم» (2107).

(3) «صحيح مسلم» (2107).

(4) «سنن الترمذي» (1749).

يَدْخُلُ الْبَيْتَ حَتَّى مُحِيتَ كُلُّ صُورَةٍ فِيهِ»⁽¹⁾.

وعن جابر بن عبد الله يَقُولُ: «إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَهُوَ بِالْبَطْحَاءِ، أَنْ يَأْتِيَ الْكَعْبَةَ، فَيَمْحُوَ كُلَّ صُورَةٍ فِيهَا»، وَلَمْ يَدْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى مُحِيتَ كُلُّ صُورَةٍ فِيهِ»⁽²⁾.

وتجد فى هذه الأدلة عموم تحريم الصور، سواء أكانت مجسمة، أم غير مجسمة.

9- التصوير كبيرة من الكبائر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَخْرُجُ عَنْقُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ، يَقُولُ: إِنِّي وَكَّلْتُ بِثَلَاثَةٍ، بِكُلِّ جَبَّارٍ عَيْنِدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالْمُصَوِّرِينَ»⁽³⁾.

«هذا حديث حسن صحيح غريب.

قال الوداعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا حديث صحيح ورجاله ثقات»⁽⁴⁾ اهـ.

■ قال الإمام الوداعي رَحِمَهُ اللَّهُ⁽⁵⁾:

«فهذه الأدلة تدل على تحريم عموم صور ذوات الأرواح، سواء فى ذلك ما

(1) «مسند أحمد» (14596).

(2) «مسند أحمد» (15109).

(3) «سنن الترمذي» (2574).

(4) بتصرف من: «غارة الفصل» (ص/ 121).

(5) «حكم تصوير ذوات الأرواح» (ص/ 26).

له ظل أم ليس له ظل...» اهـ.

■ فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في بلاد الحرمين - حرسها
الله وسائر بلاد المسلمين - (1):

برئاسة الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللهُ.

نص فتواهم: «التصوير (الفوتغرافي) الشمسي من أنواع التصوير المحرم، فهو والتصوير عن طريق النسيج والصبغ بالألوان، والصور المجسمة، سواء في الحكم، والاختلاف في وسيلة التصوير وآلته لا يقتضي اختلافا في الحكم.

وظهور صورتني في مجلتي المجتمع والاعتصام مع فتواي في أحكام الصيام في شهر رمضان ليس دليلاً على إجازتي التصوير ولا على رضاي به، فإنني لم أعلم بتصويرهم لي...» اهـ.

■ وقالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (2):

«وليس التصوير الشمسي كارتسام صورة من وقف أمام المرأة فيها، فإنها خيال يزول بانصراف الشخص عن المرأة والصور الشمسية ثابتة بعد انصراف الشخص عن آلة التصوير...»

وليس التصوير الشمسي مجرد انطباع، بل عمل بآلة ينشأ عنه الانطباع فهو مضاهاة لخلق الله بهذه الصناعة الآلية...».

(1) «فتاوى اللجنة الدائمة - 1» (1/ 669، 670).

(2) «فتاوى اللجنة الدائمة - 1» (1/ 673، 674).

■ قال العلامة الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ⁽¹⁾:

«التحريم يشمل الصور التي ليست مجسمة ولا ظل لها لعموم قول جبريل رَحْمَةُ اللَّهِ: «إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ تَمَاثِيلٌ»، وهي الصور، ويؤيده أن التماثيل التي كانت على القرام لا ظل لها، ولا فرق في ذلك بين ما كان منها تطريزا على الثوب أو كتابة على الورق، أو رسما بالآلة الفوتوغرافية إذ كل ذلك بين التصوير اليدوي والتصوير الفوتوغرافي، فيحرم الأول دون الثاني، ظاهرة عصرية، وجمود لا يحمد...» اهـ.

قلت: والنهي عن التصاوير مستفيض في السنة مما يدل على:

1. أنه ذريعة إلى الشرك بالله.
 2. وأنه تشبه باليهود والنصارى.
 3. وأنه سبب للجنة.
 4. وأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تصاوير.
 5. وأنه سبب للعذاب يوم القيامة.
 6. وأنه سبب للوقوع في منتهى الظلم.
- وكل ذلك بأدلتها في الكتاب والسنة، والله المستعان.

(1) «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (1/ 692، 693).

النهى عن التشبه بهم في المكاء والتطية وهو الصفيق والتطفيق

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءٌ وَتَصْدِيَةٌ فَذُوقُوا

الْعَذَابِ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ [الأنفال].

■ قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«القول في تأويل قوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءٌ

وَتَصْدِيَةٌ فَذُوقُوا الْعَذَابِ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾»

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وما لهؤلاء المشركين إلا يعذبهم الله، وهم يصدون عن المسجد الحرام الذي يصلون لله فيه ويعبدونه، ولم يكونوا لله أولياء، بل أولياؤه الذين يصدونهم عن المسجد الحرام، وهم لا يصلون في المسجد الحرام.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ﴾، يعني: بيت الله العتيق.

﴿إِلَّا مُكَاءٌ﴾، وهو الصفيق...، إلى آخر كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

قلت: وهذا قد وجد عند كثير من فساق المسلمين هداهم الله، وخاصة المفتونون بلعب الكرة، والتماثيل، والمسرحيات التميعة، نسأل الله العافية.

منالفتهم في القهوج

■ قال الإمام أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

(1) «جامع البيان» (13 / 521).

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ بَحْرٍ، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَيْسَرَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ، عَنْ أَبِيهِ الشَّرِيدِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: مَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا جَالِسٌ هَكَذَا، وَقَدْ وَضَعْتُ يَدَيَّ الْيُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي وَاتَّكَأْتُ عَلَى أَلْيَةِ يَدِي، فَقَالَ: «اتَّقَعْدُ قَعْدَةَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؟».

ابن جريج: وهو عبد الملك بن عبد العزيز مدلس وقد عنعن، ورجال الإسناد ثقات رجال الشيخين، غير علي بن بحر.

■ وهو فى المصنف لعبد الرزاق⁽²⁾:

عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَيْسَرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ عَمْرَو بْنَ الشَّرِيدِ، يُخْبِرُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي وَضْعِ الرَّجُلِ شِمَالَهُ إِذَا جَلَسَ فِي الصَّلَاةِ: «هِيَ قَعْدَةُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ».

■ قال فى «عون المعبود»⁽³⁾:

«فَقَالَ: اتَّقَعْدُ قَعْدَةَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ»: الْقَعْدَةُ بِالْكَسْرِ لِلنَّوْعِ وَالْهَيْئَةِ.

قَالَ الطَّبَّيُّ: وَالْمُرَادُ بِالْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمُ الْيَهُودَ.

قَالَ الْقَارِي: فِي كَوْنِهِمْ هُمْ الْمُرَادُ مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ هَهُنَا مَحَلَّ بَحْثٍ. وَتَوَقَّفَ صِحَّتَهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ هَذَا شِعَارَهُمْ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّ يُرَادُ بِالْمَغْضُوبِ

=

(1) «سنن أبي داود» (4848).

(2) «مصنف عبد الرزاق» (3058).

(3) «عون المعبود» (13/135).

عَلَيْهِمْ أَعَمُّ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْفَجَّارِ الْمُتَكَبِّرِينَ الْمُتَجَبِّرِينَ مِمَّنْ تَظْهَرُ آثَارُ الْعُجْبِ
وَالْكِبَرِ عَلَيْهِمْ مِنْ قُعُودِهِمْ وَمَشْيِهِمْ وَنَحْوِهِمَا، نَعَمْ وَرَدَ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ أَنَّ
الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمْ فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ هُمُ الْيَهُودُ» إِنَّتَهَى.

ما جاء في آنية الذهب والفضة

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا سَيْفُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ مُجَاهِدًا، يَقُولُ:
حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى: أَنَّهُمْ كَانُوا عِنْدَ حُدَيْفَةَ، فَاسْتَسْقَى فَسَقَاهُ
مَجُوسِيٌّ، فَلَمَّا وَضَعَ الْقَدَحَ فِي يَدِهِ رَمَاهُ بِهِ، وَقَالَ: لَوْلَا أَنِّي نَهَيْتُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا
مَرَّتَيْنِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: لَمْ أَفْعَلْ هَذَا، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا
تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيْبَاجَ، وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي
صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الْآخِرَةِ».

■ قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ⁽²⁾:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا سَيْفٌ، قَالَ: سَمِعْتُ
مُجَاهِدًا، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: اسْتَسْقَى حُدَيْفَةُ، فَسَقَاهُ
مَجُوسِيٌّ فِي إِنَاءٍ مِنْ فِضَّةٍ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:
«لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيْبَاجَ، وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا
فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا».

(1) «صحيح البخاري» (5426).

(2) «صحيح مسلم» (2067).

جلود النمار

■ قال الطبراني⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَهْلٍ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيُّ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ
فَيَّاضِ الزَّمَانِيِّ، ثنا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، ثنا حَرْبُ بْنُ شَدَّادٍ، عَنْ يَحْيَى
بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، أَنَّ أَبَا شَيْخٍ حَدَّثَهُ، عَنْ أَخِيهِ حِمَّانَ، أَنَّهُ شَهِدَ مُعَاوِيَةَ وَعِنْدَهُ نَاسٌ مِنْ
أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَنْشُدْكُمْ اللَّهُ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ لِبْسِ الذَّهَبِ إِلَّا مُقَطَّعًا؟»، قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: «وَأَنَا
أَشْهَدُ»، قَالَ: «أَنْشُدْكُمْ اللَّهُ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ
رُكُوبِ جُلُودِ النَّمَارِ؟»، قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: «وَأَنَا أَشْهَدُ».

■ قال المناوي⁽²⁾:

«نهي عن الركوب على جلود النمار»، لما فيه من الخيلاء والزينة أو لأنه
زي العجم أو غير ذلك».

قلت: فإذا كان نهي عن ركوب جلود النمار؛ لأنها من زي العجم، فكيف
بالذين يتشبهون بهم في كثير من أعمالهم، ومناهجهم، وطرقهم، والعياذ بالله.

قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أما الظفر فمصدد الباشة»

■ قال الإمام البخاري رحمه الله⁽³⁾:

(1) «المعجم الكبير» (831).

(2) «فيض القدير» (6/314).

(3) «صحيح البخاري» (2488)، و«صحيح مسلم» (1968).

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ الْأَنْصَارِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبَّادَةَ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ، فَأَصَابَ النَّاسَ جُوعٌ، فَأَصَابُوا إِبِلًا وَغَنَمًا، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أُخْرِيَاتِ الْقَوْمِ، فَعَجَلُوا، وَذَبَحُوا، وَنَصَبُوا الْقُدُورَ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقُدُورِ، فَأُكْفِفَتْ، ثُمَّ قَسَمَ، فَعَدَلَ عَشْرَةً مِنَ الْغَنَمِ بِبَعِيرٍ فَنَدَّ مِنْهَا بَعِيرٌ، فَطَلَبُوهُ، فَأَعْيَاهُمْ وَكَانَ فِي الْقَوْمِ خَيْلٌ يَسِيرَةٌ، فَأَهْوَى رَجُلٌ مِنْهُمْ بِسَهْمٍ، فَحَبَسَهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ لِهَذِهِ الْبَهَائِمِ أَوَابِدَ كَأَوَابِدِ الْوَحْشِ، فَمَا غَلَبَكُمْ مِنْهَا فَاصْنَعُوا بِهِ هَكَذَا»، فَقَالَ جَدِّي: إِنَّا نَرْجُو - أَوْ نَخَافُ - الْعَدُوَّ غَدًا، وَلَيْسَتْ مَعَنَا مُدَى، أَفَنَذْبَحُ بِالْقَصَبِ؟ قَالَ: «مَا أَنْهَرَ الدَّمَ، وَذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكُلُوهُ، لَيْسَ السِّنُّ وَالظُّفْرُ، وَسَأُحَدِّثُكُمْ عَنْ ذَلِكَ: أَمَّا السِّنُّ فَعَظْمٌ، وَأَمَّا الظُّفْرُ فَمُدَى الْحَبَشَةِ».

■ قال الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«قوله: «وَأَمَّا الظُّفْرُ فَمُدَى الْحَبَشَةِ»، أَيُّ وَهُمْ كُفَّارٌ وَقَدْ نَهَيْتُمْ عَنْ التَّشْبِهِ بِهِمْ، قَالَهُ ابْنُ الصَّلَاحِ، وَتَبِعَهُ النَّوَوِيُّ».

■ وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

«فَمَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ كُفَّارٌ، وَقَدْ نَهَيْتُمْ عَنْ التَّشْبِهِ بِالْكَفَّارِ وَهَذَا شِعَارُ لَهُمْ».



(1) «فتح الباري» (29/6).

(2) «شرح النووي على مسلم» (125/13).

فصل في بعض آثار السلف في النهي عن التشبه بهم في بعض الأعمال

■ قال عبد الرزاق⁽¹⁾:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي الْأَزْرَقُ بْنُ قَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَبَاحٍ الْأَنْصَارِيَّ يُحَدِّثُ عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى الْعَصْرَ، فَقَامَ رَجُلٌ يُصَلِّي بَعْدَهَا، فَأَخَذَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِرِدَائِهِ - أَوْ بَتُونِهِ - وَقَالَ: اجْلِسْ فَإِنَّمَا هَلَكَ أَهْلُ الْكِتَابِ قَبْلَكُمْ لَمْ يَكُنْ لِمَصَلَاتِهِمْ فَضْلٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَ ابْنُ الْخَطَّابِ».

وهذا إسناد حسن.

■ قال ابن أبي شيبة⁽²⁾:

حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ هِلَالٍ، قَالَ: أَتَى عَبْدُ اللَّهِ بِصَحِيفَةٍ فِيهَا حَدِيثٌ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَمَحَاهَا، ثُمَّ غَسَلَهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَأُحْرِقَتْ، ثُمَّ قَالَ: «أُذَكِّرُ بِاللَّهِ رَجُلًا يَعْلَمُهَا عِنْدَ أَحَدٍ إِلَّا أَعْلَمَنِي بِهِ، وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمْتُ أَنَّهَا بَدَارِ الْهِنْدِ لَأَبْتَلَعْتُ إِلَيْهَا، بِهَذَا هَلَكَ أَهْلُ الْكِتَابِ قَبْلَكُمْ حَتَّى نَبْذُوا كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

(1) «مصنف عبد الرزاق» (3973).

(2) «مصنف ابن أبي شيبة» (26447).

وهذا إسناد صحيح.

■ قال ابن أبي شيبة⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ عُمَرَ فِي حَجَّةٍ حَجَّهَا، فَقَرَأَ بِنَا فِي الْفَجْرِ: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ، وَلِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا قَضَى حَجَّهُ وَرَجَعَ وَالنَّاسُ يَبْتَذِرُونَ فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقَالُوا: مَسْجِدٌ صَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «هَكَذَا هَلَكَ أَهْلُ الْكِتَابِ، اتَّخَذُوا آثَارَ أَنْبِيَائِهِمْ بَيْعًا، مَنْ عَرَضَتْ لَهُ مِنْكُمْ فِيهِ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِضْ لَهُ مِنْكُمْ فِيهِ الصَّلَاةُ فَلَا يُصَلِّ».

قلت: وهذا إسناد صحيح.

وهكذا كثير من المتصوفة والرافضة يتخذون بعض الأماكن للعبادة تبركاً بها، ويزعمون أن فيها خاصية على غيرها.

■ قال ابن أبي شيبة⁽²⁾:

حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُسْلِمٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا كَرِهَتْ الْإِخْتِصَارَ فِي الصَّلَاةِ، وَقَالَتْ: «لَا تَسْبَهُوا بِالْيَهُودِ».

وهذا إسناد صحيح.

■ وقال ابن أبي شيبة⁽¹⁾:

(1) «مصنف ابن أبي شيبة» (7550).

(2) «مصنف ابن أبي شيبة» (4600).

مَنْ كَانَ يَقُولُ إِذَا كَانَ ثَوْبٌ وَاحِدٌ فَلْيَتَزَرَّ بِهِ:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، رَأَى رَجُلًا يُصَلِّي مُلْتَحِفًا، فَقَالَ: «لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ، مَنْ لَمْ يَجِدْ مِنْكُمْ إِلَّا ثَوْبًا وَاحِدًا فَلْيَتَزَرَّ بِهِ».

وهذا إسناد صحيح.

■ وقال ابن أبي شيبة⁽²⁾:

حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ «أَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يُؤَمَّ الرَّجُلُ فِي الْمُصْحَفِ، كَرَاهَةً أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِأَهْلِ الْكِتَابِ».

وهذا إسناد صحيح.

■ قال ابن أبي شيبة⁽³⁾:

حَدَّثَنَا ابْنُ عُليَّةَ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، «أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ الْقِيَامَ بَعْدَهَا يَتَشَبَّهُ بِالْيَهُودِ».

وهذا إسناد صحيح.

■ قال ابن أبي شيبة⁽¹⁾:

(1) «مصنف ابن أبي شيبة» (3196).

(2) «مصنف ابن أبي شيبة» (7226).

(3) «مصنف ابن أبي شيبة» (8453).

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ، قَالَ: «لَا يَأْكُلُ كَرَاهِيَةً أَنْ يَتَشَبَّهَ بِالْمُشْرِكِينَ إِلَى اللَّيْلِ.

■ وقال ابن أبي شيبة⁽²⁾:

حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَنَّهُ رَأَى مَجْمَرًا فِي جِنَازَةٍ فَكَسَرَ وَقَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقُولُ: «لَا تُشَبَّهُوا بِأَهْلِ الْكِتَابِ».

وهذا إسناد صحيح.

■ وقال عبد الرزاق⁽³⁾:

عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، رَأَى رَجُلًا يُصَلِّي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ مُلْتَحِفًا بِهِ، فَقَالَ: «لَا تُشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ إِذَا لَمْ يَجِدْ أَحَدَكُمْ إِلَّا ثَوْبًا وَاحِدًا فَلْيَتَزَرَّهُ».

■ وقال عبد الرزاق⁽⁴⁾:

عَنْ مَعْمَرٍ، وَالثَّوْرِيِّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ، «نَهَتْ أَنْ يَجْعَلَ الرَّجُلُ أَصَابِعُهُ فِي خَاصِرَتِهِ فِي الصَّلَاةِ كَمَا يَصْنَعُ

=

(1) «مصنف ابن أبي شيبة» (9346).

(2) «مصنف ابن أبي شيبة» (11174).

(3) «مصنف عبد الرزاق» (1372).

(4) «مصنف عبد الرزاق» (3338).

اليهود».

قَالَ مَعْمَرٌ فِي حَدِيثِهِ: «فَإِنَّهُ مَعْشَرُ الْيَهُودِ».

وهذا إسناد صحيح.

■ قال ابن أبي شيبة⁽¹⁾:

فِي الرَّجُلِ يَوْمُ الْقَوْمِ وَهُوَ يَقْرَأُ فِي الْمُصْحَفِ، مِنْ كَرِهِهِ:

حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ الدَّسْتَوَائِيُّ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ كَرِهَهُ،
وَقَالَ: «هَكَذَا تَفْعَلُ النَّصَارَى».

وهذا إسناد حسن.



(1) «مصنف ابن أبي شيبة» (7230).

فصل فيما دل عليه القرآن أنه من صفاتهم

وقلدهم في ذلك بعض هذه الأمت

كما أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم

فمن ذلك:

الشرك بالله

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٣٥) [البقرة].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٦٤) [آل عمران].

وقال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٦٧) [آل عمران].

فهذه الآيات التي خاطب الله بها أهل الكتاب، وأمرنا أن نحاججهم بها، تدل على أن من صفاتهم: الشرك بالله؛ الذي هو أخطر الذنوب، وأبغض شيء إلى علام الغيوب.

وتجد من هذه الأمة من اتبع سبيلهم في ذلك، بل في الشرك بجميع أنواعه وأقسامه، وذلك لتعلم صدق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويزداد إيمانك بنبوته، وأنه لا ينطق عن الهوى، ولتحذر سبيل أهل الكتاب ومن تابعهم، -

عياذاً بالله تعالى - .

إسماء الولد لله

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة].

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (1):

«قال ابن جرير: فمعنى الكلام: سبحانه الله أنى يكون له ولد وهو مالك ما في السموات والأرض، تشهد له جميعا بدلالتها عليه بالوحدانية، وتقر له بالطاعة، وهو بارئها وخالقها، وموجدها من غير أصل، ولا مثال احتذاها عليه؟ وهذا إعلام من الله جل ثناؤه عباده، أن مما يشهد له بذلك: المسيح، الذي أضافوا إلى الله جل ثناؤه بنوته، وإخبار منه لهم أن الذي ابتدئ السموات والأرض من غير أصل وعلى غير مثال، هو الذي ابتدئ المسيح من غير والد بقدرته.

وهذا من ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ كلام جيد وعبارة صحيحة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة].

يبين بذلك تعالى كمال قدرته وعظيم سلطانه، وأنه إذا قدر أمراً وأراد كونه، فإنما يقول له: كن. أي: مرة واحدة، فيكون، أي: فيوجد على وفق ما أراد، كما

(1) «تفسير ابن كثير» (1/ 398، 399).

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: 82] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: 40] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: 50].

■ وقال ابن كثير رحمه الله⁽¹⁾:

«اشتملت هذه الآية الكريمة، والتي تليها على الرد على النصارى - عليهم لعائن الله - وكذا من أشبههم من اليهود ومن مشركي العرب، ممن جعل الملائكة بنات الله، فأكذب الله جميعهم في دعواهم وقولهم: إن لله ولدا. فقال تعالى: ﴿سُبْحَنَهُ﴾ أي: تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا كبيرا ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ليس الأمر كما افترضوا، وإنما له ملك السماوات والأرض، وهو المتصرف فيهم، وهو خالقهم ورازقهم، ومقدرهم ومسخرهم، ومسيرهم ومصرفهم، كما يشاء، والجميع عبيد له وملك له، فكيف يكون له ولد منهم، والولد إنما يكون متولدا من شيئين متناسبين، وهو تَبَارَكَ وَتَعَالَى ليس له نظير، ولا مشارك في عظمته وكبريائه ولا صاحبة له، فكيف يكون له ولد! كما قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 101] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ٨٨ ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ ٨٩ ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا﴾ ٩٠ ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ ٩١ ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ٩٢ ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي

(1) «تفسير ابن كثير» (1/ 396، 397).

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِلَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿١٣﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿١٤﴾ وَكُلُّهُمْ عِندَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿١٥﴾ ﴿[مريم]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾﴾ [الإخلاص].

فقرر تعالى في هذه الآيات الكريمة أنه السيد العظيم، الذي لا نظير له ولا شبهه له، وأن جميع الأشياء غيره مخلوقة له مربوبة، فكيف يكون له منها ولد! ولهذا قال البخاري في تفسير هذه الآية من البقرة: أخبرنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن عبد الله بن أبي حسين، حدثنا نافع بن جبير - هو ابن مطعم - عن ابن عباس، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «قال الله تعالى: كذبتني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فيزعم أنني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقلوه: لي ولد. فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا» انفرد به البخاري من هذا الوجه.

وروى ابن مردويه: عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يقول الله عز وجل: كذبتني ابن آدم ولم ينبغ له أن يكذبني، وشتمني ولم ينبغ له أن يشتمني، أما تكذيبه إياي فقلوه: لن يعيدني كما بدأني. وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته. وأما شتمه إياي فقلوه: اتخذ الله ولدا. وأنا الله الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد».

وفي الصحيحين عن أبي موسى عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله؛ إنهم يجعلون له ولدا، وهو يرزقهم

ويعافيههم».

وقوله: ﴿كُلُّ لَهُ قَنِئُون﴾ قال ابن أبى حاتم: أخبرنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أسباط، عن مطرف، عن عطية، عن ابن عباس، قال: ﴿قَنِئِينَ﴾ مصلين.

وقال عكرمة وأبو مالك: ﴿كُلُّ لَهُ قَنِئُون﴾ مقرون له بالعبودية. وقال سعيد بن جبير: ﴿كُلُّ لَهُ قَنِئُون﴾ يقول: الإخلاص. وقال الربيع بن أنس: يقول كل له قائم يوم القيامة. وقال السدي: ﴿كُلُّ لَهُ قَنِئُون﴾ يقول: له مطيعون يوم القيامة.

وقال خصيف، عن مجاهد: ﴿كُلُّ لَهُ قَنِئُون﴾ قال: مطيعون.

وهذا كله لما طرأ عليهم من شبهة اتحاد اللاهوت بالناسوت وأن الله اتحد بعيسى.

قلت: وقد شابههم فى ذلك من قال بوحدة الوجود، أو بالحلول، من الصوفية والفلاسفة.

■ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

«ثم إن الغلو فى الأنبياء والصالحين قد وقع فى طوائف من ضلال المتعبدة والمتصوفة حتى خالط كثيرًا منهم من مذاهب الحلول والاتحاد ما هو أقبح من قول النصارى أو مثله أو دونه».

(1) «اقتضاء الصراط المستقيم» (1/89).

البطية في الدين

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ فَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَارَعُوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحديد].

■ قال ابن جرير الطبري رحمه الله⁽¹⁾:

«يقول تعالى ذكره: ثم أتبعنا على آثارهم برسلنا الذين أرسلناهم بالبينات على آثار نوح وإبراهيم برسلنا وأتبعنا بعيسى ابن مريم، ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ يعني: الذين اتبعوا عيسى على منهاجه وشريعته، ﴿رَأْفَةً﴾ وهو أشد الرحمة، ﴿وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ يقول: أحدثوها، ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ يقول: ما افترضنا تلك الرهبانية عليهم، ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ يقول: لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ﴿فَمَارَعُوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾».

■ قال ابن كثير رحمه الله⁽²⁾:

«يخبر تعالى أنه منذ بعث نوحا، رحمه الله، لم يرسل بعده رسولا ولا نبيا إلا من ذريته، وكذلك إبراهيم، رحمه الله، خليل الرحمن، لم ينزل من السماء كتابا ولا أرسل رسولا ولا أوحى إلى بشر من بعده، إلا وهو من سلالة كما قال في

(1) «جامع البيان» (23/202).

(2) «تفسير ابن كثير» (8/28، 29).

الآية الأخرى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد: 26]، يعني حتى كان آخر أنبياء بني إسرائيل عيسى ابن مريم الذي بشر من بعده بمحمد، صلوات الله وسلامه عليهما؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ وهو الكتاب الذي أوحاه الله إليه ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ وهم الحواريون، ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ أي: رأفة وهي الخشية ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالخلق.

وقوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ أي: ابتدعتها أمة النصارى ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: ما شرعناها لهم، وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم.

وقوله: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾، فيه قولان، أحدهما: أنهم قصدوا بذلك رضوان الله، قال سعيد بن جبير، وقتادة. والآخر: ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله.

وقوله: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾، أي: فما قاموا بما التزموه حق القيام. وهذا ذم لهم من وجهين، أحدهما: في الابتداء في دين الله ما لم يأمر به الله. والثاني: في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قرينة يقربهم إلى الله، رَحْمَةُ اللَّهِ.

وروى ابن أبي حاتم: عن ابن مسعود قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا ابن مسعود». قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «هل علمت أن بني إسرائيل افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة؟ لم ينج منها إلا ثلاث فرق، قامت

بين الملوك والجبابرة بعد عيسى ابن مريم، رَحِمَهُ اللَّهُ، فدعت إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم، فقاتلت الجبابرة فقتلت فصبرت ونجت، ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال، فقامت بين الملوك والجبابرة فدعوا إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم، فقتلت وقطعت بالمناشير وحرقت بالنيران، فصبرت ونجت. ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ولم تطق القيام بالقسط، فلحقت بالجمال فتعبدت وترهبت، وهم الذين ذكرهم الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾.

قلت: وكل من تقرب إلى الله ببدعة فهو ممن شابه النصارى في الرهبانية التي اخترعوها.

■ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«وقال سبحانه عن الضالين: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾، وقد ابتلى طوائف من المسلمين من الرهبانية المبتدعة بما الله به عليهم».

رهبانية النصارى

■ قال الإمام البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

أَخْبَرَنَا أَبُو سَعْدٍ الْمَالِينِيُّ، أَنبَأَ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ عَدِيٍّ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

(1) «اقتضاء الصراط المستقيم» (90/1).

(2) «السنن الكبرى للبيهقي» (13457)، و«الكامل في ضعفاء الرجال» (312/7)،

و«مسند الروياني» (1188).

الثَّقَفِيُّ الْبَصْرِيُّ، نَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَابِتٍ الْبَصْرِيُّ، عَنْ أَبِي غَالِبٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَزَوَّجُوا فَإِنِّي مُكَاتِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَكُونُوا كَرَهْبَانِيَّةِ النَّصَارَى»، وَفِي هَذَا أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ فِي أَسَانِيدِهَا ضَعْفٌ وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ غُنَّةٌ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَبَلَّغْنَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ تَمْسَهُ النَّارُ».

قلت: وترى كثيراً من الصوفية الذين يتشبهون بالنصارى في رهبانيتهم، وتقشفهم، ولبسهم الصوف، وتركهم الزواج، وتقليلهم للمأكولات، وتضييعهم لمن يعملون، وتبركهم بكبارهم، واعتقادهم أن الله قد حل في قلوبهم، وهذا كله من التشبه بالنصارى، ومن لعب الشيطان بهم - عياداً بالله من شرهم -.

مآلِفتهم في التعلب بالإنصات

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ بَيَانَ أَبِي بَشِيرٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ أَحْمَسَ يُقَالُ لَهَا زَيْنَبُ، فَرَأَاهَا لَا تَكَلِّمُ، فَقَالَ: «مَا لَهَا لَا تَكَلِّمُ؟» قَالُوا: حَجَّتْ مُصْمِتَةً، قَالَ لَهَا: «تَكَلِّمِي، فَإِنَّ هَذَا لَا يَحِلُّ، هَذَا مِنْ عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ»، فَتَكَلَّمْتُ، فَقَالَتْ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: «امْرُؤٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ»، قَالَتْ: أَيُّ الْمُهَاجِرِينَ؟ قَالَ: «مِنْ قُرَيْشٍ»، قَالَتْ: مِنْ أَيِّ قُرَيْشٍ أَنْتَ؟ قَالَ: «إِنَّكَ لَسُّوْلٌ، أَنَا أَبُو بَكْرٍ»، قَالَتْ: مَا بَقَاؤُنَا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الصَّالِحِ

(1) «صحيح البخاري» (3834).

الَّذِي جَاءَ اللَّهَ بِهِ بَعْدَ الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: «بَقَاؤُكُمْ عَلَيْهِ مَا اسْتَقَامَتْ بِكُمْ أَيْمَتُكُمْ»،
قَالَتْ: وَمَا الْأَيْمَةُ؟ قَالَ: «أَمَّا كَانَ لِقَوْمِكَ رُءُوسٌ وَأَشْرَافٌ، يَأْمُرُونَهُمْ
فَيُطِيعُونَهُمْ؟» قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: «فَهُمْ أَوْلِيَاكَ عَلَى النَّاسِ».

تحريف كلام الله

وقال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ ﴿النساء: 46﴾.

ووصفهم بأنهم: ﴿يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ

مِنَ الْكِتَابِ﴾ ﴿آل عمران: 78﴾.

و قال تعالى: ﴿أَفَنظَمُونَ أَن يُؤْمِنُوا بِالْكِتَابِ وَقَدْ كَانَفَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ

اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ

عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾

وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ لَآ يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ [البقرة].

■ قال السعدي⁽¹⁾:

«هذا قطع لأطماع المؤمنين من إيمان أهل الكتاب، أي: فلا تطمعوا في إيمانهم وحالتهم لا تقتضي الطمع فيهم، فإنهم كانوا يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وعلموه، فيضعون له معاني ما أَرادها الله، ليوهموا الناس أنها من عند الله، وما هي من عند الله، فإذا كانت هذه حالهم في كتابهم الذي يروونه شرفهم

(1) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (56/1).

ودينهم يصدون به الناس عن سبيل الله، فكيف يرجى منهم إيمان لكم؟! فهذا من أبعد الأشياء.

ثم ذكر حال منافقي أهل الكتاب فقال: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ فأظهروا لهم الإيمان قولاً بألسنتهم، ما ليس في قلوبهم، ﴿وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ فلم يكن عندهم أحد من غير أهل دينهم، قال بعضهم لبعض: ﴿اتَّخَذْتُمُوهُمْ كَمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: أظهروا لهم الإيمان وتخبروهم أنكم مثلهم، فيكون ذلك حجة لهم عليكم؟

يقولون: إنهم قد أقروا بأن ما نحن عليه حق، وما هم عليه باطل، فيحتجون عليكم بذلك عند ربكم ﴿أَفَلَا نَعْقِلُونَ﴾ أي: أفلا يكون لكم عقل، فتتركون ما هو حجة عليكم؟ هذا يقوله بعضهم لبعض.

﴿أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فهم وإن أسروا ما يعتقدونه فيما بينهم، وزعموا أنهم بإسرارهم لا يتطرق عليهم حجة للمؤمنين، فإن هذا غلط منهم وجهل كبير، فإن الله يعلم سرهم وعلنهم، فيظهر لعباده ما أنتم عليه.

لبس الحق بالباطل

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا لِلْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾

[البقرة].

قيل: إنه كان فيهم منافقون منهم يظهرون التصديق بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويستبطنون الكفر به وكان عظمهم يقولون: محمد نبي مبعوث، إلا أنه مبعوث إلى غيرنا فكان لبس المنافق منهم الحق بالباطل إظهاره الحق بلسانه، وإقراره بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبما جاء به جهارا، وخلطه ذلك الظاهر من الحق بما يستبطنه. وكان لبس المقر منهم بأنه مبعوث إلى غيرهم، الجاحد أنه مبعوث إليهم، إقراره بأنه مبعوث إلى غيرهم وهو الحق، وجحوده أنه مبعوث إليهم، وهو الباطل، وقد بعثه الله إلى الخلق كافة، فذلك خلطهم الحق بالباطل ولبسهم إياه به.

كما عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: 43]، قال: لا تخلطوا الصدق بالكذب.

وروى عن أبي العالية: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾، يقول: لا تخلطوا الحق بالباطل، وأدوا النصيحة لعباد الله في أمر محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وروى ابن جريج، قال مجاهد: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾، اليهودية والنصرانية بالإسلام.

وروى ابن زيد في قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾، قال: الحق، التوراة الذي أنزل الله على موسى، والباطل: الذي كتبوه بأيديهم». وسنده صحيح.

■ وقال الطبري⁽¹⁾:

(1) «جامع البيان» (3/ 503، 504).

«قال الله تعالى: ﴿يَتَّاهِلَ الْكِتَابُ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٧١) [آل عمران].

قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: يا أهل التوراة والإنجيل ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ﴾، يقول: لم تخلطون ﴿الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾.

وكان خلطهم الحق بالباطل إظهارهم بألستهم من التصديق بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما جاء به من عند الله غير الذي في قلوبهم من اليهودية والنصرانية.

باب كتمان الحق

قال الله تعالى: ﴿يَتَّاهِلَ الْكِتَابُ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٧١) [آل عمران].

■ قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«قال أبو جعفر: يعني بقوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا﴾ [البقرة: 42]، لا تخلطوا، واللبس هو الخلط.

يقال منه: لبست عليه هذا الأمر ألبسه لبسا: إذا خلطته عليه.

كما وروى عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: 9]، يقول: لخلطنا عليهم ما يخلطون. ومنه قول العجاج:

(1) «جامع البيان» (1/566:568).

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لِمَ تَلِسُوتَ الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْنُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٧١)،
أي: تكتُمون ما في كتبكم من صفة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنتم تعرفون ذلك
وتتحققونه».

تحرير الحلال وإحلال الحرام

قال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْكَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ
وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣١) [التوبة].

■ قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

«قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه: اتخذ اليهود أحبارهم وهم العلماء...
وكان يونس الجرمي فيما ذكر عنه ويزعم أنه لم يسمع ذلك إلا «حبر» بكسر
الحاء، ويحتج بقول الناس: «هذا مداد حبر» يراد به مداد عالم.
والنصارى «رهبانهم»، وهم أصحاب الصوامع وأهل الاجتهاد في دينهم
منهم كما:

وروى عن الضحاك: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ﴾ قال: قراءهم
وعلماءهم.

(1) «تفسير ابن كثير» (2/ 59).

(2) «جامع البيان» (14/ 208: 211).

﴿أَرْكَبَا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: سادة لهم من دون الله، يطيعونهم في معاصي الله، فيحلون ما أحلوه لهم مما قد حرمه الله عليهم، ويحرمون ما يحرمونه عليهم مما قد أحله الله لهم.

وروى عن عدي بن حاتم قال: أتيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عدي، اطرح هذا الوثن من عنقك! قال: فطرحته، وانتهيت إليه وهو يقرأ في «سورة براءة»، فقرأ هذه الآية: ﴿أَتَّخِذُوا أَجْبَارَهُمْ وَرُءُوبَهُمْ أَرْكَبَا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾، قال قلت: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدهم! فقال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ قال: قلت: بلى! قال: فتلك عبادتهم! واللفظ لحديث أبي كريب.

حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال: حدثنا بقية، عن قيس بن الربيع، عن عبد السلام بن حرب النهدي، عن غضيف، عن مصعب بن سعد، عن عدي بن حاتم قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ «سورة براءة»، فلما قرأ: ﴿أَتَّخِذُوا أَجْبَارَهُمْ وَرُءُوبَهُمْ أَرْكَبَا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾، قلت: يا رسول الله أما إنهم لم يكونوا يصلون لهم! قال: صدقت، ولكن كانوا يحلون ما حرم الله فيستحلونه، ويحرمون ما أحل الله لهم فيحرمونه.

قلت: وحديث عدي حسن بطرقه كما ترى.

وروى عن أبي البختری، عن حذيفة: أنه سئل عن قوله: ﴿أَتَّخِذُوا أَجْبَارَهُمْ وَرُءُوبَهُمْ أَرْكَبَا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أكانوا يعبدونهم؟ قال: لا، كانوا

إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه.

وروى عن أبي البختری: ﴿ اَتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْكَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ قال: انطلقوا إلى حلال الله فجعلوه حراما، وانطلقوا إلى حرام الله فجعلوه حلالا فأطاعوهم في ذلك. فجعل الله طاعتهم عبادتهم. ولو قالوا لهم: «اعبدونا»، لم يفعلوا.

وروى عن أسباط، عن السدي: ﴿ اَتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْكَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾، قال عبد الله بن عباس: لم يأمرهم أن يسجدوا لهم، ولكن أمرهم بمعصية الله، فأطاعوهم، فسامهم الله بذلك أربابا.

وأما قوله: ﴿ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾، فإن معناه: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا من دون الله.

وأما قوله: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ﴾، فإنه يعني به: وما أمر هؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا الأحرار والرهبان والمسيح أربابا، إلا أن يعبدوا معبودا واحدا وأن يطيعوا إلا ربا واحدا دون أرباب شتى، وهو الله الذي له عبادة كل شيء، وطاعة كل خلق، المستحق على جميع خلقه الدينونة له بالوحدانية والربوبية.

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ يقول تعالى ذكره: لا تنبغي الألوهية إلا للواحد الذي أمر الخلق بعبادته ولزمت جميع العباد طاعته.

﴿ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ يقول: تنزيها وتطهيرا لله عما يشرك في

طاعته وربوبيته القائلون: ﴿عَزَّزْتُ ابْنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: 30]، والقائلون: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: 30]، المتخذون أحبارهم أربابا من دون الله⁽¹⁾.

قلت: وكم وقع ممن فسد من علماء وعباد هذه الأمة من يحل للناس ما حرم الله، أو يحرم عليهم ما أوجبه الله، وهذا كثير فى علماء السوء، وعلماء الحكومات، وعلماء البدع والأهواء.

■ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

«من أفتى الناس وليس بأهلٍ للفتوى فهو آثمٌ عاصٍ، ومن أقره من ولاة الأمور على ذلك فهو آثمٌ أيضًا....»

وَكَانَ شَيْخُنَا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - شَدِيدَ الْإِنْكَارِ عَلَى هَؤُلَاءِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَالَ لِي بَعْضُ هَؤُلَاءِ: أَجَعَلْتَ مُحْتَسِبًا عَلَى الْفَتْوَى؟ فَقُلْتُ لَهُ: يَكُونُ عَلَى الْخَبَازِينَ وَالطَّبَّاحِينَ مُحْتَسِبٌ وَلَا يَكُونُ عَلَى الْفَتَوَى مُحْتَسِبٌ؟

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَرْفُوعًا: «مَنْ أَفْتَى بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ ذَلِكَ عَلَى الَّذِي أَفْتَاهُ».

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُسَاءَ

(1) «جامع البيان» (14/ 211: 213).

(2) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (4/ 166، 167).

جَهَّالًا؛ فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا».

قلت: ومن المُفْتَيْنِ المُفْتَيْنَيْنِ في هذا العصر: الذين لا يفتون الناس بالحق ولا بالكتاب والسنة، ولكن يفتون الناس بالرأي المحض في الفقه، وبالهوى والبدعة في العقيدة، نسأل الله أن يكفي المسلمين شرهم وأن يعجل بزوالهم:

1. القرضاوي.
2. الزنداني.
3. عمرو خالد.
4. زبارة.
5. يحيى الدرة.
6. علي جمعة مفتي الأزهر...
7. والعمراني، وهو أهون منهم مع أنه إخواني ويفتي حسب الطلب.

الافتتان بالدنيا

قال ربنا عز وجل: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ
أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ [التوبة].

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

«يقول تعالى: أصاب هؤلاء من عذاب الله في الدنيا والآخرة كما أصاب من قبلهم، وقد كانوا أشد منهم قوة وأكثر أموالا وأولادا، ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ﴾ قال الحسن البصري: بدينهم، ﴿كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضَّتْ كَالَّذِي خَاصُوا﴾ أي: في الكذب والباطل، ﴿أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ أي: بطلت مساعيهم، فلا ثواب لهم عليها لأنها فاسدة، ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾؛ لأنهم لم يحصل لهم عليها ثواب.

قال ابن جريج عن عمر بن عطاء، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الآية، قال ابن عباس: ما أشبه الليلة بالبارحة، ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ هؤلاء بنو إسرائيل، شبهنا بهم، لا أعلم إلا أنه قال: «والذي نفسي بيده، لتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه».

قال ابن جريج: وأخبرني زياد بن سعد، عن محمد بن زيد بن مهاجر، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسي بيده، لتبعن سنن الذين من قبلكم، شبرا بشبر، وذراعا بذراع، وباعا بباع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه». قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ أهل الكتاب؟ قال: «فمه».

وهكذا رواه أبو معشر، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي

(1) «تفسير ابن كثير» (4/174).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذكره وزاد: قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم القرآن؛ ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ﴾ قال أبو هريرة: الخلاق: الدين.

﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ قالوا: يا رسول الله، كما صنعت فارس والروم؟ قال: «فهل الناس إلا هم»، وهذا الحديث له شاهد في الصحيح.

■ قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبية محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قل، يا محمد، لهؤلاء المنافقين الذين قالوا: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: 65]: أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزئون؟»

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، من الأمم الذين فعلوا فعلكم، فأهلكهم الله، وعجل لهم في الدنيا الخزي، مع ما أعد لهم من العقوبة والنكال في الآخرة. يقول لهم جل ثناؤه: واحذروا أن يحل بكم من عقوبة الله مثل الذي حل بهم، فإنهم كانوا أشد منكم قوة وبطشا، وأكثر منكم أموالا وأولادا.

﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ﴾، يقول: فتمتعوا بنصيبهم وحظهم من دنياهم ودينهم، ورضوا بذلك من نصيبهم في الدنيا عوضا من نصيبهم في الآخرة، وقد سلكتم، أيها المنافقون، سبيلهم في الاستمتاع بخلاقتكم. يقول: فعلتم بدينكم

(1) «جامع البيان» (14/ 340، 341).

ودنياكم، كما استمتع الأمم الذين كانوا من قبلكم، الذين أهلكتهم بخلافهم أمري.

﴿يُخْلَفُهُمْ﴾، يقول: كما فعل الذين من قبلكم بنصيبهم من دنياهم ودينهم.

﴿وُخِضْتُمْ﴾، فى الكذب والباطل على الله.

﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾، يقول: وخصتم أنتم أيضا، أيها المنافقون، كخوض تلك الأمم قبلكم».

▪ قال البخارى رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ الْمُسَوَّرَ بْنَ مَحْرَمَةَ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ، وَهُوَ حَلِيفُ لِبْنِي عَامِرِ بْنِ لُؤْيٍ، كَانَ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجَزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ صَالِحُ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِهِ، فَوَافَتْهُ صَلَاةُ الصُّبْحِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَأَوْهُمْ، وَقَالَ: «أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَأنَّهُ جَاءَ بِشَيْءٍ» قَالُوا: أَجَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَأَبْشَرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ،

(1) «صحيح مسلم» (2296)، و«صحيح البخاري» (4042).

وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسِطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ».

■ وقال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا وَهْبٌ يَعْنِي ابْنَ جَرِيرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ أَيُّوبَ، يُحَدِّثُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ مَرْثَدٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ كَالْمُودِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنَّ عَرْضَهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةٍ إِلَى الْجُحْفَةِ، إِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا، وَتَقْتُلُوا، فَتَهْلِكُوا، كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

قَالَ عُقْبَةُ: «فَكَانَتْ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ».

■ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

«فالخطاب في قوله: ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً﴾، وقوله: ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ﴾، إن كان للمنافقين كان من باب خطاب التلوين والالتفات، وهذا انتقال من الغيبة إلى الحضور، كما في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ (١) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)، ثم حصل الانتقال من الخطاب إلى الغيبة في قوله: ﴿أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾. وكما في قوله: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ﴾

(1) «صحيح مسلم» (2296).

(2) «اقتضاء الصراط المستقيم» (1/ 114، 120).

طَبِيبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا ﴿يونس: 22﴾، وقوله: ﴿وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: 7]، فإن الضمير في قوله: ﴿أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ [التوبة: 69] الأظهر أنه عائد إلى المستمتعين الخائضين من هذه الأمة كقوله - فيما بعد - : ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِيكَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [التوبة: 70]، وإن كان الخطاب لمجموع الأمة المبعوث إليها، فلا يكون الالتفات إلا في الموضع الثاني.

وأما قوله: ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ﴾، ففي تفسير عبد الرزاق عن معمر عن الحسن في قوله: ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ﴾ [التوبة: 69]، قال: بدينهم. ويروى ذلك عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وروي عن أبي عباس: بنصيبهم من الآخرة في الدنيا. وقال آخرون: بنصيبهم من الدنيا.

قال أهل اللغة: الخلاق: هو النصيب والحظ، كأنه ما خلق للإنسان، أي ما قدر له، كما يقال: (القسم) لما قسم له، و (النصيب) لما نصب له، أي أثبت.

ومنه قوله تعالى: ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [البقرة: 102]، أي: من نصيب، وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنما يلبس الحرير من لا خلاق له في الآخرة».

والآية تعم ما ذكره العلماء جميعهم، فإنه سبحانه قال: ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثَرَ آمَؤَالًا وَأَوْلَدًا﴾ [التوبة: 69]، فتلك القوة التي كانت فيهم كانوا

يستطيعون أن يعملوا بها للدنيا والآخرة، وكذلك أموالهم وأولادهم، وتلك القوة والأموال والأولاد: هو الخلاق، فاستمتعوا بقوتهم وأموالهم وأولادهم في الدنيا، ونفس الأعمال التي عملوها بهذه القوة والأموال: هي دينهم، وتلك الأعمال، لو أرادوا بها الله، والدار الآخرة؛ لكان لهم ثواب في الآخرة عليها، فتمتعهم بها أخذ حظوظهم العاجلة بها، فدخل في هذا من لم يعمل إلا لدنياه، سواء كان جنس العمل من العبادات، أو غيرها.

ثم قال سبحانه: ﴿فَأَسْتَمْتَعُمْ بِمَخْلَقِكُمْ كَمَا أَسْتَمْتَعُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِمَخْلَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: 69].

وفي (الذي) وجهان: أحسنهما أنها صفة المصدر، أي كالخوض الذي خاضوه فيكون العائد محذوفاً كما في قوله: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيَنَا﴾ [يس: 71]، وهو كثير فاش في اللغة.

والثاني: أنه صفة الفاعل، أي: كالفرق أو الصنف أو الجيل الذي خاضوه، كما لو قيل: كالذين خاضوا.

وجمع سبحانه بين الاستمتاع بالخلاق، وبين الخوض، لأن فساد الدين إما أن يقع بالاعتقاد الباطل، والتكلم به، أو يقع في العمل بخلاف الاعتقاد الحق. والأول: هو البدع، ونحوها.

والثاني: فسق الأعمال ونحوها.

والأول: من جهة الشبهات؛ والثاني: من جهة الشهوات.

ولهذا كان السلف يقولون: احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه.

وكانوا يقولون: احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون، فهذا يشبه المغضوب عليهم، الذين يعلمون الحق ولا يتبعونه، وهذا يشبه الضالين الذين يعملون بغير علم.

ووصف بعضهم أحمد بن حنبل فقال: رَحِمَهُ اللَّهُ عن الدنيا ما كان أصبره وبالماضين ما كان أشبهه، أته البدع فنفاها والدنيا فأباها.

وقد وصف الله أئمة المتقين فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢٤) [السجدة]، فبالصبر تترك الشهوات وباليقين تدفع الشبهات؛ اهـ.

وأما حديث: «إن هذا الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم، و هما مهلكاكم».

■ قال الألباني⁽¹⁾: «رواه أبو محمد بن شيبان العدل في «الفوائد» (1/222/2)، والمخلص في «الفوائد المنتقاة» (8/5/1).

قلت: وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات على شرط مسلم.

قلت: وسنده صحيح موقوف أيضا، ولا ينافي المرفوع لأن الراوي قد لا ينشط أحيانا لرفعه فيوقفه. فهو صحيح مرفوعاً وموقوفاً.

(1) «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (1703).

ثم رأيت المنذري أورد الحديث في «الترغيب» (4 / 106) عن ابن مسعود مرفوعاً نحوه، وقال وتبعه الهيثمي (10 / 237): «رواه البزار بإسناد جيد» اهـ.

قلت: أما حديث أبي موسى فأعله الدارقطني بالوقف في «علله»، (ج 7/ ص 230) (1313).

وقد وقع ما أخبر به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من اتباع سنن أهل الكتاب من التهالك على الدنيا، والسعي وراءها، والافتتان بها، وإيثارها على الحق والعلم والعمل، فالله المستعان؛ اهـ.

التلاوة للكتاب بلا عمل ولا تدبير

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۖ﴾ (٧٨) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ [البقرة].

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«يقول تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾ أي: ومن أهل الكتاب، قاله مجاهد: والأميون جمع أمي، وهو: الرجل الذي لا يحسن الكتابة، قاله أبو العالية، والربيع، وقتادة، وإبراهيم النخعي، وغير واحد، وهو ظاهر في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾، أي: لا يدرون ما فيه. ولهذا في صفات النبي

(1) «تفسير ابن كثير» (1/ 310، 311).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أُمِّي؛ لَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَحْسُنُ الْكِتَابَةَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَزَبْتَ الْمُبْطُلُونَ﴾ [العنكبوت: 48].

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّا أُمَّة أُمِّيَّة، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ، الشَّهْر هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا» الْحَدِيث. أَي: لَا نَفْتَقِرُ فِي عِبَادَاتِنَا وَمَوَاقِيتِهَا إِلَى كِتَابٍ وَلَا حِسَابٍ.

وقال تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [الجمعة: 2].

وقال ابن جرير: نسبت العرب من لا يكتب ولا يخط من الرجال إلى أمه في جهله بالكتاب دون أبيه، قال: وقد روي عن ابن عباس، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قول خلاف هذا.

وروى عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ قال: الأميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله، ولا كتابا أنزله الله، فكتبوا كتابا بأيديهم، ثم قالوا لقوم سفلة جهال: ﴿هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾:

وقال: قد أخبر أنهم يكتبون بأيديهم، ثم سماهم أميين، لجحودهم كتب الله ورسله. ثم قال ابن جرير: وهذا التأويل على خلاف ما يعرف من كلام العرب المستفيض بينهم. وذلك أن الأمي عند العرب: الذي لا يكتب.

قلت: ثم في صحة هذا عن ابن عباس، بهذا الإسناد، نظر. والله أعلم.

قوله تَعَالَى: ﴿إِلَّا أَمَانِي﴾، قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿إِلَّا أَمَانِي﴾ إلا أحاديث.

وقال الضحاك، عن ابن عباس، في قوله: ﴿إِلَّا آمَانِي﴾ يقول: إلا قولاً يقولونه بأفواههم كذبا. وقال مجاهد: إلا كذبا. وقال سنيد، عن حجاج، عن ابن جريج عن مجاهد: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا آمَانِي﴾ قال: أناس من يهود لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئا، وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما في كتاب الله، ويقولون: هو من الكتاب، أماني يتمنونها. وعن الحسن البصري، نحوه.

وقال أبو العالية، والربيع وقتادة: ﴿إِلَّا آمَانِي﴾ يتمنون على الله ما ليس لهم. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿إِلَّا آمَانِي﴾ قال: تمنوا فقالوا: نحن من أهل الكتاب. وليسوا منهم.

قال ابن جرير: والأشبه بالصواب قول الضحاك عن ابن عباس، وقال مجاهد: إن الأُميين الذين وصفهم الله أنهم لا يفقهون من الكتاب - الذي أنزل الله على موسى - شيئا، ولكنهم يتخرصون الكذب ويتخرصون الأباطيل كذبا وزورا. والتمني في هذا الموضع هو تخلق الكذب وتخرصه.

ومنه الخبر المروي عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما تغيت ولا تمنيت». يعني ما تخرصت الباطل ولا اختلقت الكذب.

وقيل: المراد بقوله: ﴿إِلَّا آمَانِي﴾ بالتشديد والتخفيف أيضا: أي إلا تلاوة، فعلى هذا يكون استثناء منقطعاً، واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ الْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: 52] الآية.

قلت: واعلم رعاك الله أنه قد شابه أهل الكتاب في قراءة القرآن بلا تدبر ولا عمل بحدوده من أهل البدع من رافضة، وصوفية، وإخوان مسلمين، وكثير من أهل الأهواء، إنما يتشبعون بتلاوة القرآن ويجعلونه شعاراً لهم ومصيدة لأبناء المسلمين، وإلا فهم مخالفون لكتاب الله في توحيدهم واتباعهم للسنّة وغيرها من المخالفات كثير، والله المستعان.

النفاق

قال الله تعالى ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [البقرة].

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ الآية.

وروى ، محمد بن إسحاق: عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ أي بصاحبكم رسول الله، ولكنه إليكم خاصة. ﴿وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا﴾ لا تحدثوا العرب بهذا، فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم، فكان منهم.

(1) «تفسير ابن كثير» (1/ 308).

فأنزل الله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ أي: تقرون بأنه نبي، وقد علمتم أنه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه، وهو يخبرهم أنه النبي الذي كنا ننتظر، ونجد في كتابنا. اجحدوه ولا تقروا به.

يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

وقال الضحاك، عن ابن عباس: يعني المنافقين من اليهود كانوا إذا لقوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا: آمنا.

■ قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«قال أبو جعفر: أما قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾، فإنه خبر من الله جل ذكره عن الذين أيأس أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من إيمانهم - من يهود بني إسرائيل، الذين كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون - وهم الذين إذا لقوا الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم قالوا: ﴿ءَامَنَّا﴾، يعني بذلك: أنهم إذا لقوا الذين صدقوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله، قالوا: ﴿ءَامَنَّا﴾، أي صدقنا بمحمد وبما صدقتم به، وأقرنا بذلك. أخبر الله عَزَّوَجَلَّ أنهم تخلقوا بأخلاق المنافقين، وسلكوا منهاجهم.

وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا

(1) «جامع البيان» (2/ 249، 250).

وَجَهَّ النَّهَارَ وَكَفَرُوا بِآخِرِهِ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ [آل عمران].

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم، وهو أنهم اشتوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح، فإذا جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم ليقول الجهلة من الناس: إنما ردهم إلى دينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين، ولهذا قالوا: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾».

قال ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله تعالى إخبارا عن اليهود بهذه الآية: يعني يهود، صلت مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة الفجر وكفروا آخر النهار، مكرًا منهم، ليروا الناس أن قد بدت لهم منه الضلالة، بعد أن كانوا اتبعوه».

قلت: وأنت تعلم ما وقع فيه بعض هذه الأمة - مصداقًا لحديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إخباره أنه سيحصل من هذه الأمة من يتبع سنن من كان قبلهم... - من النفاق من صدر هذه الأمة ومن تابعهم، إلى يومنا هذا، من رافضة وصوفية وعلمانيين خبثاء حاقدين على الدين وأهله، مع أنهم يظهرون الإسلام وهم أضمر عليه من اليهود والنصارى، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال].

(1) «تفسير ابن كثير» (2/ 59).

التباطء عن قبول الحق ومعصم الاستجابة

قال الله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا
يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا
لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ
لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ
فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ [البقرة].

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«أخبر تعالى عن تعنت بني إسرائيل وكثرة سؤالهم لرسولهم. ولهذا لما
ضيقوا على أنفسهم ضيق عليهم، ولو أنهم ذبحوا أي بقرة كانت لوقعت الموقع
عنهم، كما قال ابن عباس وعبيدة وغير واحد، ولكنهم شددوا فشدد عليهم،
فقالوا: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ ما هذه البقرة؟ وأي شيء صفتها؟

وروى ابن جرير: عن ابن عباس، قال: لو أخذوا أدنى بقرة اكتفوا بها،
ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم.

إسناد صحيح، وقد رواه غير واحد عن ابن عباس. وكذا قال عبيدة،
والسدي، ومجاهد، وعكرمة، وأبو العالية وغير واحد.

■ قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

(1) «تفسير ابن كثير» (1/ 298).

«فلما تكلفوا جهلا منهم ما تكلفوا من البحث عما كانوا قد كفوه من صفة البقرة التي أمروا بذبحها، تعنتا منهم نبههم موسى صلوات الله عليه، بعد الذي كانوا أظهروا له من سوء الظن به فيما أخبرهم عن الله جل ثناؤه، بقولهم: ﴿أَتُنْخِذُنَا هُزُؤًا﴾ عاقبهم رَحْمَةُ اللَّهِ بِأَن حَصَرَ ذَبْحَ مَا كَانَ أَمْرُهُمْ بِذَبْحِهِ مِنَ الْبَقَرِ عَلَى نَوْعٍ مِنْهَا دُونَ نَوْعٍ، فَقَالَ لَهُمْ - جَلْ ثَنَاؤُهُ - إِذْ سَأَلُوهُ فَقَالُوا: مَا هِيَ؟ مَا صِفَتُهَا؟ وَمَا حَلِيتُهَا؟ صَفَهَا لَنَا لَنَعْرِفَهَا، قَالَ: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ﴾».

■ قال مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ⁽²⁾:

عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿[البقرة: 284]، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاتَّوَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكْبِ، فَقَالُوا: أَيُّ رَسُولَ اللَّهِ، كُلُّنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أَنْزَلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ، ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿عَاصِمٌ أَمَّا أُنْزِلَ

(1) «جامع البيان» (2/ 189، 190).

(2) «صحيح مسلم» (125).

إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿البقرة: 285﴾، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، «قَالَ: نَعَمْ» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، «قَالَ: نَعَمْ» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ ﴿البقرة: 286﴾ «قَالَ: نَعَمْ» ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿البقرة: 286﴾ «قَالَ: نَعَمْ».

■ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«كما كان النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يكره مشابهة أهل الكتابين في هذه الأصار والأغلال، وزجر أصحابه عن التبتل وقال: «لا رهبانية في الإسلام»، وأمر بالسحور ونهى عن المواصلة، وقال فيما يعيب أهل الكتابين ويحذر موافقتهم: «فتلك بقاياهم في الصوامع».

قلت: ومع هذا فترى مِنْ كَثِيرٍ مِنْ هذه الأمة من اتبع سنن الكفار في عدم الاستجابة لقول الله عَزَّوَجَلَّ، ولا قول رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يسارعون للقبول والاتمار بأمر الله، والانتهاه عن نهيه.

(1) «اقتضاء الصراط المستقيم» (1/180).

ملاحظة ما علموه

قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٧١) [آل عمران].

■ قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«اللبس الخلط، وقد تقدم في البقرة. ومعنى هذه الآية والتي قبلها معنى ذلك.

﴿وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ﴾، ويجوز «تكتموا» على جواب الاستفهام.

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ جملة في موضع الحال».

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٧١)، أي: تكتُمون ما في كتبكم من صفة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنتم تعرفون ذلك وتحققونه».

قال الله تعالى: ﴿أَفَنْظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) [البقرة].

■ قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

(1) «الجامع لأحكام القرآن» (4/ 111).

(2) «تفسير ابن كثير» (1/ 59).

«ويعني بقوله: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾، ثم يبدلون معناه وتأويله ويغيرونه. وأصله من «انحراف الشيء عن جهته»، وهو ميله عنها إلى غيرها. فكذلك قوله: ﴿يُحَرِّفُونَهُ﴾ أي يميلونه عن وجهه ومعناه الذي هو معناه، إلى غيره. فأخبر الله جل ثناؤه أنهم فعلوا ما فعلوا من ذلك على علم منهم بتأويل ما حرفوا، وأنه بخلاف ما حرفوه إليه. فقال: ﴿يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾، يعني: من بعد ما عقلوا وتأويله، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: يعلمون أنهم في تحريفهم ما حرفوا من ذلك مبطلون كاذبون».

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (2):

«وقال السدي: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾، قال: هي التوراة، حرفوها.

وهذا الذي ذكره السدي أعم مما ذكره ابن عباس وابن إسحاق، وإن كان قد اختاره ابن جرير لظاهر السياق.

فإنه ليس يلزم من سماع كلام الله أن يكون منه كما سمعه الكلیم موسى بن عمران عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾، أي: مبلغا إليه؛ ولهذا قال قتادة في قوله: ﴿

(1) «جامع البيان» (2/ 248، 249).

(2) «تفسير ابن كثير» (1/ 307، 308).

ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٢١٤﴾ قال: هم اليهود كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ووعوه.

وقال مجاهد: الذين يحرفونه والذين يكتمونونه هم العلماء منهم.

وقال أبو العالية: عمدوا إلى ما أنزل الله في كتابهم، من نعت محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحرفوه عن مواضعه.

وقال السدي: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي أنهم أذنبوا. وقال ابن وهب: قال ابن زيد في قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ قال: التوراة التي أنزلها الله عليهم يحرفونها يجعلون الحلال فيها حراما، والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا والباطل فيها حقا؛ إذا جاءهم المحقق برشوة أخرجوا له كتاب الله، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب، فهو فيه محقق، وإن جاءهم أحد يسألهم شيئا ليس فيه حق، ولا رشوة، ولا شيء، أمروه بالحق.

العناد للحق

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة].

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ

(1) «تفسير ابن كثير» (1/ 326).

وقال قتادة: ﴿وَكَاوُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قال: وكانوا يقولون: إنه سيأتي نبي، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾.

وقال مجاهد: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ قال: هم اليهود.

الطريق من سبيل الله

قال الله تعالى: ﴿فِظْلِمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء].

■ قال الطبري رحمه الله⁽¹⁾:

«وقوله: ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾، يعني: وبصدهم عباد الله عن دينه وسبله التي شرعها لعباده، صدا كثيرا. وكان صدهم عن سبيل الله: بقولهم على الله الباطل، وادعائهم أن ذلك عن الله، وتبديلهم كتاب الله، وتحريف معانيه عن وجوهه. وكان من عظيم ذلك: جحودهم نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وتركهم بيان ما قد علموا من أمره لمن جهل أمره من الناس».

■ قال ابن كثير رحمه الله⁽²⁾:

«أي: صدوا الناس وصدوا أنفسهم عن اتباع الحق. وهذه سجية لهم

(1) «جامع البيان» (9/ 391).

(2) «تفسير ابن كثير» (2/ 467).

متصفون بها من قديم الدهر وحديثه؛ ولهذا كانوا أعداء الرسل، وقتلوا خلقا من الأنبياء، وكذبوا عيسى ومحمدا، صلوات الله وسلامه عليهما.

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنِّ ءَٰمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَآءُ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران].

■ قال الطبري رحمه الله⁽¹⁾:

«قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: يا معشر يهود بني إسرائيل وغيرهم ممن يتحلل التصديق بكتب الله.

﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يقول: لم تضلون عن طريق الله ومحجته التي شرعها لأنبيائه وأوليائه وأهل الإيمان.

﴿مَنِّ ءَٰمَنَ﴾، يقول: من صدق بالله ورسوله وما جاء به من عند الله.

﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يعني: تبغون لها عوجا.

■ قال الشوكاني⁽²⁾:

«﴿لِمَ تَصُدُّونَ﴾ يفيد ما أفاده الاستفهام الأول.

وقرأ الحسن: ﴿تَصُدُّونَ﴾ من أصد وهما لغتان: مثل صد اللحم وأصد: إذا تغير وأنتن.

(1) «جامع البيان» (53/6).

(2) «فتح القدير» (1/420).

و﴿سَبِيلَ اللَّهِ﴾ دينه الذي ارتضاه لعباده وهو دين الإسلام.

و«العوج»: الميل والزنيغ، يقال: عوج بالكسر إذا كان في الدين والقول والعمل؛ وبالفتح في الأجسام كالجدار ونحوه، روي ذلك عن أبي عبيدة وغيره.

ومحل قوله: ﴿تَبْعُونَهَا عِوَجًا﴾ النصب على الحال، والمعنى: تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة، بإبهاكم على الناس بأنها كذلك، تثقيفا لتحريفكم، وتقويما لدعاويكم الباطلة».

اتِّخَاذُ السَّبِيلِ لِهَوَا وَلَعِبَا

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مَّوْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [المائدة].

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«هذا تنفير من موالاتة أعداء الإسلام وأهله، من الكتابيين والمشركين، الذين يتخذون أفضل ما يعمله العاملون، وهي شرائع الإسلام المطهرة المحكمة المشتملة على كل خير دنيوي وأخروي.

يتخذونها ﴿هُزُوءًا﴾ يستهزئون بها، ﴿وَلَعِبًا﴾، يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد وفكرهم البارد».

■ قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

(1) «تفسير ابن كثير» (3/ 140).

«وكان اتخاذ هؤلاء اليهود الذين أخبر الله عنهم المؤمنين أنهم اتخذوا دينهم هزوا ولعبا بالدين على ما وصفهم به ربنا تعالى ذكره، أن أحدهم كان يظهر للمؤمنين الإيمان وهو على كفره مقيم ثم يراجع الكفر بعد يسير من المدة بإظهار ذلك بلسانه قولاً بعد أن كان يبدي بلسانه الإيمان قولاً وهو للكفر مستبطن تلعبا بالدين واستهزاء به، كما أخبر تعالى ذكره عن فعل بعضهم ذلك بقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ﴾ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ [البقرة]».

■ وقال الشوكاني⁽²⁾:

«هذا النهي عن موالاته المتخذين للدين هزوا ولعباً، يعم كل من حصل منه ذلك من المشركين وأهل الكتاب وأهل البدع المتممين إلى الإسلام، والبيان بقوله: ﴿مَنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ إلى آخره لا ينافي دخول غيرهم تحت النهي إذا وجدت فيه العلة المذكورة التي هي الباعثة على النهي».

قلت: وهذا يدل أنهم اتخذوا الدين لعباً واستهزاءوا ببعض الشريعة، فكلها من صفاتهم، وكل من وقع في الاستهزاء بالدين أو اتخاذه لعباً ولهواً، فهو متبع لسننهم متشبه بهم.

=

(1) «جامع البيان» (10/ 429).

(2) «فتح القدير» (2/ 62).

معاداة أهل الحق

قال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٨٢) [المائدة].

■ قال الطبري رحمه الله⁽¹⁾:

«قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ يا محمد ﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ﴾ صدقوك واتبعوك وصدقوا بما جئتهم به من أهل الإسلام ﴿الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ يعني: عبدة الأوثان الذين اتخذوا الأوثان آلهة يعبدونها من دون الله.

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يقول: ولتجدن أقرب الناس مودة ومحبة».

■ قال ابن كثير رحمه الله⁽²⁾:

«قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، يبين بذلك تعالى شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين الذين حذر الله تعالى من مشابعتهم للمؤمنين، ليقطع المودة بينهم وبينهم.

(1) «جامع البيان» (10/ 498).

(2) «تفسير ابن كثير» (1/ 375).

ونبه تعالى على ما أنعم به على المؤمنين من الشرع التام الكامل الذي شرعه
لنبيهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن
يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (١٠٥).

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ (١):

«فقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾^ط
، ما ذاك إلا لأن كفر اليهود كفر عناد وجحود ومباهة للحق، وغمط للناس،
وتنقص بحملة العلم. ولهذا قتلوا كثيرا من الأنبياء حتى هموا بقتل رسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير مرة وسموه وسحروه، وألبوا عليه أشباههم من المشركين
عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة.

وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه عند تفسير هذه الآية: عن أبي هريرة قال:
قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما خلا يهودي قط بمسلم إلا هم بقتله».

قلت: تجد الرافضة أشد عداوة لأهل الحق من غيرهم، وهكذا أهل البدع
وكل من ابتعد عن الحق استوحش من أهله وعادى الحق وأهله ومن جهل شيئا
عاداه.

بل ولا ترى من يعادي أهل الحق إلا وهو متشبه بأهل الكتاب في كثير من
حاله وقاله، لا في قليل.

بل قال قتبية بن سعيد البغلاني: «علامة أهل البدع الطعن في أهل الأثر».

أكل أموال الناس بالباطل

قال الله تعالى: ﴿وَآخِذْهُمْ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء: ١٦١).

■ قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«وقوله: ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ يعني ما كانوا يأخذون من الرشى على الحكم، كما وصفهم الله به في قوله: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثَمِ وَالْعُدُونِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لِيَتَّسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 62].

وكان من أكلهم أموال الناس بالباطل، ما كانوا يأخذون من أثمان الكتب التي كانوا يكتبونها بأيديهم، ثم يقولون: ﴿هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 79] وما أشبه ذلك من المآكل الخسيسة الخبيثة، فعاقبهم الله على جميع ذلك بتحريمه ما حرم عليهم من الطيبات التي كانت لهم حلالاً قبل ذلك.

وإنما وصفهم الله بأنهم أكلوا ما أكلوا من أموال الناس كذلك بالباطل، لأنهم أكلوه بغير استحقاق، وأخذوا أموالهم منهم بغير استيجاب.

وقوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، يعني: وجعلنا للكافرين بالله ورسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هؤلاء اليهود العذاب الأليم - وهو الموضع - من عذاب جهنم عنده يصلونها في الآخرة إذا وردوا على ربهم فيعاقبهم بها»

(1) «جامع البيان» (9/ 392).

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة].

■ قال الطبري رحمه الله⁽¹⁾:

«قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ﴾ صدقوا الله ورسوله وأقروا بوحدانية ربهم، ﴿إِنَّ كَثِيرًا﴾ من العلماء والقراء من بين إسرائيل من اليهود والنصارى، ﴿لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ يقول: يأخذون الرشى في أحكامهم ويحرفون كتاب الله ويكتبون بأيديهم.

ثم يقولون: ﴿هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ويأخذون بها ثمنًا قليلًا من سفلتهم.

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: ويمنعون من أراد الدخول في الإسلام الدخول فيه بنهيهم إياهم عنه».

■ قال ابن كثير⁽²⁾:

(1) «جامع البيان» (14/ 216).

(2) «تفسير ابن كثير» (4/ 138).

«قال السدي: الأخبار من اليهود والرهبان من النصارى، وهو كما قال فإن
الأخبار هم علماء اليهود، كما قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمْ
الْأَثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ [المائدة: 63].

والرهبان عباد النصارى والقسيسون علماءهم، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ
مِنْهُمْ قَسِيسِينَ وَرُهَبَانًا﴾ [المائدة: 82].

والمقصود: التحذير من علماء السوء وعباد الضلال، كما قال سفيان بن
عيينة: من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا كان فيه
شبه من النصارى.

وفي الحديث الصحيح: «التركن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة». قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟» وفي رواية: فارس والروم؟ قال: «فمن
الناس إلا هؤلاء؟».

قال أبو اليمان: هذا اللفظ ليس في الصحيح، إنما هو في الصحيح بلفظ:
«شبراً بشبر وذراعاً بذراع».

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ:

«والحاصل التحذير من التشبه بهم في أقوالهم وأحوالهم ولهذا قال تعالى:
﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِمْ وَلِيَذَرُوا فِيهَا يَكْتُمُونَ﴾ [التوبة: 34]، وذلك
أنهم يأكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم في الناس، يأكلون أموالهم
بذلك، كما كان لأخبار اليهود على أهل الجاهلية شرف، ولهم عندهم خرج

وهذا يا وضرائب تجيء إليهم، فلما بعث الله رسوله، صلوات الله وسلامه عليه استمروا على ضلالهم وكفرهم وعنادهم، طمعا منهم أن تبقى لهم تلك الرياسات، فأطفأها الله بنور النبوة، وسلبهم إياها، وعوضهم بالذلة والمسكنة، وباءوا بغضب من الله.

وقوله تعالى: ﴿وَيَصْدُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: وهم مع أكلهم الحرام يصدون الناس عن اتباع الحق، ويلبسون الحق بالباطل، ويظهرون لمن اتبعهم من الجهلة أنهم يدعون إلى الخير، وليسوا كما يزعمون، بل هم دعاة إلى النار، ويوم القيامة لا ينصرون.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: 34]، هؤلاء هم القسم الثالث من رءوس الناس، فإن الناس عالة على العلماء، وعلى العباد، وعلى أرباب الأموال، فإذا فسدت أحوال هؤلاء فسدت أحوال الناس، كما قال بعضهم:

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها؟ اهـ.

قلت: وقد وقع ما أخبر به رسول الله من اتباع سننهم وطرقهم، فترى كثيرا من علماء السوء والهوى وعباد الجهالة من يتسولون ويأخذون من الناس أموالهم باسم الدين والصدقة والتبرعات، ويأكلونها بالباطل وهي حق اليتامى أو المساكين.

فاتقوا الله يا أصحاب الحزبيات والجمعيات، ألا تكتفون بتفريق المسلمين

والبدع التي أحدثتموها في الدين.

فكم يأكلون من أموال اليتامى والفقراء والمساكين والمساجد والمباني

الخيرية بحجة: ﴿وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ [التوبة: 60].

وكذلك الرافضة والصوفية، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويأخذون ما يأتي به الناس للقبور والأضرحة، والله المستعان.

وكذلك الذين يقرأون على الممسوسين والمسحورين والمعانين، ويأكلون أموالهم الباهضة بالباطل.

البيان

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عمران].

■ قال ابن كثير⁽¹⁾:

«يخبر تعالى عن اليهود بأن منهم الخونة ويحذر المؤمنين من الاغترار بهم فإن منهم ﴿مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِقِنطَارٍ﴾ أي من المال، ﴿يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ أي وما دونه بطريق الأولى أن يؤديه إليه.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ أي بالمطالبة

(1) «تفسير ابن كثير» (2/ 60).

والملازمة والإلحاح فى استخلاص حقك، وإذا كان هذا صنيعه فى الدينار فما فوقه أولى أن لا يؤديه إليه».

▪ قال الطبري⁽¹⁾:

«قال أبو جعفر: وهذا خبر من الله عزَّجَلَّ: أن من أهل الكتاب - وهم اليهود من بني إسرائيل - أهل أمانة يؤدونها ولا يخونونها ومنهم الخائن أمانته الفاجر فى يمينه المستحل».

الستباب الدنيا والهلوا فى الأرض

قال الله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُكُمْ ۚ﴾ (٤٠) ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَنْقُوزُ﴾ (٤١) [البقرة].

▪ وروى الطبري رَحْمَةُ اللهِ⁽²⁾:

«عن أبي العالفة: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يقول: لا تأخذوا عليه أجرا قال: وهو مكتوب عندهم فى الكتاب الأول: يا ابن آدم علم مجاننا كما علمت مجاننا.

وروى عن السدي: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يقول: لا تأخذوا طمعا قليلا وتكتموا اسم الله، وذلك الثمن هو الطمع.

فتأويل الآية إذا: لا تبعوا ما آتيتكم من العلم بكتابي وآياته بثمان خسيس

(1) «جامع البيان» (1/ 565، 566).

(2) «جامع البيان» (1/ 289).

وعرض من الدنيا قليل. ويبيعهم إياه - تركهم إبانة ما في كتابهم من أمر محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للناس، وأنه مكتوب فيه أنه النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل - بثمان قليل، وهو رضاهم بالرياسة على أتباعهم من أهل ملتهم ودينهم، وأخذهم الأجر ممن بينوا له ذلك على ما بينوا له منه.

وإنما قلنا بمعنى ذلك: «لا تبيعوا»، لأن مشتري الثمن القليل بآيات الله بائع الآيات بالثمن، فكل واحد من الثمن والمثمن مبيع لصاحبه، وصاحبه به مشتري: وإنما معنى ذلك على ما تأوله أبو العالية، بينوا للناس أمر محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا تبتغوا عليه منهم أجرا. فيكون حينئذ نهيه عن أخذ الأجر على تبينه، هو النهي عن شراء الثمن القليل بآياته».

قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُتُبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٧٩) [البقرة].

■ قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«قال أبو جعفر: يعني بذلك الذين حرفوا كتاب الله من يهود بني إسرائيل، وكتبوا كتابا على ما تأولوه من تأويلاتهم، مخالفا لما أنزل الله على نبيه موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم باعوه من قوم لا علم لهم بها، ولا بما في التوراة، جهال بما في كتب الله - لطلب عرض من الدنيا خسيس، فقال الله لهم: ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا

(1) «جامع البيان» (2/ 270).

كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿١٧٤﴾».

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ [البقرة].

▪ قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾».

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ﴾ أخبار اليهود الذين كتموا الناس أمر محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونبوته، وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة برشى كانوا أعطوها على ذلك.

وروى عن قتادة قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ﴾ الآية كلها هم أهل الكتاب، كتموا ما أنزل الله عليهم وبين لهم من الحق والهدى، من بعث محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمره. وسنده صحيح.

وروى عن الربيع في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ قال: هم أهل الكتاب، كتموا ما أنزل الله علمهم من الحق والإسلام وشأن محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(1) «جامع البيان» (3/ 327، 328).

وروى عن السدي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾، فهو لاء اليهود كتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال الله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١٦٨) فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله، يأخذوه ألا يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين ينقون أفلا تعقلون ﴿١٦٩﴾ [الأعراف].

قال ابن كثير رحمه الله⁽¹⁾:

«ثم قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ، يَأْخُذُوهُ﴾، يقول تعالى: فخلف من بعد ذلك الجيل الذين فيهم الصالح والطالح، خلف آخر لا خير فيهم، وقد ورثوا دراسة هذا الكتاب وهو التوراة - وقال مجاهد: هم النصارى - وقد يكون أعم من ذلك، ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾، أي: يعتاضون عن بذل الحق ونشره بعرض الحياة الدنيا، ويسرفون أنفسهم ويعدونها بالتوبة، وكلما لاح لهم مثل الأول وقعوا فيه؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ، يَأْخُذُوهُ﴾، كما قال سعيد بن جبير: يعملون الذنب، ثم يستغفرون الله منه، فإن عرض ذلك الذنب أخذوه.

وقول مجاهد في قوله: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾، قال: لا يشرف لهم شيء

(1) «تفسير ابن كثير» (3/ 498).

من الدنيا إلا أخذه، حلالا كان أو حراما».

وجوب العلماء المظليين واتباعهم بلا حجة

وقال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْكَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ

وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ [التوبة: 31] الآية.

وفسره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بأنهم أحلوا الحرام فأطاعوهم، وحرّموا عليهم الحلال فاتبعوهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«وكثير من أتباع المتعبدة يطيع بعض المعظمين عنده في كل ما يأمره به وإن تضمن تحليل حرام أو تحريم حلال».

■ قال المناوي⁽²⁾:

«قال ابن تيمية: وقد دخل في هذه الأمة أيضا من الآثار الرومية قولاً وعملاً والآثار الفارسية قولاً وعملاً ما لا خفاء به على من من عليهم بدين الإسلام وما حدث فيه وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في هذه الآية أنه قال: ما أشبه الليلة بالبارحة، هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم؟».

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: «أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سمتما وهديا تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة غير أنني لا أدري أتعبدون العجل أم

(1) «اقتضاء الصراط المستقيم» (90/1).

(2) «فيض القدير» (295/5).

لا؟».

وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «المنافقون الذين منكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قلنا: وكيف؟ قال: أولئك كانوا يخفون نفاقهم وهؤلاء أعلنوه.

قلت: ومقصود الحديث التحذير من العمل بالرأي بالقول المجرد الذي لا يستند إلى أصل من الدين وعلى ذلك درج أكابر الصحابة فمن بعدهم».

السكوت عن المنكر

قال تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٦٢﴾ لَوْلَا نِيَّتُهُمُ الرَّبَّنِيَّةُ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ١٦٣﴾ [المائدة].

■ قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبهه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَتَرَى﴾ يا محمد، ﴿كَثِيرًا﴾ من هؤلاء اليهود الذين قصصت عليك نبأهم من بني إسرائيل ﴿يُسْرِعُونَ فِي الْأَثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ يقول: يعجلون بمواقعة الإثم».

■ قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

(1) «جامع البيان» (10/ 446).

(2) «جامع البيان» (10/ 448: 450).

«قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: هلا ينهى هؤلاء الذين يسارعون في الإثم والعدوان وأكل الرشى في الحكم من اليهود من بني إسرائيل ربانيوهم - وهم أئمتهم المؤمنون وساستهم العلماء بسياستهم - وأخبارهم وهم علماءهم وقوادهم، ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾ يعني: عن قول الكذب والزور، وذلك أنهم كانوا يحكمون فيهم بغير حكم الله، ويكتبون كتباً بأيديهم ثم يقولون: «هذا من حكم الله وهذا من كتبه»، يقول الله: ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: 79].

وأما قوله: ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾، فإنه يعني به الرشوة التي كانوا يأخذونها على حكمهم بغير كتاب الله لمن حكموا له به.

وقد بينا معنى «الربانيين» و«الأخبار»، ومعنى ﴿السُّحْتَ﴾ بشواهد ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (٦٣) وهذا قسم من الله أقسم به يقول تعالى ذكره: أقسم: لبس الصنيع كان يصنع هؤلاء الربانيون والأخبار في تركهم نهى الذين يسارعون منهم في الإثم والعدوان وأكل السحت عما كانوا يفعلون من ذلك. وكان العلماء يقولون: ما في القرآن آية أشد توبيخاً للعلماء من هذه الآية ولا أخوف عليهم منها.

وروى عن الضحاك بن مزاحم في قوله: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾ قال: ما في القرآن آية أخوف عندي منها: أنا لا نهى.

وروى عن ابن عباس قال: ما في القرآن آية أشد توبيخاً من هذه الآية: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِلَٰهَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ قال: كذا قرأ....

وروى عن الضحاك: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِلَٰهَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ قال: ﴿الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ فقهاؤهم وقراءهم وعلمائهم قال: ثم يقول الضحاك: وما أخوفني من هذه الآية.

وروى عن ابن عباس قوله: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِلَٰهَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ يعني: الربانيين أنهم: لبئس ما كانوا يصنعون».

قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة].

■ قال أبو جعفر الطبري⁽¹⁾:

«يقول تعالى ذكره: كان هؤلاء اليهود الذين لعنهم الله ﴿لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾، يقول: لا يمتنعون عن منكر فعلوه ولا ينهى بعضهم بعضاً، ويعني بـ «المنكر» المعاصي التي كانوا يعصون الله بها.

(1) «جامع البيان» (10/ 496).

فتأويل الكلام: كانوا لا ينتهون عن منكر أتوه ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ وهذا قسم من الله تعالى ذكره يقول: أقسم: لبئس الفعل كانوا يفعلون في تركهم الانتهاء عن معاصي الله تعالى ذكره وركوب محارمه وقتل أنبياء الله ورسله.

وروى عن ابن جريج: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾، لا تتناهى أنفسهم بعد أن وقعوا في الكفر».

■ وقال ابن كثير⁽¹⁾:

«يخبر تعالى أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل، فيما أنزله على داود نبيه رَحْمَةُ اللَّهِ، وعلى لسان عيسى ابن مريم، بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه.

قال العوفي، عن ابن عباس: لعنوا في التوراة والإنجيل وفي الزبور وفي الفرقان.

ثم بين حالهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم، فقال تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي كان لا ينهى أحد منهم أحدا عن ارتكاب المآثم والمحارم ثم ذمهم على ذلك ليحذر أن يرتكب مثل الذي ارتكبه، فقال: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

وقال الإمام أحمد رَحْمَةُ اللَّهِ: حدثنا يزيد حدثنا شريك بن عبد الله عن علي

(1) «تفسير ابن كثير» (3/ 160: 163).

بن بذيمة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماءهم فلم ينتهوا، فجالسهم في مجالسهم»، قال يزيد: وأحسبه قال: «وأسواقهم وواكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾»، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متكئا فجلس فقال: «لا والذي نفسي بيده حتى تطروهم على الحق أطرا».

والأحاديث في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جدا ولنذكر منها ما يناسب هذا المقام قد تقدم حديث جابر عند قوله: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: 63]، وسيأتي عند قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: 105]، حديث أبي بكر الصديق وأبي ثعلبة الخشني.

وروى الإمام أحمد: عن حذيفة بن اليمان أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم».

ورواه الترمذي عن علي بن حجر عن إسماعيل بن جعفر به وقال: هذا حديث حسن وقال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا معاوية بن هشام عن هشام بن سعد عن عمرو بن عثمان عن عاصم بن عمر بن عثمان عن عروة عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم».

تفرد به، وعاصم هذا مجهول.

ومروى مسلم. عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»، رواه مسلم.

وروى ابن ماجه: عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام خطيبا فكان فيما قال: «ألا لا يمتنعن رجلا هية الناس أن يقول الحق إذا علمه». قال: فبكى أبو سعيد وقال: قد والله رأينا أشياء فهبنا.

قلت: هو في الصحيح المسند للعلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

«وفي حديث إسرائيل عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر». ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه.

وروى ابن ماجه: عن أبي أمامة: قال: عرض لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجل عند الجمرة الأولى فقال: يا رسول الله أي الجهاد أفضل؟ فسكت عنه، فلما رمى الجمرة الثانية سألته، فسكت عنه، فلما رمى جمرة العقبة ووضع رجله في الغرز ليركب قال: «أين السائل؟»، قال: أنا يا رسول الله. قال: «كلمة حق تقال عند ذي سلطان جائر» تفرد به⁽¹⁾.

قلت: هو في الشواهد.

(1) «تفسير ابن كثير» (3/163).

وروى أيضا: عن أبي سعيد الخدري يقول: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن الله ليسأل العبد يوم القيامة، حتى يقول: ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره؟ فإذا لقن الله عبدا حجته قال: يا رب، رجوتك وفرقت من الناس»⁽¹⁾.

قلت: هو في «الصحيح المسند» للعلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

«وروى الإمام أحمد: عن حذيفة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا ينبغي لمسلم أن يذل نفسه». قيل: وكيف يذل نفسه؟ قال: «يتعرض من البلاء لما لا يطيق».

وكذا رواه الترمذي وابن ماجه جميعا، عن محمد بن بشار، عن عمرو بن عاصم، به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وروى ابن ماجه: عن أنس بن مالك قال: قيل: يا رسول الله، متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: «إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم». قلنا: يا رسول الله، وما ظهر في الأمم قبلنا؟ قال: «الملك في صغاركم، والفاحشة في كباركم، والعلم في رذالككم». قال زيد: تفسير معنى قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والعلم في رذالككم»: إذا كان العلم في الفساق.

تفرد به ابن ماجه، وسيأتي في حديث أبي ثعلبة، عند قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن﴾

(1) «تفسير ابن كثير» (3/164).

ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ ﴿[المائدة: 105] شاهد لهذا، إن شاء الله تعالى وبه الثقة﴾⁽¹⁾، اهـ
كلام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال تعالى: ﴿وَسَأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِّنْهُمْ لَمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُم وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأعراف].

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

«يخبر تعالى عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلى ثلاث فرق: فرقة ارتكبت المحذور، واحتالوا على اصطياد السمك يوم السبت، كما تقدم بيانه في سورة البقرة. وفرقة نهت عن ذلك، وأنكرت واعتزلتهم. وفرقة سكتت فلم تفعل ولم تنه، ولكنها قالت للمنكرة: ﴿لَمْ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف: 164]؟ أي: لم تنهون هؤلاء، وقد علمتم أنهم هلكوا واستحقوا العقوبة من الله؟ فلا فائدة في نهيكهم إياهم.

(1) «تفسير ابن كثير» (3/ 164).

(2) «تفسير ابن كثير» (3/ 494).

قالت لهم المنكرة: ﴿مَعْدَرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾ قرأ بعضهم بالرفع، كأنه على تقديره: هذا معذرة وقرأ آخرون بالنصب، أي: نفعل ذلك ﴿مَعْدَرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾ أي: فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ﴾ يقولون: ولعل بهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه، ويرجعون إلى الله تائبين، فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي: فلما أبى الفاعلون المنكر قبول النصيحة، ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: ارتكبوا المعصية ﴿عَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ فنص على نجاة الناهين وهلاك الظالمين، وسكت عن الساكتين؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فهم لا يستحقون مدحا فيمدحوا، ولا ارتكبوا عظيما فيذموا، ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم: هل كانوا من الهالكين أو من الناجين؟ على قولين: قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا أَلَلَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، قال: هي قرية على شاطئ البحر بين مصر والمدينة، يقال لها: «أيلة»، فحرم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم، وكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعا في ساحل البحر، فإذا مضى يوم السبت لم يقدرُوا عليها. فمضى على ذلك ما شاء الله، ثم إن طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم، فنهتهم طائفة، وقالوا: تأخذونها وقد حرمها الله عليكم يوم سبتكم؟ فلم يزدادوا إلا غيا وعتوا، وجعلت طائفة أخرى تنهاهم، فلما طال ذلك عليهم قالت طائفة من النهاة: تعلمون أن هؤلاء قوم قد حق عليهم العذاب، ﴿لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا أَلَلَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، وكانوا

أشد غضبا لله من الطائفة الأخرى؟ فقالوا: ﴿مَعْدَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ﴾⁽¹⁾ وكل قد كانوا ينهون، فلما وقع عليهم غضب الله نجت الطائفتان اللتان قالوا: ﴿لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾⁽²⁾ والذين قالوا: ﴿مَعْدَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾⁽³⁾ وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان، فجعلهم قردة».

■ قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: فلما تركت الطائفة التي اعتدت في السب ما أمرها الله به من ترك الاعتداء فيه، وضيعت ما وعظتها الطائفة الواعظة وذكرتها به من تحذيرها عقوبة الله على معصيتها، فتقدمت على استحلال ما حرم الله عليها، أنجى الله الذين ينهون منهم عن ﴿السُّوءِ﴾⁽²⁾، يعني عن معصية الله واستحلال حرمه.

﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾⁽³⁾ يقول: وأخذ الله الذين اعتدوا في السب فاستحلوا فيه ما حرم الله من صيد السمك وأكله، فأحل بهم بأسه، وأهلكهم بعذاب شديد بئس بما كانوا يخالفون أمر الله فيخرجون من طاعته إلى معصيته وذلك هو «الفسق».

الإفتتان بالفتن

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ آلِمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنْقِذَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ

(1) «جامع البيان» (13/ 199).

أَلَا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا
 كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ
 نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا
 وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ
 بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾
 وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن
 رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آدَمُ وَنُوحٌ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ
 مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ
 غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا
 لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلْكُوا اللَّهَ كَم
 مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَهُ كَثِيرَةٌ يَّا ذَنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴿[البقرة: 249]﴾

فهذه الآية بينت أنه مر على هؤلاء القوم من اليهود عدة بلايا وفتن، فلم يصبر
 ويثبت على الحق في تلك البلايا والمحن إلا قليل منهم:

1- فالأولى: لما طلبوا القتال، ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا
 مِّنْهُمْ﴾ ﴿[البقرة: 246]﴾.

2- الثانية: لما بعث الله لمن بقي طالوت مالكا، ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ
 الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾ ﴿[البقرة: 247]﴾.

3- الثالثة: لمن بقى ممن امتحنوا بالنهر واختبروا، ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا

مِنْهُمْ﴾ [البقرة: 249].

4- الرابعة: لما قدموا على قتال جالوت ولم يصبحوا إلا قلة، ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 249]...

وهكذا الفتن - رعاك الله - تأخذ من الناس من كان ضعيف الإيمان، أو كثير الطمع قليل الصبر عن الشهوات، أو مغترا بالكثرة، أو صاحب غرور وإعجاب.

وهذه من أصول أمراض النفوس والقلوب نعوذ بالله من الفتن.

فتأتي الفتنة بعد الفتنة، كل ذلك ليميز الله الخبيث من الطيب، وليصفى الصف، وليخرج الخبيث، وأهله، والله المستعان.

عصير الصبر عند القتال

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَسْرَيْنَا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَّهُمْ
أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنْقِذَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَهُ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ
أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا
كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ [البقرة].

■ قال الطبري رحمه الله⁽¹⁾:

«وأما قوله: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ يقول: فلما
فرض عليهم قتال عدوهم والجهاد في سبيله، ﴿تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ يقول:
أدبروا مولين عن القتال، وضعوا ما سألوه نبيهم من فرض الجهاد، والقليل
الذين استثناهم الله منهم هم الذين عبروا النهر مع طالوت،...

يقول الله تعالى ذكره: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾، يعني: والله ذو علم بمن
ظلم منهم نفسه فأخلف الله ما وعده من نفسه، وخالف أمر ربه فيما سألته ابتداء
أن يوجهه عليه، وهذا من الله تعالى ذكره تقريع لليهود الذين كانوا بين ظهرائي
مهاجر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تكذيبهم نبينا محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
ومخالفتهم أمر ربهم.

يقول الله تعالى ذكره لهم: إنكم يا معشر اليهود عصيتم الله وخالفتم أمره
فيما سألتموه أن يفرضه عليكم ابتداء من غير أن يبتدئكم ربكم بفرض ما

(1) «جامع البيان» (5/ 305، 306).

عصيتموه فيه، فأنتم بمعصيته - فيما ابتدأكم به من إلزام فرضه - أخرى، وفي هذا الكلام متروك قد استغني بذكر ما ذكر عما ترك منه.

وذلك أن معنى الكلام: ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا﴾، فسأل نبيهم ربهم أن يبعث لهم ملكا يقاتلون معه في سبيل الله، فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال، ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٢٤٦).

الأخلاق بجانب من السيئ وترك البعض

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنفُسُكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ دِيَارَهُمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِآلَائِنَا وَالْعُدُودِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ٨٥).

■ قال ابن كثير (1):

«ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: بسبب مخالفتهم شرع الله وأمره، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ جزاء على ما كتموه من كتاب الله الذي بأيديهم ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٨٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ»، أي: استحبوها على الآخرة

واختاروها ﴿فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾، أي: لا يفتّر عنهم ساعة واحدة».

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۖ ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۖ ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء].

■ وقال ابن كثير⁽¹⁾:

«يتوعد تَبَارَكَ وَتَعَالَى الكافرين به وبرسله من اليهود والنصارى، حيث فرقوا بين الله ورسله في الإيمان، فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض، بمجرد التشهي والعادة، وما ألفوا عليه آباءهم، لا عن دليل قادم إلى ذلك، فإنه لا سبيل لهم إلى ذلك بل بمجرد الهوى والعصية. فاليهود -عليهم لعائن الله- آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والسامرة لا يؤمنون بنبي بعد يوشع خليفة موسى بن عمران، والمجوس يقال: إنهم كانوا يؤمنون بنبي لهم يقال له زرادشت، ثم كفروا بشرعه، فرفع من بين أظهرهم، والله أعلم.

والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء، فقد كفر بسائر الأنبياء، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، فمن رد نبوته للحسد أو العصية أو

(1) «تفسير ابن كثير» (2/ 445).

التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيماناً شرعياً، إنما هو عن غرض وهوى وعصية؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ فوسمهم بأنهم كفار بالله ورسله، ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ أي: في الإيمان، ﴿وَيَقُولُونَ نُوْمُنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١٥٠) أي: طريقاً ومسلماً.

ثم أخبر تعالى عنهم، فقال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ أي: كفرهم محقق لا محالة بمن ادعوا الإيمان به؛ لأنه ليس شرعياً، إذ لو كانوا مؤمنين به لكونه رسول الله لآمنوا بنظيره، وبمن هو أوضح دليلاً وأقوى برهاناً منه، لو نظروا حق النظر في نبوته.

قلت: وكل من جعل الدين على حسب حاجته، ورأيه يأخذ منه ما يشاء، ويترك ما شاء، يختلط بالنساء، ويأكل الربا، ويصور التصاوير، و... و...

ويسمى هذا الفعل وسطيةً أو انفتاحاً فقد شابه اليهود والنصارى، الذين قالوا: ﴿نُوْمُنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 150]، فقال الله فيهم: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا

[النساء: 151] - والعياذ بالله - .

الفرح بالمصائب على المؤمنين

قال ربنا تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ

لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ [المائدة].

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«وقوله: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ أي: كلما عقدوا أسبابا يكيدونك بها، وكلما أبرموا أمورا يحاربونك بها يبطلها الله ويرد كيدهم عليهم، ويحقيق مكرهم السيئ بهم.

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: من سجيتهم أنهم دائما يسعون في الإفساد في الأرض، والله لا يحب من هذه صفته».

الإنية للمؤمنين

قال ربنا تعالى: ﴿مَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ

عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: 105].

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

«يبين بذلك تعالى شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين، الذين حذر تعالى من مشابهتهم للمؤمنين؛ ليقطع المودة بينهم وبينهم. وينبه تعالى على ما أنعم به على المؤمنين من الشرع التام الكامل، الذي شرعه لنبیهم محمد

(1) «تفسير ابن كثير» (3/ 147).

(2) «تفسير ابن كثير» (1/ 375).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتِصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (١٠٥).

وقال الله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتِلُوكُمْ يُولُوكُمْ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ (آل عمران).

■ قال ابن كثير⁽¹⁾:

«ثم قال تعالى مخبرا عباده المؤمنين ومبشرا لهم أن النصر والظفر لهم على أهل الكتاب الكفرة الملحدين، فقال: ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتِلُوكُمْ يُولُوكُمْ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ (١٣١) وهكذا وقع، فإنهم يوم خيبر أذلهم الله وأرغم أنافهم، وكذلك من قبلهم من يهود المدينة بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة كلهم أذلهم الله، وكذلك النصارى بالشام كسرهم الصحابة في غير ما موطن، وسلبوهم ملك الشام أبد الأبدين ودهر الداهرين، ولا تزال عصاة الإسلام قائمة بالشام حتى ينزل عيسى ابن مريم وهم كذلك، ويحكم بملة الإسلام وشرع محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام».

(1) «تفسير ابن كثير» (2/ 103).

الإفتراء على الله ودينه

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران].

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«يخبر تعالى عن اليهود، عليهم لعائن الله، أن منهم فريقا يحرفون الكلم عن مواضعه ويبدلون كلام الله، ويزيلونه عن المراد به، ليوهموا الجهالة أنه في كتاب الله كذلك، وينسبونه إلى الله، وهو كذب على الله، وهم يعلمون من أنفسهم أنهم قد كذبوا وافتروا في ذلك كله؛ ولهذا قال: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾».

وقال مجاهد، والشعبي، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس: ﴿يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ يحرفونه.

وهكذا روى البخاري عن ابن عباس: أنهم يحرفون ويزيدون وليس أحد من خلق الله يزيل لفظ كتاب من كتب الله، لكنهم يحرفونه: يتأولونه على غير تأويله.

وقال وهب بن منبه: إن التوراة والإنجيل كما أنزلهما الله لم يغير منهما حرف، ولكنهم يضلون بالتحريف والتأويل، وكتب كانوا يكتبونها من عند

(1) «تفسير ابن كثير» (2/ 65).

أنفسهم، ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ فأمّا كتب الله فإنها محفوظة ولا تحول.

رواه ابن أبي حاتم، فإن عنى وهب ما بأيديهم من ذلك، فلا شك أنه قد دخلها التبديل والتحريف والزيادة والنقص، وأمّا تعريب ذلك المشاهد بالعربية ففيه خطأ كبير، وزيادات كثيرة ونقصان، ووهم فاحش. وهو من باب تفسير المعبر المعرب، وفهم كثير منهم بل أكثرهم، بل جميعهم فاسد. وأمّا إن عنى كتب الله التي هي كتبه من عنده، فتلك كما قال محفوظة لم يدخلها شيء.

وقال تعالى: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]

▪ قال الطبري رحمه الله⁽¹⁾:

«حدثنا بشر، قال حدثنا يزيد، قال حدثنا سعيد، عن قتادة: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ

يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ الآية، قال: هم اليهود». وسنده صحيح

▪ وقال الطبري رحمه الله⁽²⁾:

«يعني بقوله: ﴿مَنْهُمْ﴾ من بني إسرائيل، وإنما جعل الله الذين كانوا على عهد موسى ومن بعدهم من بني إسرائيل من اليهود الذين قال الله لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾، لأنهم كانوا آباءهم وأسلافهم، فجعلهم منهم إذ كانوا عشائريهم وفرطهم وأسلافهم، كما يذكر

(1) «جامع البيان» (2/ 244).

(2) «جامع البيان» (2/ 245، 246).

الرجل اليوم الرجل وقد مضى على منهاج الذاكر وطريقته، وكان من قومه وعشيرته فيقول: «كان منا فلان»، يعني أنه كان من أهل طريقته ومذهبه، أو من قومه وعشيرته، فكذا قال: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في الذين عنى الله بقوله: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، فقال بعضهم بما: حدثني به محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، فالذين يحرفونه والذين يكتُمونه هم العلماء منهم. وسنده صحيح.

وروى عن السدي: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ قال: هي التوراة حرفوها.

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾، قال: التوراة التي أنزلها عليهم يحرفونها يجعلون الحلال فيها حراما، والحرام فيها حلالا، والحق فيها باطلا، والباطل فيها حقا، إذا جاءهم المحقق برشوة أخرجوا له كتاب الله، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب، فهو فيه محق، وإن جاء أحد يسألهم شيئا ليس فيه حق

ولا رشوة ولا شيء أمره بالحق، فقال لهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 44].

إضلال الناس

قال تعالى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران: 69].

■ قال الطبري رحمه الله⁽¹⁾:

«قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿وَدَّتْ﴾ تمت ﴿طَائِفَةٌ﴾ يعني جماعة، ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وهم أهل التوراة من اليهود وأهل الإنجيل من النصارى، ﴿لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾ يقول: لو يصدونكم أيها المؤمنون عن الإسلام ويردونكم عنه إلى ما هم عليه من الكفر، فيهلكونكم بذلك.

والإضلال في هذا الموضع الإهلاك، من قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَتَأْتِينَا مَعَهُمْ حَبِيبٌ﴾ [السجدة: 10].

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 109].

■ قال ابن كثير رحمه الله⁽¹⁾:

(1) «جامع البيان» (6/ 500).

«يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طرائق الكفار من أهل الكتاب، ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين، مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم. ويأمر عباده المؤمنين بالصفح والعفو والاحتمال، حتى يأتي أمر الله من النصر والفتح. ويأمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. ويحثهم على ذلك ويرغبهم فيه».

الانتماء إلى الحق وإلى الصالحين بلا عمل كعملهم

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ [آل عمران].

■ قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

«قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ يا أهل التوراة والإنجيل، ﴿لِمَ تُحَاجُّونَ﴾ لم تجادلون، ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ وتخاصمون فيه، يعني: في إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه. وكان حجاجهم فيه: ادعاء كل فريق من أهل هذين الكتابين أنه كان منهم، وأنه كان يدين دين أهل نحلته.

فعابهم الله عَزَّجَلَّ بادعائهم ذلك، ودل على مناقضتهم ودعواهم، فقال: وكيف تدعون أنه كان على ملتكم ودينكم، ودينكم إما يهودية أو نصرانية،

(1) «تفسير ابن كثير» (1/ 382).

(2) «جامع البيان» (6/ 490).

واليهودي منكم يزعم أن دينه إقامة التوراة والعمل بما فيها، والنصراني منكم يزعم أن دينه إقامة الإنجيل وما فيه، وهذان كتابان لم ينزلا إلا بعد حين من مهلك إبراهيم ووفاته؟ فكيف يكون منكم؟ فما وجه اختصاصكم فيه، وادعائكم أنه منكم، والأمر فيه على ما قد علمتم؟».

■ قال البغوي⁽¹⁾:

«قوله تعالى: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ ﴿تُزْعَمُونَ أَنَّهُ كَانَ عَلَى دِينِكُمْ، وإنما دينكم اليهودية والنصرانية، وقد حدثت اليهودية بعد نزول التوراة، والنصرانية بعد نزول الإنجيل، وإنما أنزلت التوراة والإنجيل من بعد إبراهيم بزمان طويل، وكان بين إبراهيم وموسى ألف سنة، وبين موسى وعيسى ألف سنة، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿بطلان قولكم؟».

تبديل الدين والاختلاف على الأنبياء

■ قال الإمام البخاري رحمه الله⁽²⁾:

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ».

(1) «معالم التنزيل في تفسير القرآن» (1/ 453).

(2) «صحيح البخاري» (7288).

■ قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا الرَّبِيعُ بْنُ مُسْلِمٍ الْقُرَشِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ»، ثُمَّ قَالَ: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ».

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (١٤٨) [الأعراف].

■ قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ⁽²⁾:

«قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: واتخذ بنو إسرائيل قوم موسى من بعد ما فارقتهم موسى ماضيا إلى ربه لمناجاته ووفاء للوعد الذي كان ربه وعده.

﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا﴾ وهو ولد البقرة، فعبدوه.

ثم بين تعالى ذكره ما ذلك العجل فقال: ﴿جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾، و«الخوار»

(1) «صحيح مسلم» (1337).

(2) «جامع البيان» (117/13).

صوت البقرة، يخبر جل ذكره عنهم أنهم ضلوا بما لا يضل بمثله أهل العقل، وذلك أن الرب جلَّ جلاله الذي له ملك السموات والأرض ومدبر ذلك، لا يجوز أن يكون جسدا له خوار، لا يكلم أحدا ولا يرشد إلى خير.

وقال هؤلاء الذي قص الله قصصهم لذلك: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾ [طه: 88]، فعكفوا عليه يعبدونه جهلا منهم وذهابا عن الله وضلالا.

تبديل الأقوال الملشروعة

قال الله عزَّ وجلَّ ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [البقرة].

■ قال الطبري رحمه الله⁽¹⁾:

«وتأويل قوله: ﴿فَبَدَّلَ﴾، فغير.

ويعني بقوله: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله.

ويعني بقوله: ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾، بدلوا قولا غير الذي أمروا أن يقولوه، فقالوا خلافه. وذلك هو التبديل والتغيير الذي كان منهم.

وكان تبديلهم بالقول الذي أمروا أن يقولوا قولا غيره ما حدثنا به الحسن بن يحيى، قال أخبرنا عبد الرزاق، قال أخبرنا معمر، عن همام بن منبه، أنه سمع أبا

(1) «جامع البيان» (2/ 112).

هريرة يقول: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قال الله لبني إسرائيل: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾، فبدلوا ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم وقالوا: حبة في شعيرة».

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: 58] فَبَدَّلُوا، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ، وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ».

قلت: وكم نجد من المبتدعة من يبدلون الألفاظ المشروعة والأذكار الواردة بما لا دليل عليه، فهذا من أتباع سنن اليهود - عياذا بالله - كمن بدل الأذان المشروع بألفاظ مبتدعة، وهذا كثير عند الصوفية، والرافضة، ومن شابههم من الإخوان المسلمين، وجماعة التبليغ.

(1) «صحيح البخاري» (3403).

الحيل على المنكرات

وقال الله عزَّجَل : ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِّنْهُمْ لَمَ يَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعْزِيهِمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الأعراف].

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«قال ابن جرير: وقوله: ﴿ وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ ﴾ أي: نختبرهم بإظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده، وإخفائه عنهم في اليوم المحلل لهم صيده، ﴿ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ ﴾ نختبرهم ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ يقول: بفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها.

وهؤلاء قوم احتالوا على انتهاك محارم الله، بما تعاطوا من الأسباب الظاهرة التي معناها في الباطن تعاطي الحرام.

وقد قال الفقيه الإمام أبو عبد الله بن بطة، رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا أحمد بن محمد بن مسلم، حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله

(1) «تفسير ابن كثير» (3/493).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَرْتَكِبُوا مَا ارْتَكَبَتِ الْيَهُودُ، فَتَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَ اللَّهِ بِأَدْنَى الْحِيلِ»⁽¹⁾.

وهذا إسناد جيد، فإن أحمد بن محمد بن مسلم هذا ذكره الخطيب في تاريخه ووثقه وباقي رجاله مشهورون ثقات، ويصحح الترمذي بمثل هذا الإسناد كثيراً.

■ وقال ابن القيم⁽²⁾:

«لَا تَرْتَكِبُوا مَا ارْتَكَبَتِ الْيَهُودُ، وَتَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَ اللَّهِ بِأَدْنَى الْحِيلِ».

رواه أبو عبد الله بن بطة: حدثنا أحمد بن محمد بن سلام حدثنا الحسن بن الصباح الزعفراني حدثنا يزيد بن هارون حدثنا محمد بن عمرو، وهذا إسناد جيد يصح مثله الترمذي.

استبدال النعم بغيرها ومعرض الشكر

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَحْلِهَا قِثَابَهَا وَفُومَهَا وَعَدْسَهَا وَبَصِلَهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مَصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ ۖ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ﴿١٦﴾ [البقرة].

(1) «إبطال الحيل لابن بطة» (ص/ 46).

(2) «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» (1/ 348).

■ قال ابن كثير رَحْمَةُ اللَّهِ⁽¹⁾:

«يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في إنزالي عليكم المن والسلوى، طعاما طيبا نافعا هنيئا سهلا واذكروا دبركم وضجركم مما رزقتكم، وسؤالكم موسى استبدال ذلك بالأطعمة الدنية من البقول ونحوها مما سألتهم. وقال الحسن البصري رَحْمَةُ اللَّهِ: فبطروا ذلك ولم يصبروا عليه، وذكروا عيشهم الذي كانوا فيه، وكانوا قوما أهل أعداس وبصل وبقل وفوم، فقالوا: ﴿يَمُوسَى لَن نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلَهَا﴾ [البقرة: 61]، وهم يأكلون المن والسلوى، لأنه لا يتبدل ولا يتغير كل يوم فهو كأكل واحد. فالبقول والقثاء والعدس والبصل كلها معروفة. وأما «الفوم» فقد اختلف السلف في معناه».

كتابة الباطل ونسبته إلى الطريق

وقال تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: 46].

ووصفهم بأنهم: ﴿يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ

مِنَ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: 78].

وقال تعالى: ﴿أَفَنَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ

ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ، مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا قُلُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعُضْهُم إِلَى بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذُوا لَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ، عِنْدَ

(1) «تفسير ابن كثير» (1/ 280).

رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يُظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ [البقرة].

■ قال السعدي⁽¹⁾:

«هذا قطع لأطماع المؤمنين من إيمان أهل الكتاب، أي: فلا تطمعوا في إيمانهم وحالتهم لا تقتضي الطمع فيهم، فإنهم كانوا يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وعلموه، فيضعون له معاني ما أرادها الله، ليوهموا الناس أنها من عند الله، وما هي من عند الله، فإذا كانت هذه حالهم في كتابهم الذي يرونه شرفهم ودينهم يصدون به الناس عن سبيل الله، فكيف يرجى منهم إيمان لكم؟! فهذا من أبعد الأشياء».

تلكيم هوى النفس

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة].

■ قال ابن كثير رحمه الله⁽²⁾:

«ينعت، تبارك وتعالى، بني إسرائيل بالعتو والعناد والمخالفة، والاستكبار على الأنبياء، وأنهم إنما يتبعون أهواءهم، فذكر تعالى أنه أتى موسى الكتاب -وهو التوراة- فحرفوها وبدلوها، وخالفوا أوامرها وأولوها».

(1) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (56/1).

(2) «تفسير ابن كثير» (321/1).

وأرسل الرسل والنبیین من بعده الذين يحكمون بشريعته، كما قال تعالى:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ الآية [المائدة: 44]، ولهذا قال: ﴿ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ﴾ قال السدي، عن أبي مالك: أتبعنا. وقال غيره: أردفنا. والكل قريب، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا ﴾ [المؤمنون: 44]، حتى ختم أنبياء بني إسرائيل بعيسى ابن مريم، فجاء بمخالفة التوراة في بعض الأحكام، ولهذا أعطاه الله من البينات، وهي: المعجزات.

قال ابن عباس: من إحياء الموتى، وخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرا بإذن الله، وإبرائه الأسقام، وإخباره بالغيوب، وتأيدته بروح القدس، وهو جبريل رَحْمَةُ اللَّهِ، ما يدلهم على صدقه فيما جاءهم به. فاشتد تكذيب بني إسرائيل له وحسدهم وعنادهم لمخالفة التوراة في البعض، كما قال تعالى إخبارا عن عيسى: ﴿ وَلَا جُلُودَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ الآية [آل عمران: 50].

فكانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أسوأ المعاملة، ففريقا يكذبونه. وفريقا يقتلونه، وما ذاك إلا لأنهم كانوا يأتونهم بالأمور المخالفة لأهوائهم وآرائهم ويألفونهم بأحكام التوراة التي قد تصرفوا في مخالفتها، ولهذا كان يشق ذلك عليهم، فيكذبونهم، وربما قتلوا بعضهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: 87].

ابعدوا عنهم الفهم للحق

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾

[البقرة].

وقال الله تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بَيَّاتٍ اللَّهُ وَقَلِيلُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء].

■ قال ابن كثير⁽¹⁾:

«وهذه من الذنوب التي ارتكبوها، مما أوجب لعنتهم وطردهم وإبعادهم عن الهدى، وهو نقضهم المواثيق والعهود التي أخذت عليهم، وكفرهم بآيات الله، أي: حججه وبراهينه، والمعجزات التي شاهدوها على أيدي الأنبياء، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

قوله: ﴿وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ وذلك لكثرة إجرامهم واجترائهم على أنبياء الله، فإنهم قتلوا جما غفيرا من الأنبياء بغير حق عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والسدي، وقتادة، وغير واحد: أي في غطاء. وهذا كقول المشركين: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ [فصلت: 5] الآية.

البغي

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ

(1) «تفسير ابن كثير» (2/ 447).

وَالْغَنَمِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٦﴾ [الأنعام].

■ قال ابن جرير الطبري⁽¹⁾:

«حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام]، إنما حرم ذلك عليهم عقوبة ببغيهم. وسنده صحيح.

حدثني يونس، قال أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِغَيْرِهِمْ﴾، فعلنا ذلك بهم ببغيهم.

وقوله: ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ يقول: وإنا لصادقون في خبرنا هذا عن هؤلاء اليهود عما حرّمنا عليهم من الشحوم ولحوم الأنعام والطيور التي ذكرنا أنها حرّمنا عليهم، وفي غير ذلك من أخبارنا وهم الكاذبون في زعمهم أن ذلك إنما حرّمه إسرائيل على نفسه، وأنهم إنما حرّموه لتحريم إسرائيل إياه على نفسه».

التقييد بما عند أصحابهم ورد ما جاء به من ليلس منهم

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ، وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة].

■ قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾، وإذا قيل لليهود من بني إسرائيل الذين كانوا بين ظهрани مهاجر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ءَامِنُوا﴾ أي صدقوا، ﴿بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ يعني بما أنزل الله من القرآن على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿قَالُوا نُوْمِنُ﴾ أي نصدق، ﴿بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا﴾ يعني: بالتوراة التي أنزلها الله على موسى».

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

«وقوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ أي: لا تطمئنوا وتظهروا سركم وما عندكم إلا لمن اتبع دينكم ولا تظهروا ما بأيديكم إلى المسلمين، فيؤمنوا به ويحتجوا به عليكم».

وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيَهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنْ

(1) «جامع البيان» (85 / 13).

(2) «تفسير ابن كثير» (59 / 2).

الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ
لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ
يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ
لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ
وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ [المائدة].

■ قال ابن كثير رحمه الله⁽¹⁾:

«نزلت هذه الآيات الكريمات في المسارعين في الكفر، الخارجين عن طاعة
الله ورسوله، المقدمين آراءهم وأهواءهم على شرائع الله عزَّ وجلَّ ، ﴿مِنَ
الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ ، أي: أظهروا الإيمان بألسنتهم،
وقلوبهم خراب خاوية منه، وهؤلاء هم المنافقون. ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾
أعداء الإسلام وأهله. وهؤلاء كلهم ﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ ، أي:
يستجيبون له، منفعلون عنه، ﴿سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ ، أي:
يستجيبون لأقوام آخرين لا يأتون مجلسك يا محمد. وقيل: المراد أنهم
يتسمعون الكلام، وينهونه إلى أقوام آخرين ممن لا يحضر عندك، من أعدائك
يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ أي: يتأولونه على غير تأويله، ويدلونه من
بعد ما عقلوه وهم يعلمون، ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾

(1) «تفسير ابن كثير» (3/ 113).

قيل: نزلت في أقوام من اليهود، قتلوا قتيلا وقالوا: تعالوا حتى نتحاكم إلى محمد، فإن أفتانا بالدية فخذوا ما قال، وإن حكم بالقصاص فلا تسمعوا منه.

والصحيح أنها نزلت في اليهوديين اللذين زنياً.

الحرص على الدنيا والحياة

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَنَجْذِثَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَةٍ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِّجٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٦].

■ قال الطبري رحمه الله⁽¹⁾:

«قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿وَلَنَجْذِثَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَةٍ﴾، اليهود».

■ قال ابن كثير رحمه الله⁽²⁾:

«﴿وَلَنَجْذِثَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَةٍ﴾ أي على طول العمر، لما يعلمون من مآلهم السيئ وعاقبتهم عند الله الخاسرة، لأن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فهم يودون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم.

وما يحاذرون منه واقع بهم لا محالة حتى وهم أحرص من المشركين الذين لا كتاب لهم، وهذا من باب عطف الخاص على العام».

(1) «جامع البيان» (2/369).

(2) «تفسير ابن كثير» (1/334).

وقال سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَحْقُقُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ

وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ [البقرة].

■ قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه أولئك الذين أخبر عنهم أنهم يؤمنون ببعض الكتاب، فيفادون أسراهم من اليهود، ويكفرون ببعض، فيقتلون من حرم الله عليهم قتله من أهل ملتهم، ويخرجون من داره من حرم الله عليهم إخراجهم من داره، نقضا لعهد الله وميثاقه في التوراة إليهم. فأخبر جل ثناؤه أن هؤلاء هم الذين اشتروا رياسة الحياة الدنيا على الضعفاء وأهل الجهل والغباء من أهل ملتهم، وابتاعوا المآكل الخسيسة الرديئة فيها بالإيمان، الذي كان يكون لهم به في الآخرة - لو كانوا أتوا به مكان الكفر - الخلود في الجنان.

وإنما وصفهم الله جل ثناؤه بأنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، لأنهم رضوا بالدنيا بكفرهم بالله فيها، عوضا من نعيم الآخرة الذي أعده الله للمؤمنين. فجعل حظوظهم من نعيم الآخرة بكفرهم بالله، ثمنا لما ابتاعوه به من خسيس الدنيا، كما: حدثنا بشر، قال حدثنا يزيد، قال حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ استحبوا قليل الدنيا على كثير الآخرة. وسنده صحيح.

قال أبو جعفر: ثم أخبر الله جل ثناؤه أنهم إذ باعوا حظوظهم من نعيم الآخرة

(1) «جامع البيان» (2/317).

- بتركهم طاعته، وإيثارهم الكفر به والخسيس من الدنيا عليه - لا حظ لهم في نعيم الآخرة، وأن الذي لهم في الآخرة العذاب، غير مخفف عنهم فيها العذاب. لأن الذي يخفف عنه فيها من العذاب، هو الذي له حظ في نعيمها، ولا حظ لهؤلاء، لا شرائهم - بالذي كان في الدنيا - دنياهم بأخرتهم».

التعذر بالأسباب التافهة لرد الحق

■ قال النسائي⁽¹⁾:

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوفِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْوَلِيدِ، وَكَانَ يُجَالِسُ الْحَسَنَ بْنَ حَيٍّ عَنْ بُكَيْرِ بْنِ شَهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَقْبَلْتُ يَهُودَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ «نَسْأَلُكَ عَنْ أَشْيَاءَ، فَإِنْ أَجَبْتَنَا فِيهَا اتَّبَعْنَاكَ وَصَدَّقْنَاكَ وَأَمَّا بِكَ» قَالَ: فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ إِسْرَائِيلُ عَلَى بَنِيهِ إِذْ قَالُوا: ﴿اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ ﴿٦٦﴾ [يوسف: 66] قَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنْ عَلَامَةِ النَّبِيِّ قَالَ: «تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ» قَالُوا: وَأَخْبِرْنَا كَيْفَ تُؤْنِثُ الْمَرْأَةُ وَكَيْفَ يُذَكِّرُ الرَّجُلُ؟ قَالَ: «يَلْتَقِي الْمَاءَانِ، فَإِذَا عَلَا مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءُ الرَّجُلِ انْتَثَ، وَإِذَا عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءُ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَتْ» قَالُوا: صَدَقْتَ قَالُوا: فَأَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ مَا هُوَ؟ قَالَ: «مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ» قَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي يُسْمَعُ قَالَ: «زَجْرُهُ بِالسَّحَابِ إِذَا زَجَرَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَيْثُ أُمِرَ» قَالُوا: صَدَقْتَ قَالُوا: أَخْبِرْنَا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ قَالَ: كَانَ يُسْكُنُ الْبَدْوَ فَاشْتَكَى عِرْقَ

(1) «السنن الكبرى للنسائي» (9024).

النَّسَا فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلَاقِيهِ إِلَّا لُحُومَ الْإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا فَلِذَلِكَ حَرَّمَهَا قَالُوا: صَدَقْتَ قَالُوا: أَخْبَرْنَا مَنْ الَّذِي يَأْتِيكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا يَأْتِيهِ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ بِالرَّسَالَةِ وَبِالْوَحْيِ فَمَنْ صَاحِبُكَ؟ فَإِنَّهُ إِنَّمَا بَقِيَتْ هَذِهِ حَتَّى تُتَابِعَكَ قَالَ: «هُوَ جِبْرِيلُ» قَالُوا: ذَلِكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَبِالْقَتْلِ ذَاكَ عَدُوُّنَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَوْ قُلْتَ: مِيكَائِيلُ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْقَطْرِ، وَالرَّحْمَةُ تَابِعُنَاكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: 97] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوُّ الْكَافِرِينَ﴾.

إصغاء ملحة الله

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (١٨) [المائدة].

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«ثم قال تعالى رادا على اليهود والنصارى في كذبهم وافتراءهم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ﴾ أي نحن منتسبون إلى أنبيائه، وهم بنوه، وله بهم عناية، وهو يحبنا.

«أنت ابني بكري». فحملوا هذا على غير تأويله، وحرفوه. وقد رد عليهم غير واحد ممن أسلم من عقلائهم، وقالوا: هذا يطلق عندهم على الشريف

(1) «تفسير ابن كثير» (3/ 69).

والإكرام، كما نقل النصارى عن كتابهم أن عيسى قال لهم: إني ذاهب إلى أبي وأبيكم، يعني: ربي وربكم. ومعلوم أنهم لم يدعوا لأنفسهم من النبوة ما ادعوها في عيسى، رَحِمَهُ اللهُ، وإنما أرادوا بذلك معزتهم لديه وحظوتهم عنده، ولهذا قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه.

قال الله تعالى رادا عليهم: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ أي: لو كنتم كما تدعون أبناءه وأحباؤه، فلم أعد لكم نار جهنم على كفركم وكذبكم وافترائكم؟.

فصل في أهل الحق عند الشهادتين

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ أَدْرُؤْا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٠) يَنْقُومُ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كُتِبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْنُدُوهَا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَمُوسَى إِنَّآ لَنَنْدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَتَّادُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦) [المائدة].

ولذا خالفهم خير الخلق بعد الأنبياء وهم الصحابة الكرام.

▪ فقد قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مُخَارِقِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَحْمَسِيِّ، عَنْ طَارِقٍ، أَنَّ الْمِقْدَادَ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾» [المائدة]، وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ».

إسناده صحيح.

ترك كتب أهل الحق وأخذ كتب الباطل

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَرُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَقًّا يَقُولَانِ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [البقرة].

▪ قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ⁽²⁾:

«يعني بقوله: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيْطَانُ﴾ ، الفريق من أحبار اليهود

(1) «مسند أحمد» (18827).

(2) «جامع البيان» (2/405).

وعلمائها، الذين وصفهم الله جل ثناؤه بأنهم نبذوا كتابه الذي أنزله على موسى، وراء ظهورهم، تجاهلا منهم وكفرا بما هم به عالمون، كأنهم لا يعلمون. فأخبر عنهم أنهم رفضوا كتابه الذي يعلمون أنه منزل من عنده على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونقضوا عهده الذي أخذه عليهم في العمل بما فيه، وآثروا السحر الذي تلتة الشياطين في ملك سليمان بن داود فاتبعوه، وذلك هو الخسار والضلال المبين».

■ وقال القرطبي⁽¹⁾:

«هذا إخبار من الله تعالى عن الطائفة الذين نبذوا الكتاب بأنهم اتبعوا السحر أيضا، وهم اليهود.

وقال السدي: عارضت اليهود محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتوراة فاتفقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وبسحر هاروت وماروت.

وقال محمد بن إسحاق: لما ذكر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سليمان في المرسلين قال بعض أحبارهم: يزعم محمد أن ابن داود كان نبيا! والله ما كان إلا ساحرا، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: 102]، أي أُلقت إلى بني آدم أن ما فعله سليمان من ركوب البحر واستسخر الطير والشياطين كان سحرا».

■ وقال ابن أبي شيبة⁽¹⁾:

(1) «الجامع لأحكام القرآن» (2/ 41، 42).

حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ هِلَالٍ، قَالَ: أَتَى عَبْدُ اللَّهِ بِصَحِيفَةٍ فِيهَا حَدِيثٌ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَمَحَاهَا، ثُمَّ غَسَلَهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَأُحْرِقَتْ، ثُمَّ قَالَ: «أَذْكُرُ بِاللَّهِ رَجُلًا يَعْلَمُهَا عِنْدَ أَحَدٍ إِلَّا أَعْلَمَنِي بِهِ، وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمْتُ أَنَّهَا بِدَارِ الْهِنْدِ لَأَبْتَلَعْتُ إِلَيْهَا، بِهَذَا هَلَكَ أَهْلُ الْكِتَابِ قَبْلَكُمْ حَتَّى نَبْذُوا كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، كَانْتَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

الاستهمال السحر

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوْا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَقِّ يَقُولَا ۖ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ ۚ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بَاذِنَ اللَّهُ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَّرُوا بِهِ ۚ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة].

سبق بيانها.

الحسد لمن أخطاه الله خيراً

قال الله تعالى: ﴿مَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة].

■ قال الطبري⁽¹⁾:

«ومعنى الكلام ما يحب الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم.

وأما ﴿أَنْ﴾ في قوله: ﴿أَنْ يُنْزَلَ﴾ فنصب، بقوله: ﴿يُودُ﴾ وقد دللنا على وجه دخول ﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿مَنْ خَيْرٍ﴾ وما أشبه ذلك من الكلام الذي يكون في أوله جحد، فيما مضى، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

فتأويل الكلام: ما يحب الكافرون من أهل الكتاب ولا المشركين بالله من عبدة الأوثان، أن ينزل عليكم من الخير الذي كان عند الله فنزله عليكم. فتمنى المشركون وكفرة أهل الكتاب أن لا ينزل الله عليهم الفرقان وما أوحاه إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حكمه وآياته، وإنما أحبت اليهود وأتباعهم من المشركين ذلك، حسدا وبغيا منهم على المؤمنين.

وفي هذه الآية دلالة بينة على أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى نهى المؤمنين عن الركون إلى أعدائهم من أهل الكتاب والمشركين، والاستماع من قولهم، وقبول شيء مما يأتونهم به على وجه النصيحة لهم منهم، بإطلاعه جل ثناؤه إياهم على ما يستبطنه لهم أهل الكتاب والمشركون من الضغن والحسد، وإن أظهرها بالستهم خلاف ما هم مستبطنون.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

(1) «جامع البيان» (2/ 471).

، يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾: والله يختص من يشاء بنبوته ورسالته، فيرسله إلى من يشاء من خلقه، فيفضل بالإيمان على من أحب فيهديه له. و«اختصاصه» إياهم بها، أفرادهم بها دون غيرهم من خلقه. وإنما جعل الله رسالته إلى من أرسل إليه من خلقه، وهدايته من هدى من عباده، رحمة منه له ليصيره بها إلى رضاه ومحبه وفوزه بها بالجنة، واستحقاقه بها ثناءه. وكل ذلك رحمة من الله له.

وأما قوله: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. فإنه خبر من الله جل ثناؤه عن أن كل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم، فإنه من عنده ابتداء وتفضلا منه عليهم، من غير استحقاق منهم ذلك عليه.

وفي قوله: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، تعريض من الله تعالى ذكره بأهل الكتاب: أن الذي أتى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به من الهداية، تفضل منه، وأن نعمه لا تدرك بالأمانى، ولكنها مواهب منه يختص بها من يشاء من خلقه.

■ قال ابن كثير رحمه الله⁽¹⁾:

«وقوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، يبين بذلك تعالى شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين، الذين حذر تعالى من مشابعتهم للمؤمنين؛ ليقطع المودة

(1) «تفسير ابن كثير» (1/374).

بينهم وبينهم. وبينه تعالى على ما أنعم به على المؤمنين من الشرع التام الكامل، الذي شرعه لنبیهم محمد ﷺ، حيث يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

وقال الله سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: 109].

■ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«فدم اليهود على ما حسدوا المؤمنين على الهدى والعلم.

وقد يتلى بعض المنتسبين إلى العلم وغيرهم بنوع من الحسد لمن هداه الله لعلم نافع أو عمل صالح، وهو خلق مذموم مطلقاً، وهو في هذا الموضع من أخلاق المغضوب عليهم».

■ قال الإمام ابن ماجه رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا سُهَيْلُ بْنُ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَا حَسَدَتْكُمْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ

(1) «اقتضاء الصراط المستقيم» (83/1).

(2) «سنن ابن ماجه» (856).

وهو حديث صحيح.

المبالغة والغلو في الأكام

قال الله سبحانه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ

الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [البقرة: 113].

■ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

«فأخبر أن كل واحدة من الأمتين تجحد كل ما الأخرى عليه.

وأنت تجد كثيرا من المتفقهة، إذا رأى المتصوفة والمتعبدة لا يراهم شيئا ولا يعدهم إلا جهالا ضلالا، ولا يعتقد في طريقهم من العلم والهدى شيئا، وترى كثيرا من المتصوفة، والمتفكرة لا يرى الشريعة والعلم شيئا، بل يرى أن المتمسك بها منقطعاً عن الله وأنه ليس عند أهلها مما ينفع عند الله شيئا.

وإنما الصواب أن ما جاء به الكتاب والسنة من هذا وهذا حق، وما خالف الكتاب والسنة من هذا وهذا: باطل».

تغيير التلية الشرعية

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ

بِالْإِسْمِ وَالْعُدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسُو الْمَصِيرُ﴾ [المجادلة: 8].

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ⁽²⁾:

(1) «اقتضاء الصراط المستقيم» (1/ 91).

(2) «صحيح البخاري» (6256).

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَفَهَّمْتُهَا فَقُلْتُ: عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَقَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ».

■ قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَنَسٍ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْكِتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ».

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

«وقوله: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّكَ بِمَا أَلَّمَتْ بِكَ اللَّهُ﴾ قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا بن نمير، عن الأعمش، عن مسلم عن مسروق، عن عائشة قالت: دخل علي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يهود فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم. فقالت عائشة: وعليكم السام واللعة. قالت: فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا عائشة، إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش». قلت: ألا تسمعون يقولون: السام عليك؟ فقال رسول الله: «أو ما سمعت أقول

(1) «صحيح البخاري» (6258).

(2) «تفسير ابن كثير» (8/ 43، 44).

وعليكم؟». فأنزل الله: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾.

وفي رواية في الصحيح⁽¹⁾ أنها قالت لهم: عليكم السام والذام واللعنة. وأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنه يستجاب لنا فيهم، ولا يستجاب لهم فينا».

وقال ابن جرير: حدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينما هو جالس مع أصحابه، إذ أتى عليهم يهودي فسلم عليهم، فردوا عليه، فقال نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هل تدرون ما قال؟». قالوا: سلم يا رسول الله. قال: «بل قال: سام عليكم، أي: تسامون دينكم». قال رسول الله: «ردوه». فردوه عليه. فقال نبي الله: «أقلت: سام عليكم؟». قال: نعم. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا: عليك» أي: عليك ما قلت.

وأصل حديث أنس مخرج في الصحيح، وهذا الحديث في الصحيح عن عائشة، بنحوه

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة: 8]، أي: يفعلون هذا، ويقولون ما يحرفون من الكلام وإيهام السلام، وإنما هو شتم في الباطن، ومع هذا يقولون في أنفسهم: لو كان هذا نبيا لعذبنا الله بما نقول له في الباطن؛ لأن الله يعلم ما نسرّه، فلو كان هذا نبيا حقا لأوشك أن يعاجلنا الله بالعقوبة في الدنيا، فقال الله تعالى: ﴿حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: جهنم كفايتهم في

(1) «صحيح البخاري» (6030)، و«صحيح مسلم» (2165، 2166).

الدار الآخرة ﴿يَصَلُّونَهَا فِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

وروى الإمام أحمد: عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو؛ أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم: سام عليك، ثم يقولون في أنفسهم: ﴿لَوْلَا يَعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ؟﴾، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ إسناده حسن ولم يخرجوه.

الاستهزاء بالسجين

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مَّوْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [المائدة].

■ قال السعدي رحمه الله⁽¹⁾:

«ينهى عباده المؤمنين عن اتخاذ أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن سائر الكفار أولياء يحبونهم ويتولونهم، ويبدون لهم أسرار المؤمنين، ويعاونونهم على بعض أمورهم التي تضر الإسلام والمسلمين، وأن ما معهم من الإيمان يوجب عليهم ترك موالاتهم، ويحثهم على معاداتهم، وكذلك التزامهم لتقوى الله التي هي امثال أوامره واجتناب زواجره مما تدعوهم إلى معاداتهم.

وكذلك ما كان عليه المشركون والكفار المخالفون للمسلمين، من قدحهم

(1) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (1/ 236، 237).

في دين المسلمين، واتخاذهم إياه هزوا ولعبا، واحتقاره واستصغاره، خصوصا الصلاة التي هي أظهر شعائر المسلمين، وأجل عباداتهم، إنهم إذا نادوا إليها اتخذوها هزوا ولعبا، وذلك لعدم عقلهم ولجهلهم العظيم، وإلا فلو كان لهم عقول لخضعوا لها، ولعلموا أنها أكبر من جميع الفضائل التي تتصف بها النفوس.

فإذا علمتم -أيها المؤمنون- حال الكفار وشدة معاداتهم لكم ولدينكم، فمن لم يعادهم بعد هذا دل على أن الإسلام عنده رخيص، وأنه لا يبالي بمن قدح فيه أو قدح بالكفر والضلال، وأنه ليس عنده من المروءة والإنسانية شيء.

فكيف تدعي لنفسك دينا قيما، وأنه الدين الحق وما سواه باطل، وترضى بموالاته من اتخذه هزوا ولعبا، وسخر به وبأهله، من أهل الجهل والحمق؟! وهذا فيه من التهيج على عداوتهم ما هو معلوم لكل من له أدنى مفهوم.

عَصِمَ الرِّضَا عَنْ أَهْلِ الْحَقِّ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَّبِعُوا نَهَجَهُمْ

قال الله عز وجل: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]

■ قال البغوي⁽¹⁾:

«قوله عز وجل: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ

(1) «معالم التنزيل في تفسير القرآن» (1/ 161).

هُوَ الْهُدَى ﴿﴾ وذلك أنهم يسألون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الهدنة، ويطمعون أنه إن أمهلهم اتبعوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، معناه أنك وإن هادنتهم فلا يرجون بها، وإنما يطلبون ذلك تعللاً ولا يرضون منك إلا باتباع ملتهم.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هذا في القبلة، وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين كان يصلي إلى قبلتهم، فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة أيسوا منه أن يوافقهم على دينهم، فأنزل الله تعالى: ولن ترضى عنك اليهود إلا باليهودية، ولا النصارى إلا بالنصرانية؛ والملة الطريقة.

﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾، قيل الخطاب مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمراد به الأمة، كقوله: ﴿لَيْنِ أَشْرَكَتْ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: 65]، بعد الذي جاءك من العلم: البيان بأن دين الله هو الإسلام، والقبلة قبله إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ وهي الكعبة، ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: 120].

إِصْحَاؤُهُمْ أَنَّ الصَّالِحِينَ مَعَهُمْ

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ هَكَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ [آل عمران].

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

«ينكر تعالى على اليهود والنصارى في محاجتهم في إبراهيم الخليل، ودعوى كل طائفة منهم أنه كان منهم، كما قال محمد بن إسحاق بن يسار: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس قال: اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتنازعوا عنده، فقالت الأخبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديا. وقالت النصارى ما كان إبراهيم إلا نصرانيا. فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، أي: كيف تدعون، أيها اليهود، أنه كان يهوديا، وقد كان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى، وكيف تدعون، أيها النصارى، أنه كان نصرانيا، وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر. ولهذا قال: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾».

ثم قال: ﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤُلَآءِ حَاجَبْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به، فإن اليهود والنصارى تحاجوا في إبراهيم بلا علم، ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكان أولى بهم، وإنما تكلموا فيما لم يعلموا به، فأنكر الله عليهم ذلك، وأمرهم برد ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة، الذي يعلم الأمور على حقائقها

(1) «تفسير ابن كثير» (2/ 57، 58).

وجلياتها، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ أي: متحنفا عن الشرك قصدا إلى الإيمان ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: 135].

وهذه الآية كالتى تقدمت في سورة البقرة: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: 135].

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول تعالى: أحق الناس بمتابعة إبراهيم الخليل الذين اتبعوه على دينه، وهذا النبي - يعني محمدا صلى الله عليه وسلم - والذين آمنوا من أصحابه المهاجرين والأنصار ومن بعدهم.

قال سعيد بن منصور: أخبرنا أبو الأحوص، عن سعيد بن مسروق، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وَلَاةً مِنَ النَّبِيِّينَ، وَإِنْ وَلِيَّي مِنْهُمْ أَبِي وَخَلِيلُ رَبِّي رَحِمَهُ اللَّهُ». ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقد رواه الترمذي والبخاري من حديث أبي أحمد الزبيري، عن سفيان الثوري، عن أبيه، به ثم قال البخاري: ورواه غير أبي أحمد، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي الضحى، عن عبد الله، ولم يذكر مسروقا. وكذا رواه الترمذي من طريق وكيع، عن سفيان، ثم قال: وهذا أصح لكن رواه وكيع في تفسيره فقال: حدثنا سفيان،

عن أبيه، عن أبي إسحاق، عن عبد الله ابن مسعود قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... فذكره.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ولي جميع المؤمنين برسله.

■ قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«وكان حجاجهم فيه: ادعاء كل فريق من أهل هذين الكتابين أنه كان منهم، وأنه كان يدين دين أهل نحلته. فعابهم الله عَزَّوَجَلَّ بادعائهم ذلك، ودل على مناقضتهم ودعواهم، فقال: وكيف تدعون أنه كان على ملتكم ودينكم، ودينكم إما يهودية أو نصرانية، واليهودي منكم يزعم أن دينه إقامة التوراة والعمل بما فيها، والنصراني منكم يزعم أن دينه إقامة الإنجيل وما فيه، وهذان كتابان لم ينزلا إلا بعد حين من مهلك إبراهيم ووفاته؟ فكيف يكون منكم؟ فما وجه اختصاصكم فيه، وادعائكم أنه منكم، والأمر فيه على ما قد علمتم؟».

قلت: فكل من انتمى إلى السنة، أو إلى السلف، أو إلى العلماء الربانيين، فهو كاذب على الله، وعلى دينه، وعلى الصالحين، ومتشبه بالكفار والمنافقين.

وهذا كثير في الحزبيين والمبتدعة المارقين.

والدعوى إن لم يقيموا عليها بينات فأهلها أدعياء

(1) «جامع البيان» (6/ 490).

التحاكم إلى غير أهل الحق

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

■ قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد بقلبك، فتعلم إلى الذين يزعمون أنهم صدقوا بما أنزل إليك من الكتاب، وإلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل من قبلك من الكتب يريدون أن يتحاكموا في خصومتهم إلى الطاغوت؛ يعني إلى: من يعظمونه، ويصدرون عن قوله، ويرضون بحكمه من دون حكم الله.

﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾، يقول: وقد أمرهم الله أن يكذبوا بما جاءهم به الطاغوت الذي يتحاكمون إليه، فتركوا أمر الله واتبعوا أمر الشيطان.

﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ يعني: أن الشيطان يريد أن يصد هؤلاء المتحاكمين إلى الطاغوت عن سبيل الحق والهدى، فيضلهم عنها ضلالا بعيدا؛ يعني: فيجور بهم عنها جورا شديدا.

(1) «جامع البيان» (8/ 507).

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في رجل من المنافقين دعا رجلا من اليهود في خصومة كانت بينهما إلى بعض الكهان ليحكم بينهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم.

قولهم لسمعنا وعصينا

قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعَ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعَ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء].

■ قال السعدي رحمه الله⁽¹⁾:

«يقولون: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ أي: سمعنا قولك وعصينا أمرك، وهذا غاية الكفر والعناد والشرود عن الانقياد، وكذلك يخاطبون الرسول صلى الله عليه وسلم بأقبح خطاب وأبعده عن الأدب فيقولون: ﴿وَاسْمَعَ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ قصدهم: اسمع منا غير مسمع ما تحب، بل مسمع ما تكره، ﴿وَرَاعِنَا﴾ قصدهم بذلك الرعونة، بالعيب القبيح، ويظنون أن اللفظ -لما كان محتملا لغير ما أرادوا من الأمور- أنه يروج على الله وعلى رسوله، فتوصلوا بذلك اللفظ الذي يلوون به ألسنتهم إلى الطعن في الدين والعيب للرسول، ويصرحون بذلك فيما بينهم، فلهذا قال: ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ﴾»

(1) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (1/ 181).

ثم أرشدهم إلى ما هو خير لهم من ذلك فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ﴾، وذلك لما تضمنه هذا الكلام من حسن الخطاب والأدب اللائق في مخاطبة الرسول، والدخول تحت طاعة الله والانقياد لأمره، وحسن التلطف في طلبهم العلم بسماع سؤالهم، والاعتناء بأمرهم، فهذا هو الذي ينبغي لهم سلوكه. ولكن لما كانت طبائعهم غير زكية، أعرضوا عن ذلك، وطردتهم الله بكفرهم وعنادهم.

■ قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

«يعني بقوله: «السمع»، قبول ما يسمع، و«الطاعة» لما يؤمر. فكذاك معنى قوله: ﴿وَأَسْمَعُوا﴾، اقبلوا ما سمعتم واعملوا به.

قال أبو جعفر: فمعنى الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ أن ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ واعملوا بما سمعتم وأطيعوا الله، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ من أجل ذلك.

وأما قوله: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾، فإن الكلام خرج مخرج الخبر عن الغائب بعد أن كان الابتداء بالخطاب فإن ذلك كما وصفنا، من أن ابتداء الكلام إذا كان حكاية فالعرب تخاطب فيه ثم تعود فيه إلى الخبر عن الغائب، وتخبر عن الغائب ثم تخاطب، كما بينا فيما مضى قبل. فكذاك ذلك في هذه الآية لأن قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ بمعنى: قلنا لكم فأجبتمونا.

(1) «جامع البيان» (1/466).

وأما قوله: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ فإنه خبر من الله عن اليهود الذين أخذ ميثاقهم أن يعملوا بما في التوراة، وأن يطيعوا الله فيما يسمعون منها أنهم قالوا حين قيل لهم ذلك: سمعنا قولك وعصينا أمرك.

■ قال الإمام مسلم رحمه الله⁽¹⁾:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مِنْهَالٍ الصَّرِيرُ، وَأُمَيَّةُ بْنُ بَسْطَامَ الْعِيشِيُّ، وَاللَّفْظُ لِأُمَيَّةَ، قَالَا: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا رَوْحٌ وَهُوَ ابْنُ الْقَاسِمِ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 284]، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكْبِ، فَقَالُوا: أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ، كُلُّنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أَنْزَلْتَ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةَ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ، ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285]، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿

(1) «صحيح مسلم» (125).

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ
 نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴿١﴾ «قَالَ: نَعَمْ» ﴿٢﴾ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴿٣﴾ «قَالَ: نَعَمْ» ﴿٤﴾ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴿٥﴾ «قَالَ: نَعَمْ»
 ﴿٦﴾ وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ [البقرة: 286] «قَالَ: نَعَمْ».

▪ وروى الإمام مسلم رحمه الله⁽¹⁾: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ:
 ﴿وَأِنْ تَبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: 284]، قَالَ:
 دَخَلَ قُلُوبُهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبَهُمْ مِنْ شَيْءٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا» قَالَ: فَأَلْقَى اللَّهُ الْإِيمَانَ فِي
 قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ
 وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: 286] «قَالَ: قَدْ
 فَعَلْتُ» ﴿١﴾ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴿٢﴾ [البقرة:
 286] «قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ» ﴿٣﴾ وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا ﴿٤﴾ [البقرة: 286] «قَالَ:
 قَدْ فَعَلْتُ».

تزكيتهم لأنفسهم

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ

فَتِيلًا ۝٤٩﴾ [النساء].

■ قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد بقلبك، ﴿الَّذِينَ يُزَكُّونَ﴾ أنفسهم من اليهود فيبرئونها من الذنوب ويطهرونها.

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي كانت اليهود تزكي به أنفسها.

فقال بعضهم: كانت تزكيتهم أنفسهم، قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: 18] .

وروى عن قتادة، قوله: ﴿الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ فَتِيلًا﴾، وهم أعداء الله اليهود، زكوا أنفسهم بأمر لم يبلغوه، فقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾، وقالوا: «لا ذنوب لنا». وسنده صحيح.

وروى ابن زيد في قوله: ﴿الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ قال: قال أهل الكتاب: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾ [البقرة: 111]، وقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾، وقالوا: «نحن على الذي يحب الله»، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾، حين زعموا أنهم يدخلون الجنة، وأنهم أبناء الله

(1) «جامع البيان» (8/ 452، 453).

وأحباؤه وأهل طاعته. وسنده صحيح.

وقال: وقال آخرون: بل كانت تزكيتهم أنفسهم تقديمهم أطفالهم لإمامتهم في صلاتهم زعما منهم أنهم لا ذنوب لهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾، قال: يهود كانوا يقدمون صبيانهم في الصلاة فيؤمنونهم، يزعمون أنهم لا ذنوب لهم، فتلك التزكية.

■ ثم قال الطبري⁽¹⁾:

«قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب، قول من قال: معنى «تزكية القوم»، الذين وصفهم الله بأنهم يزكون أنفسهم، وصفهم إياها بأنها لا ذنوب لها ولا خطايا، وأنهم لله أبناء وأحباء، كما أخبر الله عنهم أنهم كانوا يقولونه. لأن ذلك هو أظهر معانيه، لإخبار الله عنهم أنهم إنما كانوا يزكون أنفسهم دون غيرها.

وأما الذين قالوا: معنى ذلك: «تقديمهم أطفالهم للصلاة»، فتأويل لا تدرك صحته إلا بخبر حجة يوجب العلم.

وأما قوله جل ثناؤه: ﴿بَلِ اللَّهِ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾، فإنه تكذيب من الله المزكين أنفسهم من اليهود والنصارى، المبرئينها من الذنوب. يقول الله لهم: ما الأمر كما زعمتم أنه لا ذنوب لكم ولا خطايا، وأنكم برآء مما يكرهه الله، ولكنكم أهل

(1) «جامع البيان» (8/ 455، 456).

فرية وكذب على الله، وليس المزكي من زكى نفسه، ولكنه الذي يزكيه الله، والله يزكي من يشاء من خلقه فيطهره ويبرئه من الذنوب، بتوفيقه لاجتناب ما يكرهه من معاصيه، إلى ما يرضاه من طاعته».

قلت: فكل من زكى نفسه، أو زكى طريقته ومنهجه المبتدع، فهو مخالف لنهي الله عن ذلك، ومشابه للكفار.

قولهم للمبطلين أنهم أهبط لسبيلاً من الصالحين

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۚ﴾ [النساء].

■ قال البغوي رحمه الله⁽¹⁾:

«﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء]، قال المفسرون: خرج كعب بن الأشرف في سبعين راكبا من اليهود إلى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل كعب على أبي سفيان فأحسن مثواه، ونزلت اليهود في دور قريش، فقال أهل مكة: إنكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن أن يكون هذا مكرًا منكم فإن أردتم أن نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما ففعلوا ذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ

(1) «معالم التنزيل في تفسير القرآن» (2/ 235).

يَا لَجِبَتِ وَالطَّلْعُوتِ ﴿٢٩٦﴾ .

ثم قال كعب لأهل مكة: ليجيء منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزم أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا.

ثم قال أبو سفيان لكعب: إنك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم، فأينا أهدى طريقة، نحن أم محمد؟
قال كعب: اعرضوا علي دينكم.

فقال أبو سفيان: نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم، ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم، وديننا القديم ودين محمد الحديث.

فقال كعب: أنتم والله أهدى سبيلا مما عليه محمد فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ يعني: كعبا وأصحابه، ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبَتِ وَالطَّلْعُوتِ﴾ يعني: الصنمين، ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أبي سفيان وأصحابه، ﴿هُؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ﴿سَبِيلًا﴾ دينا.

بَلَّغْهُمْ بِتَبْلِيغِ الْعِلْمِ وَالْحَقِّ

قال الله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝٢٣ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝٢٤﴾ [الحديد].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: 187] الآية.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ۝١٥٩ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُمْ فَأُولَٰئِكَ أَنْتَبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝١٦٠﴾ [البقرة].

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ۚ مُمَّنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٧٤﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ۝١٧٤﴾ [البقرة].

■ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«فوصف المغضوب عليهم بأنهم يكتُمون العلم: تارة بخلا به وتارة اعتياضا عن إظهاره بالدنيا، وتارة خوفا في أن يحتج عليهم بما أظهره منه.

(1) «اقتضاء الصراط المستقيم» (1/84، 85).

وهذا قد يتلى به طوائف من المنتسبين إلى العلم فإنهم تارة يكتمون العلم بخلا به، وكراهة لأن ينال غيرهم من الفضل ما نالوه، وتارة اعتياضا عنه برئاسة أو مال، فيخاف من إظهاره انتقاص رئاسته أو نقص ماله، وتارة يكون قد خالف غيره في مسألة، أو اعتزى إلى طائفة قد خولفت في مسألة، فيكتم من العلم ما فيه حجة لمخالفه وإن لم يتيقن أن مخالفه مبطل.

ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدي وغيره: أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم.

قتالهم الأنبياء والصلوات

قال الله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُثْقَوْنَ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبَعْضٌ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران].

■ قال ابن كثير رحمه الله⁽¹⁾:

«قوله: ﴿وَبَاءُ وَبَعْضٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: ألزموا فالتزموا بغضب من الله، وهم يستحقونه، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ﴾ أي: ألزموها قدرا وشرعا. ولهذا قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أي: وإنما حملهم على ذلك الكبر والبغي والحسد، فأعقبهم ذلك الذلة والصغار والمسكنة أبدا، متصلا بذلة الآخرة.

(1) «تفسير ابن كثير» (2/104).

ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ أي: إنما حملهم على الكفر بآيات الله وقتل رسل الله وقبضوا لذلك أنهم كانوا يكثرون العصيان لأوامر الله، رَحْمَةُ اللَّهِ، والغشيان لمعاصي الله، والاعتداء في شرع الله، فعيادا بالله من ذلك، والله المستعان».

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنْ نَضِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاجِدْ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآسَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: 61].

■ قال ابن جرير الطبري رَحْمَةُ اللَّهِ⁽¹⁾:

«ويعنى بقوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [البقرة: 61]، أنهم كانوا يقتلون رسل الله، بغير إذن الله لهم بقتلهم، منكبين رسالتهم، جاحدين نبوتهم».

الظلم

قال الله تعالى: ﴿فِظْلِمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء].

■ وقال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنُ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ يَعْنِي ابْنَ قَيْسٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِقْسَمٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ».

■ قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

«قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: فحرمنا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذي واثقوا ربهم، وكفروا بآيات الله، وقتلوا أنبياءهم، وقالوا البهتان على مريم، وفعلوا ما وصفهم الله في كتابه، طيبات من المآكل وغيرها كانت لهم حلالا، عقوبة لهم بظلمهم الذي أخبر الله عنهم في كتابه.

وروى عن قتادة: ﴿فِظْلِمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ الآية... عوقب القوم بظلم ظلموه، وبغي بغوه حرمت عليهم أشياء ببغيهم وبظلمهم».

(1) «صحيح مسلم» (2578).

(2) «جامع البيان» (9/390).

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

«يخبر تعالى أنه بسبب ظلم اليهود بما ارتكبه من الذنوب العظيمة، حرم عليهم طيبات كان أحلها لهم، كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو، وقال: قرأ ابن عباس: «طيبات كانت أحلت لهم».

وهذا التحريم قد يكون قدريا، بمعنى: أنه تعالى قيضهم لأن تأولوا في كتابهم، وحرفوا وبدلوا أشياء كانت حلالا لهم، فحرموها على أنفسهم، تشديدا منهم على أنفسهم وتضييقا وتنطعا. ويحتمل أن يكون شرعا بمعنى: أنه تعالى حرم عليهم في التوراة أشياء كانت حلالا لهم قبل ذلك، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾ [آل عمران: 93]، وقد قدمنا الكلام على هذه الآية وأن المراد: أن الجميع من الأطعمة كانت حلالا لهم، من قبل أن تنزل التوراة ما عدا ما كان حراما لإسرائيل على نفسه من لحوم الإبل والبانها.

ثم إنه تعالى حرم أشياء كثيرة في التوراة، كما قال في سورة الأنعام: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا كُلُّ ذِي ظُفْرٍ مِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ [الأنعام: 146] أي: إنما حرمنا عليهم ذلك؛ لأنهم يستحقون ذلك بسبب

(1) «تفسير ابن كثير» (2/ 467).

بغيرهم وطغيانهم ومخالفتهم رسولهم واختلافهم عليه.

ولهذا قال: ﴿فِظْلِمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ أي: صدوا الناس وصدوا أنفسهم عن اتباع الحق. وهذه سجية لهم متصفون بها من قديم الدهر وحديثه؛ ولهذا كانوا أعداء الرسل، وقتلوا خلقا من الأنبياء، وكذبوا عيسى ومحمدا، صلوات الله وسلامه عليهما.

قلت: فكل من وقع في الظلم فقد ارتكب حراما ومنكرا، وتشبه بأعداء الله، والظلم سبب لظلمات يوم القيامة.

أكلهم الربا

قال الله تعالى: ﴿وَآخِذْهُمْ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٦١) [النساء].

■ قال ابن جرير الطبري رحمه الله⁽¹⁾:

«وقوله: ﴿وَآخِذْهُمْ الرِّبَا﴾، وهو أخذهم ما أفضلوا على رؤوس أموالهم لفضل تأخير في الأجل بعد محلها، وقد بينت معنى ﴿الرِّبَا﴾ فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته.

﴿وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ يعني: عن أخذ الربا.

وقوله: ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ يعني ما كانوا يأخذون من الرشى على

الحكم، كما وصفهم الله به في قوله: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْآثِمِ وَالْعُدْوَنِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَيْتَسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 62].

وكان من أكلهم أموال الناس بالباطل ما كانوا يأخذون من أثمان الكتب التي كانوا يكتبونها بأيديهم، ثم يقولون: ﴿هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 79] وما أشبه ذلك من المآكل الخسيسة الخبيثة، فعاقبهم الله على جميع ذلك بتحريمه ما حرم عليهم من الطيبات التي كانت لهم حلالا قبل ذلك.

وإنما وصفهم الله بأنهم أكلوا ما أكلوا من أموال الناس كذلك بالباطل لأنهم أكلوه بغير استحقاق، وأخذوا أموالهم منهم بغير استيجاب».

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«وقوله: ﴿وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ أي: أن الله قد نهاهم عن الربا فتناولوه وأخذوه، واحتالوا عليه بأنواع من الحيل وصنوف من الشبه، وأكلوا أموال الناس بالباطل. قال تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾».

قلت: وكم وقع المسلمون في أخذ الربا، فكيف بأكله واللباس منه. هذا كله تشبه بالكفار، وقد لعن أكل الربا وموكله وكتابه وشاهديه وكل من أعان على أخذه - عيادًا بالله -.

(1) «تفسير ابن كثير» (2/ 467).

قلسوة القلوب

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْأَيْتَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد].

▪ قال ابن كثر رحمة الله⁽¹⁾:

«نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى، لما تطاول عليهم الأمد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمنا قليلا ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتلفة، وقلدوا الرجال فى دين الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم، فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد».

وقال الله تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة].

▪ قال ابن كثر رحمة الله⁽²⁾:

«فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ﴾ أى: فسبب نقضهم الميثاق الذى أخذ

(1) «تفسير ابن كثر» (8/ 20).

(2) «تفسير ابن كثر» (3/ 66).

عليهم لعناهم، أي أبعدناهم عن الحق وطردها عن الهدى، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾، أي: فلا يتعظون بموعظة لغلظها وقساوتها، ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ أي: فسدت فهمهم، وساء تصرفهم في آيات الله، وتأولوا كتابه على غير ما أنزله، وحملوه على غير مراده، وقالوا عليه ما لم يقل، عياذا بالله من ذلك».

■ قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

حَدَّثَنِي سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ أَبِي حَرْبٍ بْنِ أَبِي الْأَسْوَدِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: بَعَثَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ إِلَى قُرَاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ قَدْ قَرَأُوا الْقُرْآنَ، فَقَالَ: أَنْتُمْ خِيَارُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَقُرَآؤُهُمْ، فَاتْلُوهُ، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ فَتَفْسَوْ قُلُوبَكُمْ، كَمَا قَسَتْ قُلُوبُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّا كُنَّا نَقْرَأُ سُورَةَ، كُنَّا نُشَبِّهُهَا فِي الطُّولِ وَالشَّدَةِ بِرَاءَةٍ، فَأُنْسِيَتْهَا، غَيْرَ أَنِّي قَدْ حَفِظْتُ مِنْهَا: لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ، لَا يَتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَكُنَّا نَقْرَأُ سُورَةَ، كُنَّا نُشَبِّهُهَا بِإِحْدَى الْمُسَبِّحَاتِ، فَأُنْسِيَتْهَا، غَيْرَ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْهَا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، فَتُكْتَبُ شَهَادَةٌ فِي أَعْنَاقِكُمْ، فَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

قلت: ففسوة القلوب من صفاتهم التي يجب علينا أن نحذر منها ومن أسبابها ومن عواقبها، وقد وقع في المسلمين من هذه الأمة قسوة القلوب، حتى وقعوا في التحريف للقرآن، والإعراض عن الهدى، والله المستعان.

(1) «صحيح مسلم» (1050).

نسيانهم الهدى والعلم

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفِقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِصَمٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأعراف].

■ قال ابن جرير الطبري رحمه الله⁽¹⁾:

«قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: فلما تركت الطائفة التي اعتدت في السبت ما أمرها الله به من ترك الاعتداء فيه، وضيعت ما وعظتها الطائفة الواعظة وذكرتها به من تحذيرها عقوبة الله على معصيتها، فتقدمت على استحلال ما حرم الله عليها، أنجى الله الذين ينهون منهم عن ﴿السُّوءِ﴾ يعني عن معصية الله واستحلال حرمه.

﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يقول: وأخذ الله الذين اعتدوا في السبت فاستحلوا فيه ما حرم الله من صيد السمك وأكله، فأحل بهم بأسه، وأهلكهم بعذاب شديد بئس بما كانوا يخالفون أمر الله، فيخرجون من طاعته إلى معصيته وذلك هو «الفسق».

وروى عن ابن جريج في قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ، قال: فلما نسوا موعظة المؤمنين إياهم الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا

(1) «جامع البيان» (13/ 199).

﴿﴾.

وقال الله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِّيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَدْسِيَةً يَحِرُّونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة].

■ قال ابن جرير الطبري رحمه الله⁽¹⁾:

«يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَنَسُوا حَظًّا﴾ وتركوا نصيبا، وهو كقوله: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: 67]، أي: تركوا أمر الله فتركهم الله».

■ قال ابن كثير رحمه الله⁽²⁾:

﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي: وتركوا العمل به رغبة عنه.

قال الحسن: تركوا عرى دينهم ووظائف الله التي لا يقبل العمل إلا بها. وقال غيره: تركوا العمل فصاروا إلى حالة رديئة، فلا قلوب سليمة، ولا فطر مستقيمة، ولا أعمال قوية».

قلت: فترى كثيرا من المسلمين نسوا ما أمرهم الله إما تهاونا أو ترگا، أو يتعدون عن العلم بعد أن تعلموا وينسون، والنبي صلى الله عليه وسلم قد أمرنا بالتذكر والتعاهد للقرآن والحق.

(1) «جامع البيان» (10/129).

(2) «تفسير ابن كثير» (3/66).

فعن ابن عمر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ، وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ»⁽¹⁾.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بِسْمَا لِأَحَدِهِمْ يَقُولُ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ هُوَ نُسِّي، اسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ فَهُوَ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ، مِنَ النَّعَمِ بِعُقُلِهَا»⁽²⁾.

إِذَا تَرَاهُمْ لِسَامِي الْكُذَّابِينَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة].

■ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ⁽³⁾:

«نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَاتُ فِي الْمَسَارِعِينَ فِي الْكُفْرِ، الْخَارَجِينَ عَنْ طَاعَةِ

(1) «صحيح مسلم» (789).

(2) «صحيح البخاري» (5039)، و«صحيح مسلم» (790).

(3) «تفسير ابن كثير» (113/3).

الله ورسوله، المقدمين آراءهم وأهواءهم على شرائع الله، رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَقْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ أي: أظهروا الإيمان بالسنتهم، وقلوبهم خراب خاوية منه، وهؤلاء هم المنافقون.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ أعداء الإسلام وأهله.

وهؤلاء كلهم ﴿سَمِعُوا لِكَذِبٍ﴾ أي: يستجيبون له، منفعلون عنه.

﴿سَمِعُوا لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ أي: يستجيبون لأقوام آخرين لا يأتون مجلسك يا محمد. وقيل: المراد أنهم يتسمعون الكلام، وينهونه إلى أقوام آخرين ممن لا يحضر عندك، من أعدائك».

أكلهم للسلات

قال الله تعالى: ﴿وَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المائدة].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«وقوله: ﴿وَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ [المائدة: 62]، أي: يبادرون إلى ذلك من تعاطي المآثم والمحارم والاعتداء على الناس، وأكلهم أموالهم بالباطل، ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: 62]، أي: لبس العمل

كان عملهم وبئس الاعتداء اعتداؤهم.

قوله: ﴿لَوْلَا يَنْهَهُمُ الرَّبَّيْنُونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾، يعني: هلا كان ينهاهم الربانيون والأخبار عن تعاطي ذلك. والربانيون وهم: العلماء العمال أرباب الولايات عليهم، والأخبار: وهم العلماء فقط.

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: يعني الربانيين، أنهم: بئس ما كانوا يصنعون. يعني: في تركهم ذلك.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: قال لهؤلاء حين لم ينهوا، ولهؤلاء حين علموا. قال: وذلك الأركان. قال: «ويعملون» و«ويصنعون» واحد. رواه ابن أبي حاتم.

وروى ابن جرير: عن ابن عباس قال: ما في القرآن آية أشد توبيخاً من هذه الآية: ﴿لَوْلَا يَنْهَهُمُ الرَّبَّيْنُونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾، قال: كذا قرأ.

وكذا قال الضحاك: ما في القرآن آية أخوف عندي منها: إنا لا ننهي. رواه ابن جرير.

■ قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾: ﴿السُّحْتَ﴾ الرشوة التي يأخذونها من الناس على الحكم بخلاف حكم الله فيهم.

يقول الله تعالى ذكره: ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٢] يقول: أقسم لبئس العمل ما كان هؤلاء اليهود يعملون في مسارعتهن في الإثم والعدوان وأكلهم السحت».

وقال الله تعالى: ﴿سَمِعُوا لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

■ قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾: هؤلاء اليهود الذين وصفت لك، يا محمد، صفتهم، سماعون لقليل الباطل والكذب، ومن قيل بعضهم لبعض: «محمد كاذب، ليس بنبي»، وقيل بعضهم: «إن حكم الزاني المحصن في التوراة الجلد والتحميم»، وغير ذلك من الأباطيل والإفك، ويقبلون الرشى فيأكلونها على كذبهم على الله وفريتهم عليه.

■ وروى عن قتادة بسند صحيح: ﴿سَمِعُوا لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ قال: كان هذا في حكام اليهود بين أيديكم، كانوا يسمعون الكذب ويقبلون الرشى.

وروى عن مجاهد بسند صحيح في قول الله: ﴿أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ﴾، قال: الرشوة في الحكم وهم يهود».

قلت: فعلى القول بأنها الرشوة، أو بأن الآية عامة في أكل أموال الناس

بالباطل، فقد وقع كثير من هذه الأمة في ذلك.

لَكُمْ بِهِم بَغِيرٌ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ اللَّهَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة].

■ قال الطبري⁽¹⁾:

«قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ومن كتم حكم الله الذي أنزله في كتابه وجعله حكماً بين عباده، فأخفاه وحكم بغيره، كحكم اليهود في الزانيين المحصنين بالتجبيه والتحميم، وكتمانهم الرجم وكقضائهم في بعض قتالهم بدية كاملة وفي بعض بنصف الدية وفي الأشراف بالقصاص وفي الأدياء بالدية، وقد سوى الله بين جميعهم في الحكم عليهم في التوراة.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ يقول: هؤلاء الذين لم يحكموا بما أنزل الله في كتابه ولكن بدلوا وغيروا حكمه وكتموا الحق الذي أنزله في كتابه.

﴿هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ يقول: هم الذين ستروا الحق الذي كان عليهم كشفه وتبيينه، وغطوه عن الناس وأظهروا لهم غيره، وقضوا به لسحت أخذوه منهم عليه.

(1) «جامع البيان» (10/ 345: 347).

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل الكفر في هذا الموضع:

فقال بعضهم بنحو ما قلنا في ذلك من أنه عني به اليهود الذين حرفوا كتاب الله وبدلوا حكمه. ذكر من قال ذلك:

وروى عن البراء بن عازب، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٤٤)، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٤٥)، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤٧) [المائدة] في الكافرين كلها.

وروى عن أبي صالح قال: الثلاث الآيات التي في «المائدة»، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٤٤)، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٤٥)، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤٧) [المائدة] ليس في أهل الإسلام منه شيء، هي في الكفار.

وروى عن الضحاك: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٤٤)، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٤٥)، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤٧) [المائدة]، قال: نزلت هؤلاء الآيات في أهل الكتاب.

قلت: وقد وقع من كثير من حكام وقضاة المسلمين الحكم بغير ما أنزل الله، تشبها منهم بالكفار، ومحبة منهم للدرهم والدينار.

وذلك مصداقاً لقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنْ مَنْ كَانَ

وإياك يا أيها المسلم أن تقع فى تكفير الحكام بسبب تشبههم بالكفار فى هذه الخصلة: الحكم بغير ما أنزل الله، أو غيرها، وتشبه بهم أنت فى الغلو والمجازفة.

ففتنبه على أمور:

- 1- أن هذه الآية نزلت فى أهل الكتاب كما ترى.
- 2- أن مجرد التشبه بالكفار لا يخرج صاحبه من دين الإسلام إلا إذا تشبه بهم فى أمر من نواقض الإسلام، كالشرك والكفر والسحر والاستهزاء بالدين وتحريف كلام الله... إلى غير ذلك.
- 3- أن العلماء يفصلون فى هذه المسألة: فمن حكم بغير ما أنزل الله تفضيلاً له على حكم الله فهو كافر، أو مساوياً للحكم بما أنزل الله بغيره، أو يرى أن حكم الله لا يصلح لهذا الزمان أو المكان.
- 4- أما من حكم بغير الشريعة لجهل أو اضطرار أو محبة للدنيا، أو مقراً بأنها معصية... فإنه لا يكفر بإجماع أهل السنة، فتنبه.

فَتَنَّتْهُمْ لَمَنْ جَابَ السَّهْمُ وَالسَّهْمُ

قال الله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّنَا بَرِيدُ اللَّهِ أَنْ يُصِيبَهُمْ بَعْضُ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ

(1) «صحيح البخاري» (7320).

كثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَسِقُونَ ﴿٤٩﴾ [المائدة].

فحذر الله نبيه منهم ومن مجالستهم لكثرة تلبيسهم، وهذا بيان للأمة أن يحذروهم، ولا يقرؤوا في كتبهم، ولا يجادلوهم إلا بالتي هي أحسن.

■ قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

«قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَأَن أٰحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ﴾، وأنزلنا إليك، يا محمد، الكتاب مصدقا لما بين يديه من الكتاب، ﴿وَأَن أٰحْكُم بَيْنَهُم﴾، ﴿فَإِن﴾ في موضع نصب بالتنزيل.

ويعني بقوله: ﴿بِمَا أَنزَلَ اللهُ﴾، بحكم الله الذي أنزله إليك في كتابه.

وأما قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ فإنه نهى من الله نبيه محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتبع أهواء اليهود الذين احتكموا إليه في قتلهم وفاجرهم، وأمر منه له بلزوم العمل بكتابه الذي أنزله إليه.

وقوله: ﴿وَاحْذَرَهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ﴾ قول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: واحذر، يا محمد، هؤلاء اليهود الذين جاءوك محتكمين إليك.

﴿أَن يَفْتِنُوكَ﴾، فيصدوك عن بعض ما أنزل الله إليك من حكم كتابه، فيحملوك على ترك العمل به واتباع أهوائهم».

(1) «جامع البيان» (10/ 392).

إمراضهم عن الحق وبذلك بسبب معاصيهم

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلِمَ أَنَّهَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ

النَّاسِ لَفَسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة].

■ قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«وقوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلِمَ أَنَّهَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾، يقول تعالى ذكره: فإن تولى هؤلاء اليهود الذين اختصموا إليك عنك، فتركوا العمل بما حكمت به عليهم وقضيت فيهم.

﴿فَعَلِمَ أَنَّهَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾، يقول: فاعلم أنهم لم يتولوا عن الرضى بحكمك وقد قضيت بالحق، إلا من أجل أن الله يريد أن يتعجل عقوبتهم في عاجل الدنيا ببعض ما قد سلف من ذنوبهم.

﴿وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَسِقُونَ﴾، يقول: وإن كثيرا من اليهود.

﴿لَفَسِقُونَ﴾، يقول: لتاركوا العمل بكتاب الله، ولخارجون عن طاعته إلى معصيته».

القول على الله ووصفه بما لا يليق به

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ

مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيزِيدَ كَثِيرًا مِّنْهُنَّ مَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طَغْيَنًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا

(1) «جامع البيان» (10/ 392، 393).

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ [المائدة].

■ قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«قال أبو جعفر: وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن جرأة اليهود على ربهم، ووصفهم إياه بما ليس من صفته، توبيخا لهم بذلك، وتعريفا منه نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قديم جهلهم واغترارهم به، وإنكارهم جميع جميل أياديه عندهم، وكثرة صفحه عنهم وعفوه عن عظيم إجرامهم، واحتجاجا لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه له نبي مبعوث ورسول مرسل: أن كانت هذه الأنبياء التي أنبأهم بها كانت من خفي علومهم ومكنونها التي لا يعلمها إلا أحبارهم وعلماءهم دون غيرهم من اليهود، فضلا عن الأمة الأمية من العرب الذين لم يقرأوا كتابا، ولا وعوا من علوم أهل الكتاب علما، فأطلع الله على ذلك نبيه محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليقرر عندهم صدقه، ويقطع بذلك حجتهم.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ من بني إسرائيل، ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ يعنون: أن خير الله ممسك وعطاؤه محبوس عن الاتساع عليهم، كما قال تعالى ذكره في تأديب نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: 29].

وإنما وصف تعالى ذكره «اليد» بذلك، والمعنى العطاء، لأن عطاء الناس وبذل معروفهم الغالب بأيديهم. فجرى استعمال الناس في وصف بعضهم

(1) «جامع البيان» (19/ 450: 452).

بعضاً، إذا وصفوه بجود وكرم، أو ببخل وشح وضيق، بإضافة ما كان من ذلك من صفة الموصوف إلى يديه، كما قال الأعشى في مدح رجل:

يداك يدا مجد، فكف مفيدة وكف إذا ما ضن بالزاد تنفق

فأضاف ما كان صفة صاحب اليد من إنفاق وإفادة إلى «اليد». ومثل ذلك من كلام العرب في أشعارها وأمثالها أكثر من أن يحصى. فخاطبهم الله بما يتعارفونه ويتحاورونه بينهم في كلامهم فقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدُلُّهُ مَغْلُولَةٌ﴾ يعني بذلك: أنهم قالوا: إن الله يبخل علينا، ويمنعنا فضله فلا يفضل، كالمغلوله يده الذي لا يقدر أن يبسطها بعتاء ولا بذل معروف، تعالى الله عما قالوا، أعداء الله!

فقال الله مكذبهم ومخبرهم بسخطه عليهم: ﴿عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾، يقول: أمسكت أيديهم عن الخيرات وقبضت عن الانبساط بالعطيات.

﴿وَلَعَنُوا بِمَا قَالُوا﴾ وأبعدوا من رحمة الله وفضله بالذي قالوا من الكفر وافترؤا على الله ووصفوه به من الكذب والإفك.

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ يقول: بل يده ميسوطتان بالبذل والإعطاء وأرزاق عباده وأقوات خلقه غير مغلولتين ولا مقبوضتين.

﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ يقول: يعطي هذا ويمنع هذا فيقدر عليه.

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، وقد رد الله، رَحِمَهُ اللهُ، عليهم ما قالوه، وقابلهم فيما اختلقوه وافتروه واثفكوه، فقال: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ وهكذا وقع لهم، فإن عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة أمر عظيم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ٥٥﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ أَيْنَ مَا تَقِفُوا لَا يَجْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَجِبِلٌ مِنَ النَّاسِ﴾ الآية [آل عمران: 112].

ثم قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ أي: بل هو الواسع الفضل، الجزيل العطاء، الذي ما من شيء إلا عنده خزائنه، وهو الذي ما بخلقه من نعمة فمنه وحده لا شريك له، الذي خلق لنا كل شيء مما نحتاج إليه، في ليلنا ونهارنا، وحضرنا وسفرنا، وفي جميع أحوالنا، كما قال تعالى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ الآية [إبراهيم: 34]. والآيات في هذا كثيرة.

وقد قال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ يَمِينُ

(1) «تفسير ابن كثير» (3/147).

الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغيض ما في يمينه» قال: «وعرشه على الماء، وفي يده الأخرى القبض، يرفع ويخفض»: قال: قال الله تعالى: «أنفق أنفق عليك» أخرجاه في الصحيحين.

وترى هذه الصفة قد اتبعهم فيها كثير من مبتدعة هذه الأمة:

فالجهمية نفوا عن الله أسماءه الحسنى، وصفاته العلى.

والمعتزلة نفوا عن الله صفاته العلى.

والأشاعرة نفوا عن الله صفاته العلى، وأثبتوا سبع صفات، وليس كإثبات أهل السنة والجماعة.

وهكذا تشبه بهم من الماتريدية والكلابية والفلاسفة كثير، حتى خرج بعضهم من الإسلام كالفلاسفة، والجهمية، ومن رد حكم الله وشرعه منهم.

وأما أهل السنة المعتصمون بالكتاب والسنة، من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، فأثبتوا لله ما أثبتته لنفسه، ونفوا عن الله ما نفاه عن نفسه، من غير تمثيل ولا تعطيل.

التعنت وزيادة الطغيان عند سماع الحق

قال الله تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَلَئِنَّ بَيْنَهُمْ

الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَقْدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ [المائدة].

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«وقوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾، أي: يكون ما أتاك الله يا محمد من النعمة نقمة في حق أعدائك من اليهود وأشباههم، فكما يزداد به المؤمنون تصديقاً وعملاً صالحاً وعلماً نافعا، يزداد به الكفرة الحاسدون لك ولأمتك، ﴿طُغْيَانًا﴾ وهو: المبالغة والمجازرة للحد في الأشياء، ﴿وَكُفْرًا﴾ أي: تكديبا، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَادَانِهِمْ وَقَرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: 44]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: 82]».

إيقاظهم لنار الكرب

قال الله تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَعْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: 64].

■ قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

«فسبق من الله كلمة عند ذلك أنهم لن يظهروا على عدو آخر الدهر، فقال: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾،

(1) «تفسير ابن كثير» (3/ 147).

(2) «جامع البيان» (10/ 459: 461).

فبعث الله عليهم المجوس الثالثة أربابا، فلم يزالوا كذلك والمجوس على رقابهم، وهم يقولون: «يا ليتنا أدركنا هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا، عسى الله أن يفكنا به من المجوس والعذاب الهون»! فبعث محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واسمه «محمد»، واسمه في الإنجيل «أحمد» فلما جاءهم وعرفوا، كفروا به، قال: ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 89]، وقال: ﴿فَبَاءُ وَيَغَضِبُ عَلَى غَضَبٍ﴾ [البقرة: 90].

وروى عن مجاهد: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ هم اليهود.

وروى عن قتادة: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أولئك أعداء الله اليهود، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، فلن تلقى اليهود ببلد إلا وجدتهم من أذل أهله. لقد جاء الإسلام حين جاء، وهم تحت أيدي المجوس أبغض خلقه إليه.

وروى عن السدي قوله: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ قال: كلما أجمعوا أمرهم على شيء فرقه الله، وأطفأ حدهم ونارهم، وقذف في قلوبهم الرعب.

وروى عن مجاهد قوله: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ قال: حرب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ويعمل هؤلاء اليهود والنصارى بمعصية الله، فيكفرون بآياته ويكذبون رسله، ويخالفون أمره ونهيه، وذلك سعيهم فيها بالفساد ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾، يقول: والله لا يحب من كان عاملا بمعاصيه

في أرضه».

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«وقوله: ﴿كَلَّمَآ أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾، أي: كلما عقدوا أسبابا يكيدونك بها، وكلما أبرموا أمورا يحاربونك بها يبطلها الله ويرد كيدهم عليهم، ويحقيق مكرهم السيء بهم».

قلت: وهكذا تشبه بهم كثير ممن يشعل نار الحروب من هذه الأمة من رافضة ومجرمين وغيرهم، نسأل الله أن يسلم المسلمين من شرهم، وأن يجعل الدائرة عليهم.

عَصِمَ تَبَطَّرَهُم بِالْفِتْنَةِ حَتَّى يَحْمُوا فِيهَا

قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا كَمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ [المائدة].

■ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

«يذكر تعالى أنه أخذ العهود والمواثيق على بني إسرائيل، على السمع والطاعة لله ولرسوله، فنقضوا تلك العهود والمواثيق، واتبعوا آراءهم وأهواءهم

(1) «تفسير ابن كثير» (3/ 147).

(2) «تفسير ابن كثير» (3/ 156).

وقدموها على الشرائع، فما وافقهم منها قبلوه، وما خالفهم ردوه؛ ولهذا قال: ﴿كَلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (٧٠) وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً ﴿٧١﴾ أي: وحسبوا ألا يترتب لهم شر على ما صنعوا، فترتب، وهو أنهم عموا عن الحق وصموا، فلا يسمعون حقا ولا يهتدون إليه، ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، أي: مما كانوا فيه ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾.

أي: بعد ذلك ﴿وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: مطلع عليهم وعليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية.

■ قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«قال أبو جعفر: يقول تعالى: وظن هؤلاء الإسرائيليون الذين وصف تعالى ذكره صفتهم: أنه أخذ ميثاقهم: وأنه أرسل إليهم رسلا وأنهم كانوا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقا وقتلوا فريقا أن لا يكون من الله لهم ابتلاء واختبار بالشدائد من العقوبات بما كانوا يفعلون.

﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾، يقول: فعموا عن الحق والوفاء بالميثاق الذي أخذته عليهم، من إخلاص عبادتي، والانتهاة إلى أمري ونهيي، والعمل بطاعتي، بحسبانهم ذلك وظنهم.

﴿وَصَمُوا﴾ عنه، ثم تبت عليهم. يقول: ثم هديتهم بلطف مني لهم حتى أنابوا ورجعوا عما كانوا عليه من معاصي وخلاف أمري والعمل بما أكرهه منهم، إلى

(1) «جامع البيان» (10/ 478، 479).

العمل بما أحبه، والانتهاه إلى طاعتي وأمرى ونهيتي.

﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾، يقول: ثم عموا أيضا عن الحق والوفاء بميثاقي الذي أخذته عليهم: من العمل بطاعتي، والانتهاه إلى أمرى، واجتناب معاصي.

﴿وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾، يقول: عمى كثير من هؤلاء الذين كنت أخذت ميثاقهم من بني إسرائيل، باتباع رسلي والعمل بما أنزلت إليهم من كتبي عن الحق وصموا، بعد توبتي عليهم، واستنفاذي إياهم من الهلكة.

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾، يقول: ﴿بَصِيرٌ﴾، فيرى أعمالهم خيرها وشرها، فيجازيهم يوم القيامة بجميعها، إن خيرا فخييرا، وإن شرا فشرا». ■ ثم وروى (1):

عن قتادة قوله: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ الآية يقول: حسب القوم أن لا يكون بلاء، ﴿فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾ كلما عرض بلاء ابتلوا به، هلكوا فيه.

ثم روى عن السدي: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾ يقول: حسبوا أن لا يبتلوا فعموا عن الحق وصموا.

وعن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾ قال: اليهود.

(1) «جامع البيان» (10/ 479، 480).

وعن ابن جريج عن مجاهد: ﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾ قال: يهود.

قال ابن جريج، عن عبد الله بن كثير قال: هذه الآية لبني إسرائيل قال: و«الفتنة» البلاء والتمحيص».

قلت: وهذه صفة شابههم فيها من الناس الكثير، والله المستعان.

تأتي الفتن فيظنون ويحسبون أنها ليست فتنا، ولا تحتاج إلى تبصر وتنبه وأخذ بجذ، فيسبب ذلك الظن الذي يزعمون أنه حسناً إلى العمى والصمم عن الحق والبحث عنه، فسبحان الذي بين في كتابه للناس، وضرب لهم من كل مثل، وأنزله تبياناً لكل شيء، ولكن أكثر الناس لا يفقهون.

مواليتهم للكفار ولو كانوا على غير دينهم

قال الله تعالى: ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا

قَدِمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ [المائدة].

■ قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾:

«قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدِمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ يقول: يتولون المشركين من عبدة الأوثان، ويعادون أولياء الله ورسوله.

﴿ لَبِئْسَ مَا قَدِمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ يقول تعالى ذكره: أقسم: لبئس الشيء الذي قدمت لهم أنفسهم أمامهم إلى معادهم في الآخرة.

(1) «جامع البيان» (10/ 497).

﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: قدمت لهم أنفسهم سخط الله عليهم بما فعلوا».

قلت: ولا يخفى مشابهة الكفار في هذه الخصلة من كثير من هذه الأمة كالإخوان المسلمين والرافضة وغيرهم ممن يدعون إلى التقارب معهم، أو يدعون إلى وحدة الأديان أو حوار الأديان، فاللهم سلم سلم.



فصل في ذكر بعض ما زاد فيه بعض أهل زماننا من مشابرة الكفار واتباع سننهم

الديمقراطية والانتخابات

الديمقراطية هي حكم الشعب نفسه بنفسه.

قال الله تعالى: ﴿وَأَن أٰحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِّنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة].

وهذا كفر بالله تعالى، القائل: ﴿إِن أَلْحَكُمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: 57]، ومع أنه لا شك في أنها من عند الكفار، ولا شك أيضًا في بعدها عن الإسلام، لكن نجد المسلمين يقبلونها شعبًا شعبًا، وتدخل إليهم بلدًا بلدًا، فإلى ربنا المشتكى.

وأما الانتخابات فهي من لوازم الديمقراطية، وما جاءت إلا من عندهم.

فاتباع هذه الأمة لسنن اليهود والنصارى كان مما أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بوقوعه، والتشبه بهم حرام، بل من الكبائر، لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» (1).

ومما غرانا به أعداء الله الانتخابات، وتبعهم فيها كثير من المسلمين يظنون

(1) «مسند أحمد» (5114)، عن ابن عمر وهو حديث حسن.

أنها تقدم، وأنها حضارة، وأنها ديمقراطية؛ وهي والله تعتبر تأخراً عن الدين، وتشبهاً بالكافرين، واستهانة بالمؤمنين، وقياماً للبغضاء والشحناء بين المسلمين.

وإليك بعض مفاسدها ومخالفتها للدين، وقد استفدتها من كلام أهل العلم والعارفين بمفاسدها من الثقات، ⁽¹⁾ نسأل الله أن ينجي المسلمين من شرها وأن يهديهم للحق وإقامة دينه، إنه على كل شيء قدير.

1- الانتخابات قائمة على أساس الديمقراطية: «وهي حكم الشعب لنفسه»، وإن عارض كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ عَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: 85]، ويقول: ﴿وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (٣٦) [الكهف].

والانتخابات قائمة على هذا الأساس الباطل، وهو جعل الحكم والتشريع لغير الله، الذي من اعتقده كان على خطر - عياداً بالله من النار -.

لأنها حكم الشعب نفسه، والحكم للأكثرية، وإن كانت على باطل ولا شك، فالله تعالى يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ (١٣) [سبأ]، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الصَّالِحِينَ: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: 24]، وقال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨٧) [الأعراف]، ويقول: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٣) [يوسف].

(1) وهناك كتاب لمحمد الإمام المسمى تنوير الظلمات وهو مما استفدنا من جمعه ولكن للأسف تغير الرجل وصار سياسياً ومتعصباً للمفتونين، والله المستعان.

إذاً فالحكم في الانتخابات للأكثر، وهم أهل الفساد، لأن الصالحين أقل منهم كما سمعت.

2- الانتخابات من شرع البشر بلا شك وليست من شرع الله، بل هي من سنن اليهود والنصارى، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [١١١] ﴿[الأنعام]، وقال في اليهود والنصارى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْكَبًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 31]، ولم يعبدوهم وإنما شرعوا لهم ما لم يأذن به الله، فكانت تلك عبادتهم.

3- اتهام الشريعة بأنها ناقصة، والله يقول في كتابه الكريم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»⁽¹⁾، وكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فيهما حل المشاكل، وأمن البلاد والعباد، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي»⁽²⁾.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ فْتَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ

(1) «صحيح مسلم» (1718).

(2) «المستدرک على الصحيحين للحاكم» (319).

وَيَاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»⁽¹⁾ ولن يزال الناس في تفرق وتمزق وشقاق حتى يراجعوا دينهم.

4- تضييع الولاء والبراء لله ورسوله، فالانتخابات يحب فيها الرجل من كان معه وإن كان فاسقاً أو رافضياً أو قاطعاً للصلاة، ويغض من ليس في صفه وإن كان مصلياً صائماً، والله تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿إِنهَاوَلَيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [المائدة: 55] الآية.

ويقول رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي، يَعْنِي فَلَانًا، لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»⁽²⁾.

فترى الأحزاب ربما يجتمع على الحزب الحاكم الاشتراكي، والبعثي، والإخواني، وغير هؤلاء من المقلقلين والثوار في السر أو العلن.

5- الخضوع للذساتير العلمانية التي وضعها البشر وفيها الموافقة على التعددية السياسية العقدية، والموافقة على قانون ميثاق الشرف، ومنها الالتزام بالدستور، وقانون مجلس النواب، ولا يُخطئ بعضهم بعضاً، ولا يُفسق بعضهم بعضاً، ولا ينكر بعضهم على بعض والله يقول: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [لقمان: 17]، وقوله عز وجل: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [آل عمران: 104] الآية.

(1) «صحيح ابن حبان» (5).

(2) «صحيح مسلم» (215)، عن عمرو بن العاص.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»⁽¹⁾.

6- إيهام المسلمين بالنجاح ظناً وتخميناً، والعداوة والبغضاء والقتل حاصل، فبال تخمينات ظناً تقع المفاسد يقيناً.

7- إنفاق الأموال في غير موضعها، وطاعة اليهود والنصارى.

قال الله تعالى: ﴿وَلَسْتُمْ لَنَا عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل، ٩٣] وقال: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء: 27].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ رَجُلًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمْ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽²⁾.

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»⁽³⁾.

فكم ينفقون في الصور المحرمة وكم ينفقون في الإغراءات!! سبحان الله! كيف لحقو بالغرب في جميع حركاتهم؟ وقد سمعت بعض إخواننا الأمريكيين والفرنسيين المسلمين يتعجبون ويقولون: هذا كله عند الكفار؟

(1) «صحيح مسلم» (49).

(2) «صحيح البخاري» (3118)، عن خولة الأنصارية.

(3) «صحيح مسلم» (118)، عن أبي هريرة.

8 - الانتخابات منهج مخالف لنهج الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في المواجهة، وعدم التشبه بالكفار، والبعد عن موافقهم، فهو الذي قال: «وَخَالَفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ»⁽¹⁾.

9 - الانتخابات تلبس على الناس، فقد يظن بعضهم أنها من الشرع.

10 - الانتخابات تفرق المسلمين، وهي من أعظم ما يفرق بين الأب وأبيه، والأخ أخيه، بل إنها قد تسبب القتل والقتال، وكم قد وقع ذلك بين المسلمين، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ»⁽²⁾. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا بُوِيعَ لِخَلَيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا»⁽³⁾ رواهما مسلم.

11 - الانتخابات تهدم الأخوة الإسلامية، والله تعالى يقول: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ

وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: 71].

12 - التعصب الممقوت في الانتخابات، وقد ذم الله العصبية الجاهلية إذ

قال: ﴿حِمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: 26].

(1) «مسند أحمد» (22283).

(2) «صحيح مسلم» (1852)، عن عرفة.

(3) «صحيح مسلم» (1853)، عن أبي سعيد الخدري.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُتِنَةٌ»⁽¹⁾، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَاتَلَ نَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَدْعُو إِلَى عَصَبِيَّةٍ، أَوْ يَعْصِبُ لِعَصَبِيَّةٍ، فَقَتَلَتْهُ جَاهِلِيَّةٌ»⁽²⁾.

13- الانتخابات فيها الانتصار للحزبية، التي هي من وضع أعداء الله للتفريق بين المسلمين.

14- الانتخابات تشتمل على التزكية حسب المصلحة، والكذب، فإن الذي يدلي بصوته يشهد أن صاحبه أحق وأصلح من غيره، وربما يعلم أن هذا خلاف الصدق والحق، وربما كان ذلك من أجل المال والمصلحة، والله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران].

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رِضْيٍ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطٌ»⁽³⁾.

15- حرص المرشح على إرضاء الناس، وهذا من صفات المنافقين، قال الله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة].

(1) «صحيح البخاري» (4905)، و«صحيح مسلم» (2584)، عن جابر بن عبد الله.

(2) «سنن ابن ماجه» (3948)، عن أبي هريرة.

(3) «صحيح البخاري» (2887).

16- الانتخابات فيها التزوير والمغالطة، والله تعالى يقول: ﴿وَأَجْتَنِبُوا

قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج]، وقال رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾

[الفرقان: 72].

والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»⁽¹⁾.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَالْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ فِي النَّارِ»⁽²⁾.

وذكره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أيضاً من الكبائر. فعَنْ أَنَسٍ - رضى الله عنه - قال: سِئَلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْكِبَائِرِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ»⁽³⁾.

17- ضياع الأوقات في الدعايات وغيرها، والله تعالى يقول: ﴿وَلْتَنْظُرْ

نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: 18].

ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»⁽⁴⁾.

18- المرشح يفتن بالمال من قبل الحزب، وهذا من الحيل المحرمة، والنبي

(1) «صحيح مسلم» (101)، عن أبي هريرة.

(2) «المعجم الصغير للطبراني» (738).

(3) «صحيح البخاري» (2653).

(4) «صحيح البخاري» (6412)، عن ابن عباس.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَإِنَّ فِتْنَةَ أُمَّتِي الْمَالُ»⁽¹⁾.

19- الاهتمام بال (كم) لا بال (كيف)، والله تعالى يقول: ﴿وَأِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ خِضَلُوْكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: 116]، فإرضاء الأكثرية ضلال وإنما يرضي الإنسان ربه وإن سخط عليه الناس، والمعتبر به في الانتخابات هي الأكثرية كما سبق في المقدمة، فإن القليل ليس لهم حظ ولو كانوا على حق ومن المؤمنين.

20- الاهتمام بالوصول إلى القمة دون النظر إلى الفساد العقدي، قال الله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: 189].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ»⁽²⁾، فإن الاهتمام بالعقيدة أمر من الله، ولذا مكث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُ الناس التوحيد عدة سنوات، وكذا رسل الله، لم يطلبوا الحكم والمنصب قبل التربية على توحيد الله ومراده.

21- قبول المرشح دون النظر إلى حاله وفساده وصلاحه وعقيدته ودينه.

والله تعالى يقول: ﴿أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: 58]، ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 174]، ويقول: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

سَبِيلًا﴾ [النساء: 141].

(1) «مسند أحمد» (17471).

(2) «صحيح مسلم» (1218).

22- استخدام النصوص الشرعية في غير موضعها، كقولهم: «انتخبوا ﴿ٱلْقَوَى ٱلْأَمِينُ﴾» [القصر]، وتعليق الآية على الجدران وفي الطرق، وهذا من التلاعب بالآيات والأحاديث، والعبث بها، مما لم يأمر الله به ولا رسوله، ولا هو من فعل سلفنا الصالح.

23- طلب الإمارة والمنصب وهذا حرام، لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سُمْرَةَ، لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ»⁽¹⁾ رواه مسلم. وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّا لَا نُؤَلِّي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ، وَلَا مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ»⁽²⁾، والأدلة كثيرة في الباب.

24- عدم مراعاة الشروط الشرعية للشهادة، قال الله تعالى: ﴿مِمَّنْ رَضَّوْنَ مِنْ الشُّهَدَاءِ﴾ [البقرة: 282].

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصحابه: «أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ»⁽³⁾، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُونَ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ»⁽⁴⁾، وفي الانتخابات يشهد كل من هب ودب.

25- المساواة غير الشرعية، والله تعالى يقول: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ [آل

(1) «صحيح البخاري» (6622)، و«صحيح مسلم» (1652).

(2) «صحيح البخاري» (7149).

(3) «صحيح مسلم» (949).

(4) «صحيح البخاري» (2642).

عمران: 36]، ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿أُولَئِكَ كَانُوا لَنَا نَعَمَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: 179]، ويقول أيضاً: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: 22].

فالقرآن والسنة يفرقان بين المؤمن والكافر، والصالح والطالح، والذكر والأنثى، والديمقراطية والانتخابات تجمع بينهم وكلهم سواء فيهما، فالله المستعان.

26 - فتنة النساء في الانتخابات وذلك بخروجهن، والله تعالى يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: 33]، ومساواتها بالرجال، وتحزبها، وتعصبها، وكشف يديها، وتصويرها، وكل هذه من المعاصي التي تغضب الله تعالى.

27 - حث الناس على حضور أماكن الزور، والله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: 72]، وقد سبق نحو هذا.

28 - التعاون على الإثم والعدوان للوصول إلى طريق مسدود، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2]، فكم فيها من سكوت عن المنكر ورضاً به، فالذي يصل إلى مجلس النواب - ممن يظن أنه ينصر دين الله - ما عساه يعمل وصوته كصوت امرأة وصوت فاسق.

29 - إهدار الجهود بلا فائدة، وذلك بتعب الناس، وإنفاق الأموال في غير مصلحة دينية تنفع البلاد والعباد.

30 - الوعود الخالية وخلف المواعيد، وذلك مما يحصل من المرشحين من كذب، ووعود بالمنجزات والأعمال التي يكثر الكذب فيها، مع تركية النفس.

31- تسمية الأمور بغير مسمياتها، الانتخابات بـ«الشورى»، والأحزاب بـ«الإسلامية».

32- التحالف المشبوه مع الأحزاب الزائغة والكفرية ضد بعضهم للمصالح، وهذا معروف جرمه.

33- إهدار شروط تحمّل الإمارة، ومنها:

1. اختيار أهل الحل والعقد له ويشترط فيهم:

1- الإسلام؛ 2- العمل؛ 3- الرجولة؛ 4- الحرية؛

5- التقوى؛ 6- العلم؛ 7- عدم البدعة؛ 8- البلوغ.

2. وشروط الذي يختار للمسؤولية:

1- الإسلام؛ 2- العقل؛

3- أن يكون قرشياً غير شيعي ولا رافضي ولا صوفي؛

4- أن يكون بالغاً؛ 5- ذكراً؛ 6- متجرباً؛

7- عنده شيء من العلم.

وهذا الكلام في الانتخابات كالقشور التي لا أهمية لها، بل هو هباء منثور، لأنه من علماء الدين ومن السلف الصالح وليس من أصول الديمقراطية.

34- الخروج على الحاكم المسلم (وإن كان غير قرشياً)، لقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59].

وفي الحديث: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمُنْشَطِ وَالْمَمْكُورِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ» (1).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» (2).

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيُضَبِّرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شَبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» (3).
والأحاديث في الباب أكثر من ثلاثين حديثاً.

ومن وراء الخروج على الحاكم: سفك الدماء، وفساد البلاد والعباد، كما يعلم العقلاء.

35- رفض السمع والطاعة في المعروف للحاكم، وشق العصا، وهذا حق للوالي يرفضه النظام الغربي من انتخابات وديمقراطية.

36- فتح مجال للأقليات اليهودية والنصرانية وغيرها للوصول إلى الحاكم، كما في بعض بلاد المسلمين، فالمسلمون فيها ثمانون في المائة ومع ذلك يحكمها نصراني باسم الانتخابات والديمقراطية، ولا مانع في هذا النظام من أن يرشح نصراني نفسه! فأين عزة الإسلام أيها المسلمون؟؟.

(1) «صحيح مسلم» (1709).

(2) «صحيح مسلم» (1851).

(3) «صحيح البخاري» (7054)، و«صحيح مسلم» (1849).

37 - عزل الحاكم بعد مرور مدة يجدها الدستور، فأين الدليل على هذا في الإسلام؟؟ بل هو من نظام الغرب بلا مدافع، فالرضا بذلك من الرضا بالباطل.

وفي الحديث عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعَنَا، فَكَانَ فِيْمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ»، قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»⁽¹⁾.

ولما سئل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن شرار الأئمة، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَايَتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»⁽²⁾، ففي شرعنا لا يعارض الوالي وإن جلس مائة سنة ما دام بعقله ودينه، وهذا ما أمر الله به.

38 - ما في الانتخابات من إذلال الإسلام وأهله، وأنهم محتاجون إلى أنظمة الكفار.

39 - ما يكون في أيام الانتخاب من المعاصي والمنكرات، كتضييع الصلوات، والغيبة، والنميمة، والسباب، والشتام، والقتل، والقتال، والنظر إلى النساء، مما يحصل في ذلك اليوم.

هذا بعض ما ذكرناه، وهناك ما لم يذكر، والله المستعان.

نسأل الله أن يوفق المسلمين لإقامة دينهم، وأن يجنبهم الفتن ما ظهر منها

(1) «صحيح البخاري» (7056)، و«صحيح مسلم» (1709).

(2) «صحيح مسلم» (1855).

وما بطن، وهذا ما يسر الله جمعه من مفسد الانتخابات.

المنظمة والقوانين الغربية

وكم وكم ترى من القوانين الغربية التي استبدلت عوضاً عن الكتاب والسنة عند المسلمين - عياداً بالله -، وهذا من أخطر ما تُشبه فيه بالكفار.

الفتنة والاختلاط بالنساء لسنة إسرائيلية

■ قال الإمام مسلم رحمه الله⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي مَسْلَمَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا نَضْرَةَ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ».

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ: «لَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ».

■ قال النووي رحمه الله⁽²⁾:

«قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلُوةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ»، هكذا هو في جميع النسخ.

«فاتقوا الدنيا»، ومعناه تجنبوا الافتتان بها وبالنساء، وتدخل في النساء الزوجات وغيرهن، وأكثرهن فتنة الزوجات، ودوام فتنتهن وابتلاء أكثر الناس بهن.

(1) «صحيح مسلم» (2742).

(2) «شرح النووي على مسلم» (54/17).

ومعنى «الدنيا خضرة حلوة» يحتمل أن المراد به شيئان:

أحدهما: حسنها للنفوس، ونضارتها، ولذتها، كالفاكهة الخضراء الحلوة فإن النفوس تطلبها طلبا حثيثا، فكذا الدنيا.

والثاني: سرعة فنائها كالشيء الأخضر في هذين الوصفين.

ومعنى «مستخلفكم فيها» جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم، فينظر هل تعملون بطاعته أم بمعصيته وشهواتكم».

قلت: واعلم أن اختلاط الرجال بالنساء في الدراسات أو الوظائف والمستشفيات من الفتن المضلة المقصودة من أعدائنا لإضلال الشباب من المسلمين، وأول فتنة بني إسرائيل في النساء، كما سبق.

ومن مفاسد ذلك أن:

1- اختلاط الرجال والنساء سبب الفتنة بالنساء، يقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ أَضُرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»⁽¹⁾.

2- اختلاط الرجال والنساء سبب لخروجهن من البيت، والله تعالى يقول:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: 33].

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ»⁽²⁾، ويقول: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرْتُ، فَمَرْتُ بِقَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ

(1) «صحيح البخاري» (5096)، و«صحيح مسلم» (2741).

(2) «سنن الترمذي» (1173).

رَإِيَّةٌ»⁽¹⁾.

3- اختلاط الرجال والنساء تعاون على الإثم والعدوان، فإن المرأة إذا خرجت فقد تعاونت مع الشيطان في فتنة الشباب، وتعاونت مع اليهود والنصارى في تطبيق مخططاتهم الخطيرة، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

4 - اختلاط الرجال والنساء سبب للنظر إلى الحرام، والله يقول: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور]، فكما أن الرجل مأمور بغض البصر فكذلك المرأة مأمورة بغض البصر، والنظرة إلى الحرام معصية تسبب حلول النقم، وحرمان الرزق، وغضب الله تعالى..

5- دراسة المرأة مع الرجال سبب لتركها الزواج وزهد الصالحين فيها، لأنها تخرج من بيتها كل يوم، وزد أيضاً أنها تنتظر خروجها من الدراسة، ثم الوظيفة، فما تدري إلا وهي عانسة تريد الزواج، ولا حول ولا قوة إلا بالله! فكم من امرأة تتمنى أن تعطي مالها كله ووظيفتها في حصول الزواج، أو في سبيل زواج حلال، ولا تجد، إلا النادر، والله المستعان، فلا تُخَدَّعِي يا أختاه.

6 - ما في الاختلاط من ذهاب الأخلاق الحسنة والصفات الطيبة، كالحياء والحشمة والعفاف والعفة، وكما قيل: «كثرة المساس تذهب الإحساس».

فيجب على المسلمين أن يتقوا الله في بناتهم وأخواتهم وأنفسهم.

(1) «مسند أحمد» (1971).

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: 6].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»⁽¹⁾.

وأن يتنبهوا للأفكار الغريبة والمخططات الخطيرة على نساء المسلمين وبناتهم، فإنهم يسعون جاهدين، ويدفعون الأموال في تسهيل خروج المرأة من دينها وبيتها إلى أيدي الذئاب والفساق من الشباب، ولا نعلم أنهم قد أعانوا بنات المسلمين على حفظ القرآن وتعلم كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وإنما يعينونهن على الوظيفة والعسكرة، والله إن هذه هي التعاسة والحياة الضنكة، فرب عفيفة محافظة على دينها بين أولادها في سعادة وطيب عيش أسعد من موظفة كم نظر إليها من مفتون؟ وكم كلمها من فاسق بيدها؟ بعض الأموال الزائلة وهي في تعاسة وضنك وضيق، قد رغب عنها الصالحون، بل وأصحاب الفطر السليمة، تتمنى أن تعيش عيش السعداء مع أولادها وتطيع زوجها، وكل هذا بسبب المعاصي.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: 124].

اللهم أصلح المسلمين يا رب العالمين، ولا تجعل للشيطان ولا لليهود والنصارى إليهم سبيل.

مع العلم أن العلماء قد حرموا الدراسة الاختلاطية، وانظر فتوى شيخ الإسلام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، وفتوى اللجنة الدائمة (4470) في وجوب الحجاب

(1) «صحيح البخاري» (893)، و«صحيح مسلم» (1829).

على البالغة، وتعويد من لم تبلغ على ذلك، وفتوى اللجنة الدائمة (4617) فما بعد، وفتوى الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، وشيخنا يحيى بن علي الحجوري في رسالته «فتوى حول الدراسة الاختلاطية».

■ قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

«الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فقد اطلعت على ما نشرته جريدة السياسة الصادرة يوم 1404 / 7 / 24 هـ، بعددها 5644 منسوباً إلى مدير جامعة صنعاء عبد العزيز المقالح، الذي زعم فيه أن المطالبة بعزل الطالبات عن الطلاب مخالفة للشريعة، وقد استدل على جواز الاختلاط بأن المسلمين من عهد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كانوا يؤدون الصلاة في مسجد واحد، الرجل والمرأة، وقال: «ولذلك فإن التعليم لا بد أن يكون في مكان واحد»، وقد استغربت صدور هذا الكلام من مدير لجامعة إسلامية في بلد إسلامي يطلب منه أن يوجه شعبة من الرجال والنساء إلى ما فيه السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة، فإننا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولا شك أن هذا الكلام فيه جناية عظيمة على الشريعة الإسلامية، لأن الشريعة لم تدع إلى الاختلاط حتى تكون المطالبة بمنعه مخالفة لها، بل هي تمنعه وتشدد في ذلك كما قال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: 33] الآية، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَّا رَوْحَكَ

(1) «مجموع فتاوى ومقالات العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز» (4/ 245: 253).

وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ ﴿٥٩﴾ [الأحزاب: 59]، وقال سبحانه: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ ﴿٦٠﴾ إلى أن قال سبحانه: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٦١﴾ [النور]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ ﴿٦٢﴾ [الأحزاب: 53]... الآية.

وفي هذه الآيات الكريمات الدلالة الظاهرة على شرعية لزوم النساء لبيوتهن حذرا من الفتنة بهن، إلا من حاجة تدعو إلى الخروج، ثم حذرهن سبحانه من التبرج تبرج الجاهلية، وهو إظهار محاسنهن ومفاتنهن بين الرجال، وقد صح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «مَا تَرَكَتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»⁽¹⁾ متفق عليه، وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»⁽²⁾، ولقد صدق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فإن الفتنة بهن عظيمة،

(1) «صحيح البخاري» (5096)، و«صحيح مسلم» (2740) عن أسامة بن زيد.

(2) «صحيح مسلم» (2742).

ولا سيما في هذا العصر الذي خلع فيه أكثرهن الحجاب، وتبرجن فيه تبرج الجاهلية، وكثرت بسبب ذلك الفواحش والمنكرات، وعزوف الكثير من الشباب والفتيات عما شرع الله من الزواج في كثير من البلاد.

وقد بين الله سبحانه أن الحجاب أطهر لقلوب الجميع، فدل ذلك على أن زواله أقرب إلى نجاسة قلوب الجميع وانحرافهم عن طريق الحق، ومعلوم أن جلوس الطالبة مع الطالب في كرسي الدراسة من أعظم أسباب الفتنة.

ومن أسباب ترك الحجاب الذي شرعه الله للمؤمنات ونهاهن عن أن يبدن زينتهن لغير من بينهم الله سبحانه في الآية السابقة من سورة النور، ومن زعم أن الأمر بالحجاب خاص بأمهات المؤمنين فقد أبعد النجعة، وخالف الأدلة الكثيرة الدالة على التعميم، وخالف قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: 53]، فإنه لا يجوز أن يقال إن الحجاب أطهر لقلوب أمهات المؤمنين ورجال الصحابة دون من بعدهم، ولا شك أن من بعدهم أحوج إلى الحجاب من أمهات المؤمنين ورجال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لما بينهم من الفرق العظيم في قوة الإيمان والبصيرة بالحق، فإن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ رجالا ونساء ومنهن أمهات المؤمنين هم خير الناس بعد الأنبياء، وأفضل القرون بنص الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ المخرج في الصحيحين، فإذا كان الحجاب أطهر لقلوبهم، فمن بعدهم أحوج إلى هذه الطهارة وأشد افتقارا إليها ممن قبلهم؛ ولأن النصوص الواردة في الكتاب والسنة لا يجوز أن يخص بها أحد من الأمة إلا بدليل صحيح يدل على التخصيص، فهي عامة لجميع الأمة في عهده

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وبعده إلى يوم القيامة؛ لأنه سبحانه بعث رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى الثقلين في عصره وبعده إلى يوم القيامة، كما قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿قُلْ يَتَايَهَاتُ النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: 28].

وهكذا القرآن الكريم لم ينزل لأهل عصر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وإنما أنزل لهم ولمن بعدهم ممن يبلغه كتاب الله، كما قال تعالى: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ﴾ [إبراهيم]، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: 19] الآية، وكان النساء في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يختلطن بالرجال لا في المساجد ولا في الأسواق الاختلاط الذي ينهي عنه المصلحون اليوم.

ويرشد القرآن والسنة وعلماء الأمة إلى التحذير منه حذرا، وكنا في مسجده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يصلين خلف الرجال في صفوف متأخرة عن الرجال، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا»⁽¹⁾، حذرا من افتتان آخر صفوف الرجال بأول صفوف النساء .

وكان الرجال في عهده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يؤمرون بالتريث في الانصراف حتى تمضي النساء وتخرجن من المسجد لئلا يختلط بهن الرجال في أبواب

(1) «صحيح مسلم» (440)، عن أبي هريرة.

المساجد، مع ما هم عليه جميعا رجالا ونساء من الإيمان والتقوى فكيف بحال من بعدهم؟!

وكانت النساء ينهون أن يحققن الطريق، ويؤمرن بلزوم حافات الطريق حذرا من الاحتكاك بالرجال، والفتنة بمماسة بعضهم بعضا عند السير في الطريق، وأمر الله سبحانه نساء المؤمنين أن يدينن عليهن من جلابيبهن حتى يغطين بها زينتهن حذرا من الفتنة بهن، ونهاهن سبحانه عن إبداء زينتهن لغير من سمى الله سبحانه في كتابه العظيم، حسما لأسباب الفتنة وترغيبا في أسباب العفة والبعد عن مظاهر عن مظاهر الفساد والاختلاط، فكيف يسوغ لمدير جامعة صنعاء - هداة الله وألهمه رشده - بعد هذا كله، أن يدعو إلى الاختلاط ويزعم أن الإسلام دعا إليه وأن الحرم الجامعي كالمسجد، وأن ساعات الدراسة كساعات الصلاة، ومعلوم أن الفرق عظيم، والبون شاسع، لمن عقل عن الله أمره ونهيه، وعرف حكمته سبحانه في تشريعه لعباده، وما بين في كتابه العظيم من الأحكام في شأن الرجال والنساء.

وكيف يجوز لمؤمن أن يقول: إن جلوس الطالبة بحذاء الطالب في كرسي الدراسة مثل جلوسها مع أخواتها في صفوفهن خلف الرجال، هذا لا يقوله من له أدنى مسكة من إيمان وبصيرة يعقل ما يقول، هذا لو سلمنا وجود الحجاب الشرعي، فكيف إذا كان جلوسها مع الطالب في كرسي الدراسة مع التبرج وإظهار المحاسن والنظرات الفاتنة.

والأحاديث التي تجر إلى الفتنة، فالله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله،

قال الله عزَّوجلَّ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ﴿٤٦﴾ [الحج].

وأما قوله: (والواقع أن المسلمين منذ عهد الرسول كانوا يؤدّون الصلاة في مسجد واحد الرجل والمرأة ولذلك فإن التعليم لا بد أن يكون في مكان واحد).

فالجواب عن ذلك أن يقال: هذا صحيح، لكن كان النساء في مؤخرة المساجد مع الحجاب والعناية والتحفظ مما يسبب الفتنة، والرجال في مقدم المسجد، فيسمعن المواعظ والخطب ويشاركن في الصلاة ويتعلمن أحكام دينهن مما يسمعن ويشاهدن، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في يوم العيد وأما زعمه - أصلحه الله - أن الدعوة إلى عزل الطالبات عن الطلبة تزلت ومخالف للشريعة، فهي دعوى غير مسلمة، بل ذلك هو عين النصح لله ولعباده والحيلة لدينه والعمل بما سبق من الآيات القرآنية والحديثين الشريفين، ونصيحتي لمدير جامعة صنعاء أن يتقي الله عز وجل وأن يتوب إليه سبحانه مما صدر منه، وأن يرجع إلى الصواب والحق، فإن الرجوع إلى ذلك هو عين الفضيلة والدليل على تحري طالب العلم للحق والإنصاف.

والله المسئول سبحانه أن يهدينا جميعا سبيل الرشاد وأن يعيذنا وسائر المسلمين من القول عليه بغير علم، ومن مضلات الفتن ونزغات الشيطان، كما أسأله سبحانه أن يوفق علماء المسلمين وقادتهم في كل مكان لما فيه صلاح البلاد والعباد في المعاش والمعاد، وأن يهدي الجميع صراطه المستقيم إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى

يوم الدين».

انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ.

التزام الزَّيِّ الغربي

فكم ترى من لباس المسلمين ما تشبهوا فيه بأعدائهم من لباس البناتيل والموضات الغربية، بل يلزمون المسلمين الموظفين والطلاب في الجامعات والمدارس والمستشفيات والدوائر الحكومية والمعسكرات بلباس الكفار والبناتيل التي ما عرفها المسلمون إلا منهم، أعاذنا الله والمسلمين من كل شر.

أدوات التجميل

وتعذب كثير من المسلمات، بل تعدى ذلك إلى الشباب، استعمال التساحيق وأدوات التجميل التي تغير خلق الله، وتهلك الأجسام؛ ومن ذلك القصات التي جاءت من عند الكفار؛ فاللهم سلم سلم.

ومما تشبه فيه كثير من المسلمين بالكفار في منكرات الأعراس

وفي الأعراس تشبه كثير من المسلمين بالكفار في كثير من شأنهم.

فمن ذلك:

1. دبله الخطوبة.
2. جعل صالات للأفراح في بعض المناطق.
3. سماع الأغاني والطبول للرجال.
4. عرض العقد على بعض السادة كفعل النصارى.
5. تشغيل أصوات السيارات عند الذهاب بالعروس إلى زوجها.

6. التزام الدعوات بالورق والمبالغة في قيمة الدعوات، ومن لم يؤتها ربما لا يحضر.

وهناك ما لا أستحضره مما يجب الحذر منه، ونكتفي بالإشارة لمن كان ذا عقل سديد.

فِي مَا شَابَهُ فِيهِ الرَافِضَةُ إِخْوَانَهُمْ وَأَسْيَابَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ

اعلم رحمك الله أنه ما من سنة من سنن اليهود إلا وتجد الرافضة لهم فيها متبعين، ولسبيلهم مقتدين، وبطرقهم سائرين لأن مؤسسهم اللعين عبد الهوى المدعو عبد الله بن سبأ الذي كان أصله يهوديا، ثم ادعى الإسلام فدخل على من علم الله النفاق والشر في قلوبهم، فأفسد عليهم دينهم.

■ قال شيخ الإسلام⁽¹⁾:

روى أبو حفص بن شاهين في كتاب «اللطيف في السنة» حدثنا محمد بن أبي القاسم بن هارون، حدثنا أحمد بن الوليد الواسطي، حدثني جعفر بن نصير الطوسي الواسطي، عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول، عن أبيه قال: قال لي الشعبي: أحذركم هذه الأهواء المضلة وشرها الرافضة لم يدخلوا في الإسلام رغبة ولا رهبة، ولكن مقتا لأهل الإسلام، وبغيا عليهم قد حرقهم علي رضي الله عنه بالنار، ونفاهم إلى البلدان، منهم عبد الله ابن سبأ يهودي من يهود صنعاء نفاه إلى ساباط، وعبد الله بن يسار نفاه إلى خازر.

وآية ذلك أن محنة الرافضة محنة اليهود، قالت اليهود: لا يصلح الملك إلا

(1) «منهاج السنة النبوية» (1/23: 40).

في آل داود، وقالت الرافضة: لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي وقالت اليهود لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال، وينزل سيف من السماء.

وقالت الرافضة: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي، وينادي مناد من السماء.

واليهود يؤخرون الصلاة إلى اشتباك النجوم، وكذلك الرافضة يؤخرون المغرب إلى اشتباك النجوم، والحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لا تزال أمتي على الفطرة ما لم يؤخروا المغرب إلى اشتباك النجوم».

واليهود تزول عن القبلة شيئاً، وكذلك الرافضة واليهود تنود في الصلاة، وكذلك الرافضة.

واليهود تسدل أثوابها في الصلاة، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يرون على النساء عدة، وكذلك الرافضة، واليهود حرفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن.

واليهود قالوا: افترض الله علينا خمسين صلاة، وكذلك الرافضة واليهود لا يخلصون السلام على المؤمنين إنما يقولون: السام عليكم، - والسام الموت -.

وكذلك الرافضة واليهود لا يأكلون الجري والمرماهي والذئاب.

وكذلك الرافضة واليهود لا يرون المسح على الخفين، وكذلك الرافضة.

واليهود يستحلون أموال الناس كلهم، وكذلك الرافضة وقد أخبرنا الله عنهم

بذلك في القرآن أنهم قالوا: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمْنِ سَكِيلٌ﴾ [آل عمران: 75].

وكذلك الرافضة واليهود تسجد على قرونها في الصلاة، وكذلك الرافضة، واليهود لا تسجد حتى تخفق برؤوسها مرارا شبه الركوع، وكذلك الرافضة.

واليهود تبغض جبريل، ويقولون: هو عدونا من الملائكة، وكذلك الرافضة يقولون: غلط جبريل بالوحي على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكذلك الرافضة وافقوا النصارى في خصلة النصارى: ليس لنسائهم صداق إنما يتمتعون بهن تمتعا، وكذلك الرافضة يتزوجون بالمتعة، ويستحلون المتعة.

وفضلت اليهود والنصارى على الرافضة: بخصلتين سئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ قالوا أصحاب: موسى. وسئلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا حوارى عيسى. وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أمروا بالاستغفار لهم فسيبوهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا يثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة، ولا تجاب لهم دعوة؛ دعوتهم مدحوضة، وكلمتهم مختلفة، وجمعهم متفرق، ﴿كَلَّمَآ أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَاءَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: 64].

قلت: هذا الكلام بعضه ثابت عن الشعبي، كقوله: لو كانت الشيعة من البهائم لكانوا حمرا، ولو كانت من الطير لكانوا رخما، فإن هذا ثابت عنه.

قال ابن شاهين: حدثنا محمد بن العباس النحوي، حدثنا إبراهيم الحربي، حدثنا أبو الربيع الزهراني، حدثنا وكيع بن الجراح، حدثنا مالك بن مغول، فذكره، وأما السياق المذكور، فهو معروف عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول عن أبيه عن الشعبي.

وروى أبو عاصم خشيش بن أصرم في كتابه، ورواه من طريقه أبو عمرو الطلمنكي في كتابه في الأصول قال: أبو عاصم، حدثنا أحمد بن محمد، وعبد الوارث ابن إبراهيم، حدثنا السندي بن سليمان الفارسي، حدثني عبد الله بن جعفر الرقي، عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول، عن أبيه قال: قلت لعامر الشعبي: ما ردك عن هؤلاء القوم، وقد كنت فيهم رأساً؟

قال: رأيتهم يأخذون بأعجاز لا صدور لها، ثم قال لي: يا مالك لو أردت أن يعطوني رقابهم عبيداً، أو يملئوا لي بيتي ذهباً، أو يحجوا إلى بيتي هذا على أن أكذب على علي رضي الله عنه لفعلوا، ولا والله لا أكذب عليه أبداً. يا مالك إنني قد درست الأهواء، فلم أر فيها أحق من الخشبية، فلو كانوا من الطير لكانوا رخماً، ولو كانوا من الدواب لكانوا حمراً. يا مالك لم يدخلوا في الإسلام رغبة فيه لله، ولا رهبة من الله، ولكن مقتاً من الله عليهم، وبغياً منهم على أهل الإسلام يريدون أن يغمصوا دين الإسلام، كما غمص بولص بن يوشع ملك اليهود دين النصرانية، ولا تجاوز صلاتهم آذانهم، قد حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار، ونفاهم من البلاد، منهم عبد الله بن سبأ يهودي من يهود صنعاء نفاه إلى ساباط، وأبو بكر الكروس نفاه إلى الجابية، وحرق منهم قوماً أتوه، فقالوا: أنت هو، فقال: من أنا؟ فقالوا: أنت ربنا، فأمر بنار، فأججت، فألقوا فيها، وفيهم قال علي رضي الله عنه:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناري، ودعوت قنبرا

يا مالك، إن محتهم محنة اليهود قالت اليهود: لا يصلح الملك إلا في آل

داود، وكذلك قالت الرافضة: لا تصلح الإمامة إلا في. ولد علي، وقالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله حتى يبعث الله المسيح الدجال، وينزل سيف من السماء، وكذلك الرافضة قالوا: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الرضا من آل محمد، وينادي مناد من السماء: اتبعوه.

وقالت اليهود: فرض الله علينا خمسين صلاة في كل يوم وليلة، وكذلك الرافضة، واليهود لا يصلون المغرب حتى تشتبك النجوم، وقد جاء عن النبي. - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لا تزال أمتي على الإسلام ما لم يؤخروا المغرب إلى اشتباك النجوم مضاهاة لليهود»، وكذلك الرافضة، واليهود إذا صلوا زالوا عن القبلة شيئاً، وكذلك الرافضة.

واليهود تنود في صلاتها، وكذلك الرافضة، واليهود يسدلون أثوابهم في الصلاة، وقد بلغني «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مر برجل سادل ثوبه، فعطفه عليه»، واليهود يسجدون في صلاة الفجر الكندرة، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يخلصون بالسلام إنما يقولون: سام عليكم، وهو الموت، وكذلك الرافضة، واليهود حرفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن، واليهود عادوا جبريل، فقالوا: هو عدونا، وكذلك الرافضة قالوا: أخطأ جبريل بالوحي، واليهود يستحلون أموال الناس، وقد نبأنا الله عنهم أنهم قالوا: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمْنَيْنِ سَكِيلٌ﴾ [آل عمران: 75]، وكذلك الرافضة يستحلون مال كل مسلم واليهود يستحلون دم كل مسلم، وكذلك الرافضة، واليهود يرون غش الناس، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يعدون الطلاق شيئاً إلا عند كل حيضة، وكذلك الرافضة، واليهود ليس لنسائهم صداق إنما يمتعوهن، وكذلك الرافضة يستحلون المتعة، واليهود لا يرون العزل عن السراري، وكذلك الرافضة.

واليهود يحرمون الجري، والمرماهى، وكذلك الرافضة، واليهود حرموا الأرنب، والطحال، وكذلك الرافضة، واليهود لا يرون المسح على الخفين، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يلحدون، وكذلك الرافضة، وقد ألحد لنا نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واليهود يدخلون مع موتاهم في الكفن سعة رطبة، وكذلك الرافضة.

ثم قال لي: يا مالك: وفضلتهم اليهود، والنصارى بخصلة. قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسى، وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: حواري محمد يعنون بذلك طلحة، والزبير؛ أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، ودعوتهم مدحوضة، ورايتهم مهزومة، وأمرهم متشتت كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين.

وقد روى أبو القاسم الطبري في «شرح أصول السنة»، نحو هذا الكلام من حديث وهب بن بقية الواسطي، عن محمد بن حجر الباهلي، عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول، فهذا الأثر قد روي عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول من وجوه متعددة يصدق بعضها بعضا، وبعضها يزيد على بعض، لكن عبد الرحمن

بن مالك بن مغول ضعيف، وذم الشعبي لهم ثابت من طرق أخرى.

لكن لفظ الرافضة إنما ظهر لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين في خلافة هشام، وقصة زيد بن علي بن الحسين كانت بعد العشرين ومائة، سنة إحدى وعشرين، أو اثنتين وعشرين ومائة في أواخر خلافة هشام قال أبو حاتم البستي: قتل زيد بن علي بن الحسين بالكوفة سنة اثنتين وعشرين ومائة، وصلب على خشبة، وكان من أفاضل أهل البيت، وعلمائهم، وكانت الشيعة تنتحله.

قلت: ومن زمن خروج زيد افتقرت الشيعة إلى رافضة، وزيدية، فإنه لما سئل عن أبي بكر، وعمر، فترحم عليهما رفضه قوم، فقال. لهم: رفضتموني، فسموا رافضة لرفضهم إياه، وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيدا؛ لانتسابهم إليه، ولما صلب كانت العباد تأتي إلى خشبته بالليل، فيتعبدون عندها، والشعبي توفي في أوائل خلافة هشام، أو آخر خلافة يزيد بن عبد الملك أخيه سنة خمس ومائة، أو قريبا، من ذلك، فلم يكن لفظ الرافضة معروفا إذ ذاك، وبهذا وغيره يعرف كذب لفظ الأحاديث المرفوعة التي فيها لفظ الرافضة.

ولكن كانوا يسمون بغير ذلك الاسم، كما كانوا يسمون الخشبية لقولهم: إنا لا نقاتل بالسيف إلا مع إمام معصوم، فقاتلوا بالخشب، ولهذا جاء في بعض الروايات عن الشعبي قال: ما رأيت أحقق من الخشبية.

فيكون المعبر عنهم بلفظ الرافضة ذكره بالمعنى مع ضعف عبد الرحمن، ومع أن الظاهر أن هذا الكلام إنما هو نظم عبد الرحمن بن مالك بن مغول، وتأليفه، وقد سمع طرفا منه عن الشعبي، وسواء كان هو ألفه، أو نظمه لما رآه من

أمور الشيعة في زمانه، ولما سمعه عنهم، أو لما سمع من أقوال أهل العلم فيهم، أو بعضه، أو مجموع الأمرين، أو بعضه لهذا، أو بعضه لهذا، فهذا الكلام معروف بالدليل لا يحتاج إلى نقل، وإسناد.

وقول القائل: إن الرافضة تفعل كذا، وكذا المراد به بعض الرافضة، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: 30]، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: 64]، لم يقل ذلك كل يهودي، بل قاله بعضهم وكذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: 173]، المراد به جنس الناس، وإلا فمعلوم أن القائل لهم غير الجامع، وغير المخاطبين المجموع لهم.

وما ذكره موجود في الرافضة، وفيهم أضعاف ما ذكر: مثل تحريم بعضهم للحم الإوز، والجمل مشابهة لليهود، ومثل جمعهم بين الصلاتين دائما، فلا يصلون إلا في ثلاثة أوقات مشابهة لليهود، ومثل قولهم: إنه لا يقع الطلاق إلا بإشهاد على الزوج مشابهة لليهود، ومثل تنجيسهم لأبدان غيرهم من المسلمين، وأهل الكتاب، وتحريمهم لذبائحهم، وتنجيس ما يصيب ذلك من المياه، والمائعات، وغسل الآنية التي يأكل منها غيرهم مشابهة للسامرة الذين هم شر اليهود، ولهذا يجعلهم الناس في المسلمين كالسامرة في اليهود ومثل استعمالهم التقية، وإظهار خلاف ما يبطنون من العداوة مشابهة لليهود، ونظائر ذلك كثير.

وأما سائر حماقاتهم فكثيرة جدا: مثل كون بعضهم لا يشرب من نهر حفره يزيد مع أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والذين معه كانوا يشربون من آبار، وأنهار حفرها

الكفار، وبعضهم لا يأكل من التوت الشامي، ومعلوم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن معه كانوا يأكلون مما يجلب من بلاد الكفار من الجبن، ويلبسون ما تنسجه الكفار، بل غالب ثيابهم كانت من نسج الكفار.

ومثل كونهم يكرهون التكلم بلفظ العشرة، أو فعل شيء يكون عشرة حتى في البناء لا يبنون على عشرة أعمدة، ولا بعشرة جذوع، ونحو ذلك لكونهم يبغضون خيار الصحابة، وهم العشرة المشهود لهم بالجنة - أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يبغضون هؤلاء إلا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويبغضون سائر المهاجرين، والأنصار من السابقين الأولين الذين بايعوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحت الشجرة - وكانوا ألفا وأربعمائة - وقد أخبر الله أنه قد رضي عنهم.

وثبت في صحيح مسلم وغيره عن جابر أيضا: أن أن غلام حاطب بن أبي بلتعة قال: يا رسول الله والله ليدخلن حاطب النار. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كذبت إنه شهد بدرا والحديبية».

وهم يتبرأون من جمهور هؤلاء، بل يتبرأون من سائر أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا نفرا قليلا نحو بضعة عشر.

ومعلوم أنه لو فرض في العالم عشرة من أكفر الناس لم يجب هجر هذا؛

اهـ.

قصيدة سميتها «إرشاد الحيارى لمشابهة الرافضة اليهود والنصارى» :

- بياناً لحال الرافضة المفسدين -:

والحمد للرحمن ذي الإحسان	بسم الإله مكون الأكوان
للدين من يدعوا إلى الكفران	وبه نقول مقالة ندعو بها
دين النبي الصادق الدهقان	فأعلم بأن الرافضين لديننا
وهم الروافض هم ذوو الطغيان	هم شر من وطئ الحصى من
شر مدى التاريخ في الأوطان	وهم البغاة كذا الطغاة وهم أو لوا
قام العدو على أولي الإيمان	ما قام حرب ضد أهل الدين أو
فرحين بالتنكيل والبهتان	إلا رأيت الرافضين بعيدهم
ومع اليهود كذا مع النصراني	فمع التار تراهم بتعاون
قد قاله علماؤنا ببيان	ودوا إلى الإسلام شر دائماً
سباً عليه لعائن الرحمن	أما إمامهم فعبد الله بن
في دين نصرانيهم بعلائي	وكبولص فعل الخبيث بمكره
سراه ولا سهو ولا نسيان	وبتقية في نهجهم من دون أك
أبدًا ولا قول النبي بعيان	لا يرتضون تحاكمًا بكتابنا
قول وفعل واعتقاد جنان	يتعمدون خلاف أهل الحق في
صفة المنافق ذاك في القرآن	إن كان إرجاف لمسلم يفرحوا
بيهودهم وكذلك النصراني	وغلوهم بالصالحين تشبهوا
فيهم كذا زيد مع الابنان	خذلوا عليًا والحسين ويطعنوا

ومع اليهود تشبهوا بمساجد
فانظر إلى الهادي بصعدة كيفهم
قالوا كمثّل المارقين من اليهود
لن يدخل الجنات غير رجالنا
وترى اليهود الحاسدين بحقدهم
وعداوة الكفار أهل الدين في
والافتراء على الإله تراه في
وبلا أسانيد يشابه نهجهم
ورمي اليهود الصالحات كمريم
تأخير إفطار لصائمهم ترى
والمال للمعصوم في حل لهم
والله قال بأنه فعل اليهود
وكذاك تحريف الكتاب ونصه
طعنوا النبي بسبهم أصحابه
وكذا أمور قد تراها كثرة
وأحل أهل الرفض متعة نسوة
سرق زناة معتدون فكم وكم
عيد الغدير لهم وليس بسنة
يا رب فالعنهم وخيب مكرهم

فيها القبور عبادة الأوثان
لترابه يأتون كالعميان
كذا النصاري بسّست الفتان
تبّاً لكم يا شيعة الشيطان
مثل الروافض فالعن القومان
حمر الروافض بين كل زمان
هم ذا كثير يا أولوا العرفان
نهج اليهود ترى بلا نقصان
ورمي الروافض بنت بن عثمان
فيهم تشابه فعلة النصراني
وقد استحلوا المال والنسوان
دبال عمران بلا نكران
مثل اليهود بمحكم القرآن
ونسائه بالزور والبهتان
في كتب أهل العلم والعرفان
منهم فلا تركز على ذا الزاني
فشرورهم أخزى من الحيوان
بل بدعة النوكاء من شيطان
وأكبت أولي الكفران والطغيان

جبريل قال يهود ذاك عدونا
 زاد اليهود بحنطة نوّنا كما
 والرافضي يقول يستولي وزا
 وتشابهوا في حصر ملكهم على
 وتشابهوا في قولهم إن الجهاد
 شأته وجوه الرافضين جميعهم
 مكن إلهي المسلمين من الروا
 والحمد للرحمن جل جلاله
 ثم الصلاة على النبي وآله

وهم يقولوا خائن بأمان
 في سورة الأعراف ذا بيان
 دالام ذا كفر بلا إيمان
 أصحابهم ذا منتهى البطلان
 موقّف حتى خروج فلان
 فألعنهم من بعد كل أذان
 فض في البلاد كذلك في إيران
 لولاه لم نهدي إلى الإيمان
 وعلى الصحابة هم أولو الرضوان

مشابهة الإخوان المسلمين لأهل الكتاب

وهم أتباع مؤسسهم حسن البناء، الذي أغرق حزبه في البدع والمعاصي بل
 وكثير من التنازلات عن أصول الدين ومنهج النبي الكريم وعقيدة سائر
 المسلمين، تحت ستار تأسيس دولة إسلامية، وتحت شعار «نجتمع فيما اتفقنا
 عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه»، فدخل في صفهم الشيعي والمعتزلي
 والصوفي، بل حسن البناء بنفسه صوفي حصافي ، بل من النصارى من نظم
 معهم.

ولا غرابة لأن هذه القاعدة معناها: السكوت عن المنكر، وعدم جرح
 المبطلين والمشرّكين والمبتدعة ما داموا معنا في حزبنا، يناصرونا على الثورة
 ضد الحكام وتغيير الحكم والأحكام.

حتى دخل في صفهم بعض المجرمين في الجزائر، وحتى اتحدوا مع أحزاب اللقاء من اشتراكيين وبعثيين وحوثيين ضد ولي الأمر، فلا غرابة أن يحصل منهم التشبه بالكفار، وقد كتب في ذلك أخونا عبد الوهاب الحجوري كتابًا أسماه «القيود في مشابهة الإخوان المسلمين للنصارى واليهود»، وكنت أتمنى أن أختصره هنا، لكن يكفي أن نحيل عليه فإنه قد جمع فأوعى - جزاه الله خيرًا -.

مشابهة الصوفية للنصارى

قد مر معنا في أبواب متفرقة في ذكر شرك أهل الكتاب، وتصويرهم لعبادهم، وبنائهم المساجد على القبور، والتنبيه على شرك الصوفية وأنهم متبعون للنصارى في كثير من المناهج والطرق والتعبد والرهبانية التي ما كتبها الله عليهم، وابتداع الأوراد والأذكار والعبادات الشركية المبتدعة.

■ ولذا قال الإمام الحبر شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تعالى⁽¹⁾:

«المعتزلة من أبعد الناس عن طريق أهل الكشف والخوارق والصوفية يذمونها ويعيبونها، وكذلك يبالغون في ذم النصارى أكثر مما يبالغون في ذم اليهود وهم إلى اليهود أقرب، كما أن الصوفية ونحوهم إلى النصارى أقرب؛ فإن النصارى عندهم عبادة وزهد وأخلاق بلا معرفة ولا بصيرة فهم ضالون، واليهود عندهم علم ونظر بلا قصد صالح ولا عبادة ولا زهد ولا أخلاق كريمة

(1) «مقدمة التفسير» (13/100).

فهم مغضوب عليهم، والنصارى ضالون».

■ وقال أيضا⁽¹⁾:

«وكذلك «الصوفية» عظموا جنس الإرادة إرادة القلب، وذموا الهوى وبالغوا في الباب، ولم يميز كثير منهم بين الإرادة الشرعية الموافقة لأمر الله ورسوله وبين الإرادة البدعية، بل أقبلوا على طريق الإرادة دون طريقة النظر، وأعرض كثير منهم فدخل عليهم الداخل من هاتين الجهتين؛ ولهذا صار هؤلاء يميل إليهم النصارى ويميلون إليهم، وأولئك يميل إليهم اليهود ويميلون إليهم، وبين اليهود والنصارى غاية التنافر والتباغض.

وكذلك بين أهل الكلام والرأي، وبين أهل التصوف والزهد، تنافر وتباغض.

وهذا وهذا من الخروج عن الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا».

■ وقال الشيخ يحيى حفظه الله⁽²⁾:

لما قال عمر بن حفيظ: «خبطوا بها عقول المؤمنين أهل التوحيد، أهل

(1) «مقدمة التفسير» (13/ 101).

(2) «السييل العريض الجارف لبعض ضلالات الصوفي عمر بن حفيظ» (ص/ 26).

اليقين، شوفوه حال في مكان من الأماكن».

رد الشيخ يحيى حفظه الله عليه بقوله:

«هل أهل السنة يقولون: شوفوه حال في مكان؟! سبحانك هذا بهتان عظيم، وإنما الحلولية منكم أنتم أصحاب العلاج الذي يقول: (أنا الله بلا شك، فسبحانك سبحاني، فتوحيدك توحيدي، وعصيانك عصياني).

من الحلولية نحن أم أنتم؟ نعم، وابن عربي منكم الذي يقول: «ما في الجبة إلا الله»، ويقول: (العبد رب، والرب عبد، ياليت شعري من المكلف) يعتقد أنه رب، وهكذا ابن سبعين الذي يقول وهو يسمع الكلب ينبح: (سبحانك يا رب العالمين).

وهكذا أبو يزيد البسطامي منكم الذي يقول: (سبحاني، سبحاني، ما أعظم شأني، الجنة لعبة صياني).

من الذي رد على الحلولية إلا أهل السنة، القول بالحلول كفر، الذي يعتقد أن الله حالٌ في البشر، كافر أكفر من اليهود والنصارى، والذي يعتقد أن الله متحد في البشر أو في المخلوقات كذلك كافر، أكفر من اليهود والنصارى كما أبان ذلك شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ، وغيره من أهل العلم، أن الحلولية كفر.

فإن الاتحادية يعتقدون: أن المرأة هي الله، الذي يأتي أهله ماذا يأتي، وأن الحمار هو الله، وأن الذي يركب الحمار ماذا يركب، وأن المزابل هي الله، أو أن الله حالٌ في الأماكن القذرة، نسأل الله السلامة، هذا قول الكفرة، هذا قول كفر، ولا النصارى يعتقدون هذه العقيدة، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ

أَلْتَصَرَّى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴿[التوبة: 30]﴾، فالصوفية في هذا الباب كفرهم أشد كفرًا من اليهود والنصارى، لأن النصارى يعتقدون أن الله حال في المسيح، أما الصوفية فجعلوه حالًا في كل شيء» اهـ.

ومن المتصوفة والمتبعين لهم في بعض أعمالهم جماعة التبليغ الهندية، وكذلك الإخوان المسلمين كما سلف آنفاً.

■ وأخيراً يقول شيخ الإسلام - رَحِمَهُ اللَّهُ -⁽¹⁾:

«كما أن كثيراً من زهاد الصوفية يشبه النصارى ويسلك في زهده وعبادته من الشرك والرهبانية ما يشبه سلوك النصارى ولهذا أمرنا الله تعالى أن نقول في صلاتنا اهدنا الصراط...».

ومنها التلحُّك والاهتزاز عند القراءة والذكر

مع العلم أنها محدثة وبدعة، ولأنه لم ينقل عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا عن أحد من الصحابة والتابعين أنهم كانوا يهتزون ويتحركون يميناً وشمالاً، أو أماماً ووراءاً، وهو من أفعال أهل الكتاب، وهو كثير عند الصوفية، بل لعلهم زادوا عليهم في ذلك.

وقد حدثنا بعض كبار السن أنهم كانوا يرون اليهود يفعلون ذلك عند تلاوة التوراة - زعموا - وإنما هو الكتاب المحرف، وحدثنا بعض إخواننا الذين كانوا نصارى فهداهم الله للإسلام أن النصارى يفعلون ذلك.

(1) «درء تعارض العقل والنقل» (94/7).

ذُكِرَ من قال أنه من فعل اليهود:

قال العيني رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾: «وقيل سموا يهودًا لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة».

وقال المناوي⁽²⁾: «يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة» اهـ.

فالحذر الحذر من ذلك.

ومما تشبه فيه المسلمون بأعدائهم المخدرات والمسكرات

ومما تشبه فيه المسلمون بأعدائهم، وتاهوا بسببه وضاعوا، فلا دنيا أصلحوا ولا دينًا أقاموا، لهو شرب المخدرات والمسكرات بشتى أنواعها من حبوب وغيرها، ومنها شجرة القات.

يقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: 29].

ويقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 27].

وهي من الشهوات المردية التي تدمر الأخلاق، وتنقص الأرزاق، وتهلك الأجسام، نهو هون نهو تكسب الآثام، وشجرة القات، والتنباك، وما دخل تحتها

(1) «عمدة القاري» (1/ 263).

(2) «فيض القدير» (1/ 345).

من الشمة والمدعة من الولع، والشهوات التي حرم الإسلام عواقبها وما تعود به من الأضرار.

هذا وقد حرمها العلماء العارفين بما يحصل منها من أضرار، ومنهم العلامة ابن باز، والفوزان، واللجنة الدائمة، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وشيخنا يحيى بن علي الحجوري، وعامة العلماء، وقال بعدم حله العلامة ابن عثيمين، ولا العلامة الوادعي رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

فاحذر يا أيها المسلم أضرار هذه الشجرة، وإياك يا عبد الله أن تعاند وتقدم شهوة نفسك وترتكب ما يضرك، والنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»⁽¹⁾.

ويقول الله تعالى في وصف نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: 157]، والقات والشمة والدخان من الخبائث باعتراف أكلها وغيره، والمدمن لها وغيره.

ومن أضرار هذه الشجرة الخبيثة، أم المصائب، الجالبة للبلاء:

1. أنها سبب للإسراف، وتجعل صاحبها لا يستطيع تركها فيكون من المسرفين، والله يقول: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام]، وقال الله: ﴿يَبْنَىْ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

(1) «مسند أحمد» (2865)، عن ابن عباس.

الْمُسْرِفِينَ ﴿٣٦﴾ [الأعراف: 31]، وقال تعالى: ﴿وَأَتَتْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يُبْدِرْ بُدِيرًا﴾ ﴿٣٧﴾ [الإسراء: ٣٧].

فاحذروا أيها الناس أن تنفقوا أموالكم فيما لا يرضي الله ولم يأذن به، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ رَجُلًا يَتَحَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽¹⁾.

وروى الترمذي عن نضلة بن عبيد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ»⁽²⁾.

قال الشيخ الألباني: صحيح.

2. أنه سبب لإهلاك الجسم من اصفرار العين، وضعف الباءة، وقلة الشهية للأكل، ومنها التهابات الفم وتساقط الأسنان، والذي يفقد أسنانه يلجأ إلى طريقة تجفيف أوراق القات وتحويلها إلى مسحوق يمضغه في فمه، ويؤدي القات إلى آلام شديدة في المعدة والأمعاء، وإلى الإمساك، وتصلب الشرايين، وأمراض الرئتين والسرطان، وكذلك من الجلوسات الطويلة يكثر عندهم الباصور والزائدة الدودية.

3. أنه سبب لضعف العقل وكثرة الوسوسة، وما أكثر الحالات النفسية التي

(1) «صحيح البخاري» (3118)، عن خولة الأنصارية.

(2) «سنن الترمذي» (2417).

وقعت عند أكلي القات، بل وبعضهم أصيب بالجنون وأصبح أبلهًا، والعياذ بالله من الشر -؛ وما ذلك كله إلا عقوبة من الله بسبب هذه المعصية، قال الله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: 30].

4. أنه سبب لتضييع الصلوات، يقول الله تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم]، فما ضيعوا الصلاة إلا من أجل الشهوات.

وخاصة صلاة العصر، وقد قال الله: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: 238]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ»⁽¹⁾ رواه البخاري، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ فَاتَتْهُ الْعَصْرُ، فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلُهُ وَمَالُهُ»⁽²⁾.

5. أنه سبب للغيبة والنسيمة والكلام الذي لا يرضي الله تعالى.

6. أنه سبب لضعف اقتصاد البلدان، وذهاب بركة الأرض، وقلة زراعة ما ينفع الناس من البر والشعير، وما ينفع من الخضروات والفواكه، قال الله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: 61].

7. أنه سبب للسرقة وانتشارها، فكم من رجل لا يجد ما يطفى به شهوته وعاداته الخبيثة فيلجأ إلى الحرام، سواء سرقة أو غيرها.

(1) «صحيح البخاري» (553).

(2) «صحيح البخاري» (552)، و«صحيح مسلم» (626).

8. أنه سبب للحلف الكاذب عند بيعه وشراءه، وكثرة الحلف في البيع ممحق، فكيف الكذب فيه؟!

9. أنه سبب لتخدير العقل، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ، فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ»⁽¹⁾، والقات لمن أكثر منه مسكر مخدر للعقل، فقليله حرام، وإن كان غير مخدر إلا أن فيه نوع تخدير، فانظر إلى المخزن كيف يجلس الساعات لا يقوم من مكانه؟

10. أنه سبب للهم والحزن بعد إخراجهم، وقد نهى الإسلام عن أشياء تسبب الحزن والهم، كتناجي الاثنين دون الثالث وغير ذلك.

11. أنه سبب للغضب على الأهل والأولاد وسوء الخلق معهم، وخاصة بعد مضغه..

12. أنه سبب لمنع بعض الولدان والأهل عن بعض ما ينفعهم من مأكّل ومشرب لأجل شهوته وحاجته للقات وما تعلق به قلبه.

13. أنه سبب لتشويه الإسلام عند الكفار، وإظهار أهله في صورة السكارى والمجانين.

14. أنه سبب لحصول المشاكل وكثرة الطلاق.

15. أنه سبب لقتل النفس في حوادث السواقين للسرعة الحاصلة من كثير منهم.

16. أنه سبب لسوء التربية للولد والأهل، فكم من رجل لا يدري ما يصنع أولاده وأهله، وهو عند أصحابه وجلسائه.

17. أن أكله سبب لسوء الخاتمة، فكم من رجل مات وهو مخزن، والنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»⁽¹⁾.

▪ وقد قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ⁽²⁾:

«من محمد بن إبراهيم، إلى حضرة المكرم رئيس الديوان العالي الموقر.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد اطلعنا على المعاملة الواردة منكم برقم 3122/10/16 وتاريخ 1376/11/29 حول استيضاح وزارة الداخلية عن العقوبة التي ينبغي أن تتخذ ضد مستعملي القات.

والواجب في حق مستعمله: أن يجلد أربعين جلدة، كما تجب هذه العقوبة على مستعملي التباك، وهو الذي يفتي به علماؤنا أئمة الدعوة النجدية رحمهم الله في تعاطي التباك، لاجتماعهما في الوصف المقتضي للتحريم وهو الإسكار والتفتير.

لما روى الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه بسند صحيح عن أن

(1) «صحيح مسلم» (2878)، عن جابر.

(2) «فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ» (95/12)، (96)؛ (ص/ف182 في 2/23/1377).

سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «نهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن كل مسكر ومفتر»، فيجب على أرباب الحسبة إقامة العقوبات الشرعية المترتبة على تعاطي سائر المخدرات، كما يجب عليهم إقامة الحدود على تعاطي المسكرات.

وعلى ولاية الأمور تحريضهم على ذلك ومساعدتهم فيما هنالك. وفق الله الجميع لما يصلح المسلمين، ويمنعهم من تعاطي ما يسخط رب العالمين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

■ وقد قال بعض العلماء:

ولا تأكلن القات رطباً ويابساً فذلك مضر داؤه فيه أعضلا
فقد قال أعلام من العلماء إن هذا حرام للتضرر مأكلاً

■ وقال⁽¹⁾: «وقال ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن شأن السكر بنحو الحشيشة والجوزة أنه يتولد عنه ضد ذلك من تخدير البدن وفتوره ومن طول السكوت والنوم وعدم الحمية.

إلى أن قال: انتهى جوابي في الجوزة، وهو مشتمل على نفائس تتعلق بهذا القات، بل هو ظاهر في حرمة القات، لأن الناس مختلفون في تأثير الجوزة فبعض أكلها يثبت لها تخديراً وبعضهم لا يثبت لها ذلك، فإذا حرّمها الأئمة مع اختلاف أكلها فليحرموا القات ولا نظر للاختلاف في تأثيره. انتهى كلام ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ.

(1) «فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ» (102/12).

وقد استقصى صفات القات ووصفه بصفات المسكر المضر بالعقل والأديان والأبدان».

ومما تشبه فيه المسلمون بأعياد أهل الأديان الغربية والمسيحية

لقد فضل الله المسلمين وجعل لهم عيدين في السنة، وعيدا في الجمعة وهو الجمعة، وتجد كثيرا من المسلمين يستبدلون بهما أعياد الكفار، ويعظمون أيامهم ومناسباتهم، ومنها: عيد العمال، وعيد الشجرة، وعيد الأم، وعيد الحب - وهو من أبشعها -.

ومن أشنعها وأخطرها وأشملها للشرك بالله والبدع في دين الله: عيد المولد النبوي، الذي اشترك في الاحتفال به الرافضة والصوفية، وهو يحتوي على شركيات وتوسلات شركية وبدع منكرة - عيادا بالله -.

وليس للمسلمين إلا عيدين في السنة، وعيد الأسبوع الجمعة.

■ قال البخاري رحمه الله⁽¹⁾:

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعِنْدِي جَارِيتَانِ مِنْ جَوَارِي الْأَنْصَارِ تُغْنِيَانِ بِمَا تَقَاوَلَتِ الْأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاثَ، قَالَتْ: وَلَيْسَتَا بِمُغْنِيَتَيْنِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمْزَامِيرُ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ فِي يَوْمِ عِيدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَهَذَا عِيدُنَا».

■ وقال أبو داود⁽¹⁾:

(1) «صحيح البخاري» (952).

حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ رُشَيْدٍ، حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو قِلَابَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي ثَابِتُ بْنُ الصَّحَّاحِ، قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُؤَانَةٍ فَآتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِبُؤَانَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثْنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا عَيْدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟»، قَالُوا: لَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ».

قال الشيخ الألباني: صحيح. وهو في «الصحيح المسند».

■ وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾:

حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، أَخْبَرَنَا حُمَيْدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟ قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْفِطْرِ، وَيَوْمَ النَّحْرِ».

إسناده صحيح. وقال الشيخ الألباني في «سنن أبي داود»: صحيح.

وقد توسع شيخ الإسلام في «اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم» في بيان هذه المسألة، بل ما كتب ذلك الكتاب النفيس إلا لبيان هذه

(1) «سنن أبي داود» (3313).

(2) «مسند أحمد» (13622)، و«سنن أبي داود» (1134).

المسألة كما ذكر في المقدمة، ولذا كان أكثر الكتاب في بيانها.

■ قال شيخ الإسلام⁽¹⁾:

«فقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هل بها عيد من أعيادهم؟» يريد اجتماعا معتادا من اجتماعاتهم التي كانت عيدا، فلما قال: لا، قال له: «أوف بنذكرك» وهذا يقتضي أن كون البقعة مكانا لعيدهم: مانع من الذبح بها - وإن نذر -، كما أن كونها موضع أوثانهم كذلك، وإلا لما انتظم الكلام، ولا حسن الاستفصال.

ومعلوم أن ذلك إنما هو لتعظيم البقعة التي يعظمونها بالتعديد فيها، أو لمشاركتهم في التعديد فيها، أو لإحياء شعار عيدهم فيها، ونحو ذلك؛ إذ ليس إلا مكان الفعل، أو نفس الفعل، أو زمانه.

فإن كان من أجل تخصيص البقعة - وهو الظاهر - فإنما نهى عن تخصيص البقعة لأجل كونها موضع عيدهم، ولهذا لما خلت من ذلك أذن في الذبح فيها، وقصد التخصيص باق، فعلم: أن المحذور تخصيص بقعة عيدهم، وإذا كان تخصيص بقعة عيدهم محذورا، فكيف بنفس عيدهم؟ هذا كما أنه لما كرهها لكونها موضع شركهم بعبادة الأوثان، كان ذلك أدل على النهي عن الشرك وعبادة الأوثان».

■ وقال شيخ الإسلام⁽²⁾:

«وإذا كان الشارع قد حسم مادة أعياد أهل الأوثان خشية أن يتدنس المسلم

(1) «اقتضاء الصراط المستقيم» (1/ 497).

(2) «اقتضاء الصراط المستقيم» (1/ 499: 505).

بشيء من أمر الكفار، الذين قد يؤس الشيطان أن يقيم أمرهم في جزيرة العرب؛ فالخشية من تدنسه بأوضار الكتابيين الباقين أشد، والنهي عنه أوكد، كيف وقد تقدم الخبر الصادق بسلوك طائفة من هذه الأمة سبيلهم؟

الوجه الثالث: من السنة أن هذا الحديث وغيره، قد دل على أنه كان للناس في الجاهلية أعياد يجتمعون فيها، ومعلوم أنه بمبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ محى الله ذلك عنهم، فلم يبق شيء من ذلك.

ومعلوم أنه لولا نهيه ومنعه لما ترك الناس تلك الأعياد؛ لأن المقتضي لها قائم من جهة الطبيعة التي تحب ما يصنع في الأعياد - خصوصا أعياد الباطل - من اللعب واللذات، ومن جهة العادة التي ألفت ما يعود من العيد، فإن العادة طبيعة ثانية، وإذا كان المقتضي قائما قويا، فلولا المانع القوي؛ لما درست تلك الأعياد.

وهذا يوجب العلم اليقيني، بأن إمام المتقين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يمنع أمته منعا قويا عن أعياد الكفار، ويسعى في دروسها وطمسها بكل سبيل، وليس في إقرار أهل الكتاب على دينهم، إبقاء لشيء من أعيادهم في حق أمته، كما أنه ليس في ذلك إبقاء في حق أمته؛ لما هم عليه في سائر أعمالهم من سائر كفرهم ومعاصيهم، بل قد بالغ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمر أمته بمخالفتهم في كثير من المباحات، وصفات الطاعات؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى موافقتهم في غير ذلك من أمورهم، ولتكون المخالفة في ذلك حاجزا ومانعا عن سائر أمورهم، فإنه كلما كثرت المخالفة بينك وبين أصحاب الجحيم، كان أبعد لك عن أعمال أهل الجحيم.

فليس بعد حرصه على أمته ونصحه لهم غاية - بأبي هو وأمي - وكل ذلك من فضل الله عليه وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الوجه الرابع من السنة: ما خرجاه في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «دخل علي أبو بكر وعندي جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعث، قالت: وليستا بمغنيتين فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أبحرهم الشيطان في بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وذلك يوم عيد، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا أبا بكر: إن لكل قوم عيداً، وهذا عيدنا».

وفي رواية: «يا أبا بكر: إن لكل قوم عيداً، وإن عيدنا هذا اليوم».

وفي الصحيحين أيضاً أنه قال: «دعهما يا أبا بكر؛ فإنها أيام عيد»، وتلك الأيام أيام منى.

فالدلالة من وجوه: أحدها: قوله: «إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا» فإن هذا يوجب اختصاص كل قوم بعيدهم، كما أن الله سبحانه لما قال: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: 148]، وقال: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48]، أوجب ذلك اختصاص كل قوم بوجهتهم وبشرعتهم، وذلك أن اللام تورث الاختصاص، فإذا كان لليهود عيد وللنصارى عيد؛ كانوا مختصين به فلا نشركهم فيه، كما لا نشركهم في قبلتهم وشرعتهم.

وكذلك أيضاً، على هذا: لا ندعهم يشركونا في عيدنا.

الوجه الثاني: قوله: «وهذا عيدنا»، فإنه يقتضي حصر عيدنا في هذا، فليس لنا

عيد سواه، وكذلك قوله: «وإن عيدنا هذا اليوم» فإن التعريف باللام والإضافة يقتضي الاستغراق، فيقتضي أن يكون جنس عيدنا منحصرًا في جنس ذلك اليوم، كما في قوله: «تحریمها التكبير وتحليلها التسليم».

وليس غرضه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحصر في عين ذلك العيد، أو عين ذلك اليوم، بل الإشارة إلى جنس المشروع، كما تقول الفقهاء: باب صلاة العيد، وصلاة العيد كذا وكذا، ويندرج فيها صلاة العيدين، وكما يقال: لا يجوز صوم يوم العيد.

وكذا قوله: «وإن هذا اليوم» أي جنس هذا اليوم، كما يقول القائل لما يعاينه من الصلاة: هذه صلاة المسلمين، ويقال لمخرج الناس إلى الصحراء وما يفعلونه من التكبير والصلاة ونحو ذلك هذا عيد المسلمين، ونحو ذلك.

ومن هذا الباب: حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «يوم عرفة ويوم النحر، وأيام منى عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب». رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

فإنه دليل مفارقتنا لغيرنا في العيد، والتخصيص بهذه الأيام الخمسة؛ لأنه يجتمع فيها العيدان: المكاني والزمني، ويطول زمنه، وبهذا يسمى العيد الكبير، فلما كملت فيه صفات التعييد: حصر الحكم فيه لكمال، أو لأنه هو عد أياما وليس لنا عيد هو أيام إلا هذه الخمسة.

الوجه الثالث: أنه رخص في لعب الجوارى بالدف، وتغنيهن، معللا بأن لكل قوم عيدا، وأن هذا عيدنا، وذلك يقتضي أن الرخصة معللة بكونه عيد المسلمين،

وأنها لا تتعدى إلى أعياد الكفار، وأنه لا يرخص في اللعب في أعياد الكفار، كما يرخص فيه في أعياد المسلمين؛ إذ لو كان ما فعل في عيدنا من ذلك اللعب يسوغ مثله في أعياد الكفار أيضا لما قال: «فإن لكل قوم عيدا، وإن هذا عيدنا» لأن تعقيب الحكم بالوصف بحرف الفاء دليل على أنه علة، فيكون علة الرخصة: أن كل أمة مختصة بعيد، وهذا عيدنا، وهذه العلة مختصة بالمسلمين.

فلو كانت الرخصة معلقة باسم (عيد) لكان الأعم مستقلا بالحكم، فيكون الأخص عدم التأثير، فلما علل بالأخص علم أن الحكم لا يثبت بالوصف الأعم، وهو مسمى: عيد، فلا يجوز لنا أن نفعل في كل عيد للناس من اللعب ما نفعل في عيد المسلمين، وهذا هو المطلوب، وهذا فيه دلالة على النهي عن التشبه بهم في اللعب ونحوه.

الوجه الخامس من السنة: أن أرض العرب ما زال فيها يهود ونصارى، حتى أجلاهم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خلافته، وكان اليهود بالمدينة كثيرا في حياة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان قد هادتهم حتى نقضوا العهد طائفة بعد طائفة، وما زال بالمدينة يهود، وإن لم يكونوا كثيرا، فإنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مات ودرعه مرهونة عند يهودي، وكان في اليمن يهود كثير، والنصارى بنجران وغيرها، والفرس بالبحرين.

ومن المعلوم أن هؤلاء كانت لهم أعياد يتخذونها، ومن المعلوم أيضا أن المقتضي لما يفعل في العيد: من الأكل، والشرب، واللباس، والزينة، واللعب، والراحة، ونحو ذلك: قائم في النفوس كلها إذا لم يوجد مانع، خصوصا في

نفوس الصبيان والنساء، وأكثر الفارغين من الناس.

ثم من كانت له خبرة بالسيرة، علم يقينا أن المسلمين على عهده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كانوا يشركونهم في شيء من أمرهم، ولا يغيرون لهم عادة في أعياد الكافرين بل ذلك اليوم عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسائر المسلمين يوم من الأيام لا يخصصونه بشيء أصلا إلا ما قد اختلف فيه من مخالفتهم فيه، كصومه. على ما سيأتي إن شاء الله تعالى.

اللعب بالكرة وتنزيح الأوقات في ذلك

يقول الله تعالى: ﴿أَسْتَحْذَرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَأَنسَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: 19].

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْبَغْضَاءَ وَالْكَرْهَ وَالْمَيْسِرَ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: 91].

وقد تسلط الشيطان على كثير من المسلمين بما يسمى (لعب الكرة)، وهي وإن كان فيها بعض المصالح؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ⁽¹⁾: «ولعب الكرة إذا كان قصد صاحبها المنفعة للخيل والرجال؛ بحيث يستعان بها على الكر والفر، والخروج والدخول، ونحوه في الجهاد، وغرضه الاستعانة على الجهاد الذي أمر الله به ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو حسن».

(1) «الفتاوى المصرية» (ص/ 251).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ⁽¹⁾:

«ممارسة الرياضة جائزة، إذا لم تله عن شيء واجب، فإن ألهمت عن شيء واجب فإنها تكون حرامًا، وإن كانت ديدن الإنسان؛ بحيث يكون غالب وقته، فإنه مضیعة للوقت، وأقل أحوالها الكراهة، أما إذا كان الممارس للرياضة ليس عليه إلا سر وال قصير يبدو منه فخذة أو أكثر، فإنه لا يجوز».

فهی مباحة لمن أراد التقوية والنشاط، ولمن ابتعد عن المفاسد والمحرمات التي يمارسها أصحابها، وإليها باختصار:

1 - التشبه بالكفار في نظام الفريقين، وقد نهينا عن التشبه بالكفار وعده بعض أهل العلم من الكبائر؛ لقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»⁽²⁾، وقوله: «لَا تُشَبَّهُوا بِأَهْلِ الْكِتَابِ»⁽³⁾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ سَأُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: 19]، وغير ذلك من الأدلة، التي سبقت.

2 - التحزب والتفرق والأضغان بين اللاعبيين، ولا يجوز استعمال ما كان سببًا إلى ذلك؛ لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»⁽⁴⁾.

(1) «أسئلة مهمة» (ص/ 27).

(2) «مسند أحمد» (5114)، عن ابن عمر.

(3) «مصنف ابن أبي شيبة» (11174).

(4) «مصنف ابن أبي شيبة» (25373).

فكم يحصل من وراء هذه المفسدة من هجر، وضرب، وقتل، وطلاق، وفرقة يذمها الإسلام، فهذا محرم. فإذا وُجد لعبٌ من دون بغضاء أو انقسام فريقين، فهو جائز، تُركض بينهم، وتتداول للنشاط والقوة.

3 - الضرر بالأبدان في اللعب المصاحب للتحزب والتعصب، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: 29]. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»⁽¹⁾. وقال صلى الله عليه وسلم: «وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُدَّ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽²⁾.

4 - أن اللعب بالكرة يضيع الصلاة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَدْ كَفَرَ»⁽³⁾، وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ فَاتَتْهُ الْعَصْرُ، فَكَأَنَّمَا وَتَرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ»⁽⁴⁾. وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ»⁽⁵⁾، وعلى هذا يحرص أعداء الله أن يكون اللعب في أوقات الصلوات، أو قبل صلاة الفجر.

5 - أن اللعب بالكرة يعلق قلب العبد بها، ويلهي عن ذكر الله، والعلم النافع، والعمل الصالح. وكل ما شغل عن ذكر الله فهو حرام؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ

(1) «مسند أحمد» (2865)، عن ابن عباس.

(2) «صحيح مسلم» (110).

(3) «صحيح ابن حبان» (1463).

(4) «صحيح البخاري» (552)، و«صحيح مسلم» (626).

(5) «صحيح البخاري» (553).

وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴿[المائدة: 91].

وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ»⁽¹⁾.

وهذا العبد لم يكن يسجد للدينا، ولا يركع، ولكن يتعلق بها من دون الله، ويشغل بها عن طاعة الله، وتلهيه عن ذكر الله.

وفعلًا، فبعض الناس يتعلق بالكرة ونحوها من أمور اللعب وزينة الحياة الدنيا، فيكون عبدًا لغير الله، فلا يجوز أن نعلق قلوبنا بغير الله، فإنه خلل في توحيد رب الأرباب سبحانه.

6 - كشف العورة من الفخذ عند كثير من لاعبي الكرة، وهو سبب ووسيلة لكشف العورة المغلظة المتفق على تحريم كشفها عند العلماء.

7 - التعرض للتصوير في بعض الملاعب؛ سواءً في التلفاز، أو الكمبيوتر اليدوية، وهذا حرام في دين الله، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يَجْعَلُ لَهُ، بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا، نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ»⁽²⁾، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ»⁽³⁾.

وقال أبو جحيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَلَعَنَ - أي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(1) «صحيح البخاري» (2887).

(2) «صحيح مسلم» (2110).

(3) «صحيح مسلم» (2110).

8 - وقد تشتمل على أخذ الجوائز للفائز، وهو من أكل المال بالباطل، وعلى الميسر المحرم، وهو محرم باتفاق، وإن كان بالأخذ من المشاهدين فهو مكروه عند كثير من الفقهاء.

ولذا أوصي كل مسلم ومسلمة بالمحافظة على ديننا الذي هو رأس مالنا، وعصمة أمرنا، وسبيل نجاتنا، وقوام حياتنا، وألا يشغلنا عنه لا قليل ولا كثير من حطام الدنيا وزخرفها، وأن يحرصوا على الصلوات في أوقاتها، حيث ينادى بها، وأن يحرصوا على الأخوة والمحبة بينهم.

والمحافظة على الصحة والقوة أمر مطلوب ومحبوب، فقد شرع لنا السباق والجري والنسلان والجهاد، والمؤمن القوي خير، واللعب بالكرة مباح إذا خلا عن الأمور والمفاسد المحظورة شرعاً.

وواحد من المفاسد المذكورة يجعل اللعب بها مكروهاً أو محرماً.

نسأل الله أن يوفق المسلمين لإقامة دينهم، وعدم التشبه بأعدائهم، وأن ينجيهم من الخلاف، والتحزب، والفرقة، والتعصب.

التلفاز والبرشوش والقنوات الفضائية

قد حذرنا من الفتن، فقال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا

مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال].

(1) «صحيح البخاري» (2086).

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النور].

ألا وإن التلفاز من الفتن التي دهمت أواخر الأزمان، وحاول أعداء الله الكفار من يهود ونصارى إدخاله بين المسلمين لنشر شرورهم وأفكارهم كما يريدون إلى داخل بيوت المسلمين.

وقد نجحوا واستولوا على بعض المسلمين - هدامهم الله -، وصدقوا عليهم ظنهم، فقد تدرجوا في ذلك بحيل خبيثة فبدؤوا بالراديو والمسجلات، ثم دخلوا ببعض الألاعيب والسينمات العامة التي لا تستطيع إلا بمال، ثم نشروا التلفاز، ثم أتوا بالدشوش، وكل واحدة تأتي وعوام المسلمين ينكرونها فضلاً عن علمائهم؛ فما زالوا حتى رضوا بذلك كله، وأدخلوا التلفاز والدشوش إلى البيوت، فتغيرت أفكارهم في فترة قليلة، وتغيرت أحوالهم، فلبسوا كالكفار، وأكلوا مثلهم، وحلقوا مثلهم، وتميعوا مثلهم، وتحزبوا وتفرقوا مثلهم، فإذا بنا نعيش بين أناس مسلمين يظهرون الأذان والجماعات، ولكن قلوبهم ليست مع الله ومع دينه، جعلوا همهم الدنيا والمظاهر؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن مفسد هذا الجهاز الدسيس، والجليل الخبيث، العدو الداخلي، والرسول اليهودي، والمفتن الماسوني، لتعلموا أنه حرام، وشرائه حرام، وبيعه حرام، وهذا لا يشك فيه من عنده فهم لدين الله؛ فمن مفسده:

1- أنه تشبه بالكفار، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ

أَنْفُسَهُمْ ﴿١٩﴾ [الحشر: 19].

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَتَتَّبَعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شَبْرًا شَبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ»⁽¹⁾، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من تشبه بقوم فهو منهم»⁽²⁾.

واليهود والنصارى أرادوا لنا شرًّا لا خيرًا إذ أرسلوا لنا هذا الشر، فترى المسلم حالقًا للحيته لما يرى في هذا الجهاز، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ أَحْفُوا الشَّوَارِبَ، وَأَوْفُوا اللَّحَى»⁽³⁾.

وتراهم يلبسون البنطال لما يرون فيه، وهذا من لباس الكفار، وهكذا في أغلب أعمالهم؛ نسأل الله العافية والسلامة.

2- وفيه صور، والصور إدخالها البيت حرام.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ»⁽⁴⁾.

وعن عائشة أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرَقَةً فِيهَا تَصَاوِيرٌ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى الْبَابِ، فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَّةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاذَا

(1) «صحيح البخاري» (7320)، و«صحيح مسلم» (2669).

(2) تقدم تخريجه.

(3) «صحيح مسلم» (259)، عن ابن عمر.

(4) «صحيح البخاري» (3322)، و«صحيح مسلم» (2106).

أَذْبَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟» قُلْتُ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ» وَقَالَ: «إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ»⁽¹⁾.

وهذه كلها تدل على تحريم إدخال الصور إلى البيوت، وأنه حرام إلا ما اضطر إليه وألزم به، والإثم على من اضطرَّ الناس إلى الحرام؛ وأما التلفاز فلم يلزمنا به إلا الشيطان وجنوده - والعياذ بالله منه -.

3- وفيه صور نساء لا يجوز للرجل النظر إليهن، وصور رجال، ولا يجوز للمرأة النظر إليهم.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُوهِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّبِيعِ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ [النور].

(1) «صحيح البخاري» (2105)، و«صحيح مسلم» (2107).

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَظَرِ الْفَجَاءَةِ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي»⁽¹⁾.

فمن أجاز للرجل النظر إلى المرأة المصورة في التلفاز؟ ومن أجاز للمرأة النظر إلى الرجال؟ إلا أعداء الله بهذا الجهاز الخبيث.

فهذا يكفي في أنه حرام، فأين غيرتك أيها المسلم على زوجتك أن تنظر إلى غيرك من الرجال؟ وأين الغيرة عند المرأة على زوجها؟... ذهبت، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور].

4- يفسد الأبناء ويضر دينهم، بل يعلقهم بغير الله، ويهون عليهم أفكار الكفار، ويسهل لهم المعاصي والتشبه بالكفار.

قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْحَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» قَالَ: - وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ - «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ

وَمَسْتُوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْتُوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»⁽¹⁾.

وعن معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحْطِهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»⁽²⁾.

■ قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وعلى هذا فمن مات، وقد خلف في بيته شيئاً من الدشوش، فإنه قد مات وهو غاشٍ لرعيته».

5- وفيه تبذير للمال، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُبْذِرْ بَذِيرًا﴾ [الإسراء].

وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽³⁾..

فمن أين؟ وبأي حق تنفق الأموال في شراء هذه الأجهزة، وتوريدها إلى المسلمين بالأموال الطائلة؟ وأيضاً تشغيلها بالأموال الكثيرة، وكل دينار نحن محاسبون عليه يوم القيامة.

وفي الحديث الصحيح عن أبي برزة قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ

(1) «صحيح البخاري» (893)، عن ابن عمر.

(2) «صحيح البخاري» (7150).

(3) «صحيح البخاري» (3118)، عن خولة الأنصارية.

مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»⁽¹⁾.

6- وأيضاً يدخل الإنسان في البدعة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٢٢﴾ [الروم].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكَبِيرِ الْحَدَّادِ، لَا يَعْدُمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَحِدُّ رِيحَهُ، وَكَبِيرِ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَحِدُّ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»⁽²⁾.
وقال ابن سيرين: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ»⁽³⁾.

وهذا من أعظمها وأشدّها جرماً، وهو أن بعضهم يحتج بمن يظهر في التلفاز من علماء السوء في قنوات الشر كـ«قناة المجد» و«قناة اقرأ»، فيدخلون المسلم في بدعتهم وأفكارهم الدنسة التي لا يرضاها ديننا الحنيف الطاهر، ولأنه لا يظهر على التلفاز في الغالب إلا من هو من أهل البدع.

7- ويذهب بالأخلاق، والله تعالى يقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٤) [القلم].

والتلفاز يذهب بالأخلاق الطيبة، ويجعل مكانها أخلاقاً رديئة محرمة،

(1) «سنن الترمذي» (2417).

(2) «صحيح البخاري» (2101)، و«صحيح مسلم» (2628).

(3) «مقدمة صحيح مسلم» (14/1).

فيذهب بالغيرة من الرجل والمرأة، ويذهب بالحياء، ويذهب بالكرم، ويذهب بالشجاعة، ويذهب بالعفة، ويذهب بالحشمة، وغيرها من الصفات الطيبة الإسلامية، ويحل مكانها ضدها مما حرم الله، ﴿فَاعْتَرِضُوا يَأْتُولِي الْبَصَرِ﴾ (٢) [الحشر].

وأيضاً لا ننسى أنه يضر البدن كالبصر وغيرها من النعم، التي واجب علينا أن نشكر الله بها لا أن نعصيه بها.

8- وفيه الأغاني والموسيقى، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهَوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (٦) [لقمان].

قال ابن مسعود وجماعة من السلف: «إن لهو الحديث لهو الغناء». وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ»⁽¹⁾.

وقال بعض السلف: «إن الغناء ينبت النفاق في القلب» وروي مرفوعاً ولا يصح.

■ وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

حب الكتاب وحب ألحان في قلب عبدٍ ليس يجتمعان

الغناء

(1) «صحيح البخاري» (5590).

9- وقد يؤدي إلى سوء الخلق، والشحناء، والطلاق بين الزوجين.

وهذا من عقوبات الله لمن يدخل هذا الجهاز في بيته، فترى الرجل قد اغتر بالجماليات، ونظر إلى وجوه المومسات، فقنعت نفسه من زوجته فأصبح لا ينظر إليها، ولا يبالي بها.

وكذلك المرأة قد رأت من هو خير منه قوة، وأحسن وجهًا، فأصبحت لا تبالي به، وربما أدى ذلك إلى الفراق ولا مبالاة منهما، وقد حصل هذا، والله المستعان.

10- يؤدي إلى مجالسة أهل الفساد، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكَبِيرِ الْحَدَّادِ، لَا يَعْدُمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِلَّا مَا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكَبِيرِ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»⁽¹⁾.

فهل هذا الجهاز جليس سوء أم جليس صالح؟؟ لا شك أن جواب الصادق الفاهم أنه جليس سوء، وإن وُجد منه ما يتصوره بعض الناس أنه خير ودين، إلا أن ضرره أكثر وأغزر، ومفاسده أعظم وأطم.

فاتق الله يا من تحل للناس ما حرم الله، ولا تنظر إلى أضراره ومفاسده، فقد حرم الله الخمر مع ما فيه من المنافع التي سماها الله منافعًا لما فيه من مضرة التشويه بالنفس والشحناء.

(1) «صحيح البخاري» (2101)، و«صحيح مسلم» (2628).

وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأِنَّ مِنْ أَخَوْفِ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ»⁽¹⁾.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْبُرُّ مَا أَطْمَأَنَّنْتُ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوَكَ»⁽²⁾.

ولا بد للإنسان أن يتحرى لدينه أعظم مما يتحرى لدنياه، فيستفتي من يرى معه الحق، ومن هو بعيد عن الدنيا وحطامها ومصالحها، ومن هم بعيدون عن الأحزاب السياسية الواردة من الكفار؛ فانظر إلى فتاوى الأئمة العلماء كابن باز والألباني وابن عثيمين وشيخنا الإمام الوادعي - عليهم رحمة الله ومغفرته - فقد أفتوا بتحريمه، وهذا مشهور في كتبهم وفتاواهم، ولولا خشية الإطالة لذكرناها.

ومن أفتى بغيره فخطأ ظاهر، وأنت أحرص على دينك من غيرك عليك؛ نسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يهدينا للحق.



(1) «صحيح ابن حبان» (6714).

(2) «مسند أحمد» (18006).

خاتمة

هذا وهناك أمور كثيرة مما أبان الله تعالى لنا أنها من صفات أو أعمال الكفار، ووقع فيها كثير من المسلمين بلا دليل ولا هدى ولا كتاب منير، وقد ذكرت في هذه الرسالة ما كان مهماً أو منتشرًا بين الناس.

والمراد أن الإنسان يحذر من التشبه بالكفار، من يهود ونصارى وغيرهم من المشركين والماركسيين والاشتراكيين، وكل من وقع في الكفر.

قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور] - والعياذ بالله - .

والحليم تكفيه الإشارة عن تطويل العبارة.

نسأل الله الهداية والسلامة من الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

والحمد لله أولاً وآخراً.



الفهرس

3	المقدمة
10	تعريف التشبه
11	مقدمة في كمال الإسلام وعزة أهله
11	الإسلام هو دين الله تعالى
12	الإسلام نسخ الشرائع والأديان الأخرى
13	الإسلام يدخل إلى كل بيت
14	الإسلام يفتح الله به أَعْيُنًا عُمَيَّا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا
15	الإسلام باقي إلى قيام الساعة لا ينسخه دين
16	الإسلام دين يسر
18	ومن محاسن الإسلام أنه حرم التشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال
20	نهي الإسلام عن التشبه بالحيوان
32	من الدواعي والأسباب المفضية للتشبه بالكفار
33	النهي عن ابتغاء سنة الجاهلية
20	الأمر بالهجرة من بلاد الكفار وترك الإقامة بينهم
35	النهي عن دخول مساكن الكفار وقد أهلكوا فكيف بالأحياء
	فصل: ذكر الأدلة المبيّنة تحريم التشبه بالكفار من مشركين وأهل الكتاب وما جاء عن
36	النبي صلى الله عليه وسلم من النهي عن اتباع سبيل الكفار أو التشبه بهم
40	حديث أبي سعيد رضي الله عنه
44	ترجمة أبي سعيد من الإصابة في تمييز الصحابة
46	فائدة في حكم مشابھتهم فيما ليس من شرعنا

- 47 قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تشبه بقوم فهو منهم»
- 51 الشرح
- 58 النهي عن التشبه بهم في التفرق
- 66 النهي عن التشبه بهم في اتخاذ القبور مساجد
- 69 تسوية القبور من السنة، ورفعها من آثار أهل الكتاب
- 70 تشييد المساجد
- 70 النهي عن الإطراء كما أطرت النصارى ابن مريم
- 71 ومنها تشبيههم صفات الله بصفات خلقه وتحريمهم ما أحل الله
- 71 النهي عن التشبه بهم في الاختلاف
- 77 النهي عن التشبه بهم في الفتنة بالنساء وعدم الحذر من شرهن
- النهي عن التشبه بهم في التبرك بالمخلوقات التي لم يشرع لنا التبرك بها وما يكون وسيلة إلى الشرك
- 79
- 80 النهي عن التشبه بهم في الأقوال
- 82 النهي عن التشبه بهم في الافتتان بالأوثان وعبادة غير الله
- 83 النهي عن التشبه بهم في موالة الكفار
- 84 النهي عن التشبه بهم في المناداة للصلاة
- 86 النهي عن التشبه بهم في تضييع الصلوات
- 87 تحريم الوشم وأنه زي العجم
- 87 النهي عن التشبه بهم في تغيير الشعر
- 88 النهي عن التشبه بهم في حلق أو تقصير اللحى وتوفير الشارب
- 90 حلق اللحى يجمع عدة مفاسد ومنكرات
- 90 النهي عن التشبه بهم في صبغ الشيب

- 91 النهي عن التشبه بهم في صوم عاشوراء
- 92 النهي عن التشبه بهم في عدم الصلاة بالنعال
- 94 النهي عن التشبه بهم في تعجيل الفطر
- 96 النهي عن التشبه بهم ترك السحور
- 97 النهي عن التشبه بهم في وصال الصوم
- 98 النهي عن التشبه بهم في الصلاة عند الشروق والغروب
- 100 النهي عن التشبه بهم في القيام للكبار
- 100 النهي عن التشبه بهم في دعوى الجاهلية
- 102 النهي عن التشبه بهم في التعزي بعزاء الجاهلية
- 103 النهي عن التشبه بهم في الطعن في الأنساب والنيابة
- 104 التشبه بهم في عدم الإسراع بالجنائز
- 105 قول النبي صلى الله عليه وسلم: «اجلسوا خالفوهم»
- 106 النهي عن النعي كفعل الجاهلية
- 107 أُلحِدْ لَنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
- 108 ما جاء في دم العقيدة
- 109 النهي عن التشبه بهم في العصبية الجاهلية
- 111 النهي عن التشبه بهم في الفخر بالآباء
- 113 إرادة رسول الله صلى الله عليه وسلم مخالفتهم في صيامهم
- 117 مخالفته صلى الله عليه وسلم في بعض مسائل الحج
- 118 العمرة في أشهر الحج
- 119 النهي عن التشبه بهم في اعتزال الحائض
- 121 نكاح الجاهليين

- ومنها نكاح الشغار 122
- ليس عليها أزر، النهي عن التشبه بهم في لبس السراويل 123
- النهي عن التشبه بهم في الخروج على الحكام المسلمين 124
- مخالفتهم في تولية النساء 127
- النهي عن التعبير بالأم أو النسب 127
- النهي عن التسليم بالإشارة كاليهود والنصارى 128
- إبطال رسول الله المطية من أمور الجاهلية 132
- النهي عن التشبه بهم بالكلام واللغات 133
- النهي عن التشبه بهم في اللباس ولبس السراويل ليس عليها شيء 139
- مخالفتهم في ترك التنعم والترفيه 142
- النهي عن التشبه بهم في الحساب 146
- النهي عن التشبه بهم في وصل الشعر 149
- النهي عن التشبه بهم في الاشتمال 150
- النهي عن التشبه بهم في الغلو 150
- النهي عن التشبه بهم في إقامة الحدود على الضعفاء دون الشرفاء 153
- النهي عن التشبه بهم في كتم الحق 153
- النهي عن التشبه بهم في تصوير ذوات الأرواح 155
- النهي عن التشبه بهم في المكاء والتصدية وهو الصفير والتصفيق 165
- مخالفتهم في القعود 165
- ما جاء في آنية الذهب والفضة 167
- جلود النمار 168
- قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أما الظفر فمدى الحبشة» 168

- فصل في بعض آثار السلف في النهي عن التشبه بهم في بعض الأعمال 171
- فصل فيما دل عليه القرآن أنه من صفاتهم وقلدهم في ذلك بعض هذه الأمة كما
أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم 176
- الشرك بالله 176
- ادعاء الولد لله 177
- البدع في الدين 181
- رهبانية النصارى 183
- مخالفتهم في التعبد بالإنصات 184
- تحريف كلام الله 185
- لبس الحق بالباطل 186
- باب كتمان الحق 189
- تحريم الحلال وإحلال الحرام 191
- الافتتان بالدنيا 195
- التلاوة للكتاب بلا عمل ولا تدبر 203
- النفاق 206
- التباطء عن قبول الحق وعدم الاستجابة 209
- مخالفة ما علموه 212
- العناد للحق 214
- الصد عن سبيل الله 215
- اتخاذ الدين لهواً ولعباً 217
- معاداة أهل الحق 219
- أكل أموال الناس بالباطل 221

- 225 الخيانة
- 226 استحباب الدنيا والعلو في الأرض
- 230 وجود العلماء المضلين واتباعهم بلا حجة
- 231 السكوت عن المنكر
- 240 الافتتان بالفتن
- 243 عدم الصبر عند القتال
- 244 الأخذ بجانب من الدين وترك البعض
- 247 الفرح بالمصائب على المؤمنين
- 247 الأذية للمؤمنين
- 249 الافتراء على الله ودينه
- 252 إضلال الناس
- 253 الانتماء الى الحق وإلى الصالحين بلا عمل كعملهم
- 254 تبديل الدين والاختلاف على الأنبياء
- 256 تبديل الأقوال المشروعة
- 258 الحيل على المنكرات
- 259 استبدال النعم بغيرها وعدم الشكر
- 260 كتابة الباطل ونسبته إلى الدين
- 261 تحكيم هوى النفس
- 263 ادعاؤهم عدم الفهم للحق
- 263 البغي
- 265 التقيد بما عند أصحابهم ورد ما جاء به من ليس منهم
- 267 الحرص على الدنيا والحياة

- 269 التعذر بالأسباب التافهه لرد الحق
- 270 ادعائاً محبة الله
- 271 خذلان أهل الحق عند الشدائد
- 272 ترك كتب أهل الحق وأخذ كتب الباطل
- 274 استعمال السحر
- 274 الحسد لمن أعطاه الله خيراً
- 279 المبالغة والغلو في الأحكام
- 279 تغيير التحية الشرعية
- 282 الاستهزاء بالدين
- 283 عدم الرضى عن أهل الحق لأنهم لم يتبعوا نهجهم
- 284 ادعائهم أن الصالحين معهم
- 288 التحاكم إلى غير أهل الحق
- 289 قولهم سمعنا وعصينا
- 293 تزكيتهم لأنفسهم
- 295 قولهم للمبطلين أنهم أهدي سبيلاً من الصالحين
- 297 بخلهم بتبليغ العلم والحق
- 298 قتالهم الأنبياء والصالحين
- 300 الظلم
- 302 أكلهم الربا
- 304 قسوة القلوب
- 306 نسيانهم الهدى والعلم
- 308 إكثارهم سماع الكذابين

- أكلهم للسحت 309
- حكمهم بغير ما أنزل الله 312
- فتنتهم لمن جالسهم وسمعهم 314
- إعراضهم عن الحق وذلك بسبب معاصيهم 316
- القول على الله ووصفه بما لا يليق به 316
- التعنت وزيادة الطغيان عند سماع الحق 320
- إيقادهم لنار الحروب 321
- عدم تبصرهم بالفتن حتى يعموا فيها 323
- موالاتهم للكفار ولو كانوا على غير دينهم 326
- فصل في ذكر بعض ما زاد فيه بعض أهل زماننا من مشابهة الكفار واتباع سننهم 328
- الديمقراطية والانتخابات 328
- الأنظمة والقوانين الغربية 343
- الفتنة والاختلاط بالنساء سنة إسرائيلية 343
- التزام الزي الغربي 353
- أدوات التجميل 353
- ومما تشبه فيه كثير من المسلمين بالكفار في منكرات الأعراس 353
- في ما شابه فيه الرافضة إخوانهم وأسيادهم من اليهود 354
- قصيدة «إرشاد الحيارى لمشابهة الرافضة اليهود والنصارى» 363
- مشابهة الإخوان المسلمين لأهل الكتاب 365
- مشابهة الصوفية للنصارى 366
- ومنها التحرك والاهتزاز عند القراءة والذكر 369
- ومما تشبه فيه المسلمون بأعدائهم المخدرات والمسكرات 370

- 377ومما تشبه فيه المسلمون بأعدائهم الأعياد الغربية والمحدثه
- 384اللعب بالكرة وتضييع الأوقات في ذلك
- 388التلفاز والدشوش والقنوات الفضائية
- 398خاتمة
- 399الفهرس

